شرحُ
ثلاثةِ الأُصولِ وأدلَّتِها

لشَيْخِ الإسْلَامِ

مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ بنِ سُليمَانَ التَّميميِّ

«١١١٥ - ١٢٠٦هـ»

شرحُ الفقيرِ إلى ربِّه

عبد الرَّحمنِ بنِ عبدِ المُحسنِ بنِ عبدِ اللَّطيفِ آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

قال –تعالى–: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

عن عمرَ بنِ الخطَّابِ –رضيَ اللهُ عنهُ– قال: سمعتُ رسولَ اللهِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– يقولُ: «إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ، وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمنْ كانت هجرتُه إلى اللهِ ورسوله، فهجرتُه إلى اللهِ ورسوله، ومن كانتْ هجرتُه لدنيا يصيبُها، أوِ امرأةٍ ينكحُها، فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

مقدمة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

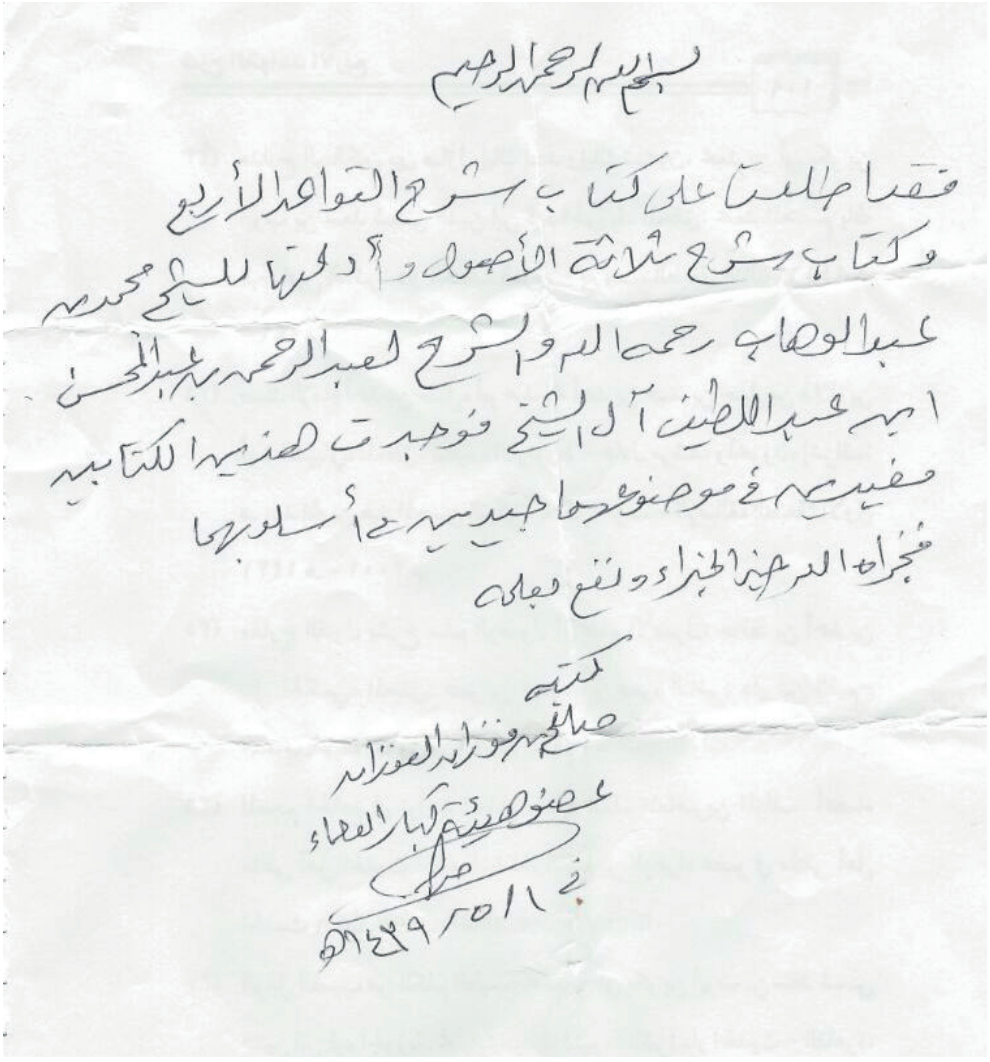

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد اطلعت على كتاب شرح القواعد الأربع
وكتاب شرح ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ محمد
عبد الوهاب رحمه الله والشرح لعبد الرحمن بن عبد المحسن
ابن عبد اللطيف آل الشيخ فوجدت لهذين الكتابين
مفيدين في موضوعهما جديرين بأن يسلكهما
طلاب العلم جزاه الله خيرا الجزاء ونفع بعلمه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
في ١٤٢٩/٥/١١هـ

مقدمة معالي الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

فقد اطلعتُ على كتاب «**شرح القواعد الأربع**» وكتاب «**شرح ثلاثة الأصول وأدلتها**»، للشيخ محمد بن عبد الوهَّاب -رحمهُ اللهُ- والشرحُ لعبد الرحمن بن عبد المحسن بن عبد اللطيف آل الشيخ، فوجدتُ هذين الكتابَين مفيدَين في موضوعهما، جديدَين في أسلوبهما، فجزاه الله خيرَ الجزاء ونفع بعلمه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة

في ١/ ٥/ ١٤٣٩هـ

مقدمة الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
رقم الصادر ١/ ٧/ ٢٧
التاريخ ١٤٣٩/٠٦/١١
الجهة الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن آل الشيخ
المرفقات بدون
2143900750891910

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد اطّلعت على الكتابين النافعين اللذين ألّفهما فضيلة الشيخ / عبدالرحمن ابن عبدالمحسن آل الشيخ ، وهما (شرح ثلاثة الأصول) و (شرح القواعد الأربع) ، وظهر فيهما أنّ المؤلّف بارك الله في عمله جدّ في تبيين عبارات المتنين العظيمين اللذين ألّفهما الإمام المجدّد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى – ، واجتهد في تقريب شرحه إلى فهم عامّة القُرّاء لينتشر ما في المتنين (ثلاثة الأصول) و (القواعد الأربع) من معاني التوحيد ومهمّات الدّين ؛ فشكر الله للمؤلّف الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالمحسن آل الشيخ ، وزاده علمًا ، ونفع بكتابيه المسلمين .

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

مقدمة معالي الوزير الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اطَّلعتُ على الكتابين النافعين اللذين ألَّفهما فضيلةُ الشيخ عبد الرحمن ابن عبد المحسن آل الشيخ، وهما «**شرح ثلاثة الأصول**» و«**شرح القواعد الأربع**»، وظهر فيهما أنَّ المؤلِّف -بارك الله في عمله- جدَّ في تبيين عبارات المتنين العظيمين، اللذين ألَّفهما الإمام المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمهُ اللهُ تعالى-، واجتهد في تقريب شرحه إلى فهم عامَّة القُرَّاء، لينتشر ما في المتنين «**ثلاثة الأصول**» و«**القواعد الأربع**» من معاني التوحيد ومهمَّات الدِّين؛

فشكر الله للمؤلِّف الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد المحسن آل الشيخ، وزاده علمًا، ونفع بكتابيه المسلمين.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

* * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة

إنَّ الحمدَ لله؛ نحمدُه؛ ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ وسلَّم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعدُ:

فإنَّ بين أيدينا رسالةً مُهمَّةً، ألا وهي «ثلاثةُ الأصول وأدلتُها» لشيخ الإسلام محمدِ بنِ عبد الوهَّاب بنِ سليمانَ بنِ علي التميمي، المولودِ سنة «١١١٥هـ»، والمتوفَّى سنة «١٢٠٦هـ» -رحمهُ اللهُ-، وتظهرُ أهميةُ هذه الرسالة في أمور؛ منها:

١ - أنها من المتون المختصرة المعتمدة:

وطالبُ العلم ينبغي أن يبدأَ بالمتون المختصرة في أول الطلب، ثم يتدرجَ منها إلى ما فوقها، وهكذا إلى أن تتحققَ فيه أهليةُ النظر في المطوَّلات، والشروحِ والحواشي، وهذه المنهجيةُ - أعني منهجيةَ التدرُّج- هي التي كان عليها السلفُ الصالح؛ كما ورد عن يونُسَ بنِ يزيدَ قال: قال لي ابنُ شهاب: «يا يونسُ لا تُكابِرِ العلمَ؛ فإن العلم أوديةٌ، فأيَّها أخذتَ فيه قَطَع بك قبلَ أن تبلُغَه، ولكنْ خُذْه مع الأيام والليالي، ولا تأخُذِ العلمَ جُملةً؛ فإنَّ مَن رامَ أخذَه جملةً ذهَب عنه جملةً، ولكنِ الشيءَ بعد الشيءِ مع الليالي والأيام»[1].

وعلى هذا النَّهْج سارَ علماؤنا الكبارُ قديمًا وحديثًا؛ يقولُ الشيخُ محمدُ بنُ صالح العثيمين -رحمهُ اللهُ-: «فلا بد لطالب العلم أن يُتقِنَ المختصَراتِ أولًا؛ حتى ترسَخَ العلومُ في ذهنه، ثم يُفيضَ إلى المطوَّلات، ولكن بعض الطلبة قد يُغرِبُ؛

(١) «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ ابن عبد البر (١/ ٤٣١).

فيُطالِعُ المطولاتِ، ثم إذا جلس مجلسًا قال: قال صاحبُ المغني، قال صاحبُ المجموع، قال صاحبُ الإنصاف، ليُظهِرَ أنه واسعُ الاطلاع، وهذا خطأٌ»[١].

ويقولُ فضيلةُ الشيخ صالح بن الفوزان: «فينبغي أن يُلقَّنَ الصغارُ المتونَ المختصَرة؛ لأنها مَدخَلٌ إلى العلوم؛ فهي الأصولُ، ولهذا يقولون: مَن حُرِمَ الأصولَ حُرِمَ الوصولَ، والأصولُ هي: المختصرات؛ مَن حُرم منها حُرم الوصولَ إلى العلم النافع، فالمبتدئُ - صغيرًا كان أو كبيرًا- لا يُبتدأُ له بالمجاميعِ الكبار من مجاميع العلم؛ فيقرأ في البخاري وفي مسلم وفي المغني وفي كتاب سيبويه؛ بل المبتدئُ يُتدرَّجُ معه في العلم شيئًا فشيئًا، أما أن تأتيَه بالمطوَّلات والمفصَّلات، فهذا تعبٌ بلا فائدة، ولا يأخذُ من العلم شيئًا؛ لأنه يسيرُ على غيرِ طريقِ التربية الصحيحة، وأتى العلمَ مِن غير بابه»[٢].

---

(١) «كتاب العلم» للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٣٨).

(٢) انظر: «بيان المعاني في شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني» (ص ٢٠).

فالذي يريدُ أن يسيرَ على منهج الربانيين، ويبلغَ درجةَ الراسخين، فعليه أن يبدأَ بصغار المتونِ (الشاملةِ لأصول العلم) قبل كِبارِها؛ قال الإمامُ البخاري: «يُقال: الرَّبَّاني: الذي يربِّي الناسَ بصغارِ العلمِ قبل كِباره»[١]، قال الحافظُ ابنُ حجر: «أي: بالتدريج»[٢].

وهذه الرسالةُ كتبها شيخُ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهَّاب -رحمهُ اللهُ- لعامَّة المسلمين، واقتصر فيها على الأمور المهمَّة التي لا يجوزُ للإنسان أن يجهلَها؛ فتعلُّمُها وفهمُها وحفظُها مُتعيِّنٌ؛ لقيامِ أصولِ الدين عليها.

٢- أنها احتوت على أسئلة القبر الثلاثة:

فقد جاء في حديث البَرَاءِ بنِ عازبٍ الطويلِ، في سؤالِ الملَكين للميت في قبره: أن النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «... فيأتيه ملكان؛ فيجلسانه، فيقولانِ له: من

---

(١) صحيح البخاري (٢٤).

(٢) «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ١٢١).

ربّك؟ فيقولُ: ربي الله، فيقولانِ له: ما دينك؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرجلُ الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- فيقولانِ له: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله، فآمنتُ به وصدّقتُ»[١].

وهذه هي الأصول الثلاثةُ التي يُسألُ عنها كلُّ إنسان في قبره: مَن ربك؟ ما دينُك؟ مَن نبيك؟، ولا يُوفَّقُ للقول الثابتِ في القبر إلا مَنِ اعتقد هذه الأصولَ اعتقادًا جازمًا، وعمِل بمقتضاها.

وقد ورَدت عن النبيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- عدةُ أحاديثَ في الحثِّ على العناية بهذه الأصول الثلاثة، والترغيبِ في تعلُّمها؛ فمِن ذلك: حديثُ العباسِ بنِ عبد المطَّلِب -رضيَ اللهُ عنهُ- أنه سمِعَ رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقولُ: «ذاقَ طعمَ الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣٤).

وحديثُ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ -رضيَ اللهُ عنهُ- أن رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «يا أبا سعيد، من رضي بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا؛ وجبت له الجنةُ»(١).

وحديثُ سعدِ بن أبي وقَّاص -رضيَ اللهُ عنهُ- عن رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أنه قال: «من قال حين يسمعُ المؤذّنَ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحده لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيتُ بالله ربًّا، وبمحمدٍ رسولًا، وبالإسلامِ دينًا؛ غفر له ذنبُه»(٢).

فهذه ثلاثةُ أحاديثَ في بيانِ أهميةِ هذه الأصولِ الثلاثة، وعِظَم منزلتِها.

وتخصيصُ الشيخ -رحمهُ اللهُ- هذه الأصولَ العظيمةَ بالتأليفِ، مِن الأدلَّة الدالَّةِ على عِظَمِ أثرِ العلماء في الأمة، وعلى ما كان عليه الشيخُ -رحمهُ اللهُ- من نُصحٍ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٦).

للأمة؛ فقد كان حريصًا على تعليم العامة وتذكيرِهم بها؛ قال ابنُ بشرٍ -رحمهُ اللهُ- في تاريخه[١]: «أمَر الشيخُ جميعَ أهلِ البُلدانِ من أهل النواحي؛ يَسألون الناسَ في كل مسجدٍ كلَّ يومٍ بعدَ صلاة الصبحِ أو بين العشاءَينِ عن معرفة ثلاثةِ الأصول»، وقد سارَ على هذا النهجِ مِن بعدِه الشيخُ عبدُ الرحمن بنُ حسن -رحمهُ اللهُ[٢]- والشيخُ محمدُ بنُ إبراهيم -رحمهُ اللهُ[٣]-.

٣- عِظَمُ الموضوعات التي اشتملت عليها:

فهذه الرسالةُ - وإن كانت اشتَهَرت بين أهل العلم وطلبتِه باسم «ثلاثة الأصول» - ليست مقصورةً عليها فحسْبُ، بل احتوت على قضايا أخرى مهمةٍ؛ في التوحيد، والعقيدة والولاءِ والبَرَاءِ، ومجموعُ هذه الأمور هو حقيقةُ الدين الذي بعَث اللهُ به نبيَّه محمدًا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-.

---

(١) «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ١٨٤).

(٢) انظر: «الدرر السنية» (٤/ ٣٣٨).

(٣) انظر: «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم» (٢/ ٢٧٧).

فالله خلَق الخلقَ لتوحيده، والتوحيدُ هو: تحقيقُ شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ، وهو رأسُ الأمر، وأصلُ الدين الذي لا يَقبلُ اللهُ من الأوَّلين والآخِرين دينًا غيرَه، وبه أرسلَ اللهُ الرسلَ، وأنزل الكتبَ؛ كما قال -تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥]. وقال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقد أخبرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عن الرسل؛ أنَّ أولَ ما يَبدؤون به دعوتَهم لأقوامهم قولُهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود:٨٤]، وهذا هو أولُ ما دعا إليه الرسولُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- فقد قال: «أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ...»[1]، وقال لمعاذٍ -رضيَ اللهُ عنهُ-: «إنك ستأتي قومًا

(١) أخرجه البخاري (٢٥).

من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ الله»[١].

فالتوحيدُ هو أولُ ما يُؤمر به العبدُ، ولا يُقدَّمُ عليه شيءٌ؛ لأن مَن خُتِم له به دخَل الجنةَ؛ كما قال النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «من مات وهو يعلمُ أن لا إله إلا اللهُ، دخل الجنةَ»[٢]، وبالتوحيد يدخلُ العبدُ في الإسلام، وبنَقْضِه يخرجُ منه -والعياذُ بالله-.

٤- أنَّ فيها ذكرَ المسألةِ بدليلها:

ومن سِمَات كتبِ أئمةِ السنة الحرصُ على ذكر الدليل من كتاب الله وسنة رسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- لكلِّ ما يُورِدونه من المسائلِ؛ سواءٌ كان ذلك في المسائل العِلْمية أو العَمَلية، وهذه السمةُ ظاهرةٌ في كتب إمامِ الدعوة -رحمهُ اللهُ- عمومًا،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦).

وفي هذه الرسالة على وجه الخصوص؛ فإنك لا تجدُ فيها مسألةً إلا وقد ذَكرها بدليلها؛ إما من كتاب الله، وإما من سنة نبيه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وإما منهما معًا، كما سيتبيَّن ذلك في هذا الشرح.

ترجمة مختصرة للمؤلف:

هو الإمامُ المجدِّدُ شيخُ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهَّاب بن سليمانَ آل مشرف التميمي، وُلد عام ١١١٥هـ، وتُوفي عام ١٢٠٦هـ، وهو إمامٌ من أئمة القرون الأخيرة، مجدِّدٌ للدين، ومحاربٌ للشرك.

حفِظ القرآنَ قبل بلوغه العاشرةَ، وقرأ على أبيه الفقهَ، وكان ذكيًّا كثيرَ المطالعة، ورحل إلى مكةَ والمدينةِ والبصرةِ غيرَ مرة؛ طلبًا للعلم. بدأ دعوته -رحمهُ اللهُ- في العُيَينة، ثم حُرَيملاء، ثم اتجه إلى الدرعية، والتقى الأميرَ محمدَ بن سعود، وحصلت بينهما البيعةُ على نشر التوحيد وإقامةِ حكم الله في الأرض.

اشتغل بالدعوة إلى الله، ولاقى الصعابَ في ذلك، ومن ذلك إخراجُ أهلِ البصرة وحُرَيملاء والعُيَينة له بعد إنكاره عليهم بِدَعَهم وضلالَهم، وإنكارِه على علمائهم بسكوتهم، فخرج ماشيـًا عائدًا إلى دياره؛ وكان هذا كله فقط من أجل الدعوة إلى الله ومحاربة الشرك وأهله.

ألَّف كتبًا عظيمةَ النفع، ومن أهمها: كتابُ التوحيد، والقواعدُ الأربع، وكشفُ الشبهات، وقام على نَهْج السلف، وتأثر بشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وانكبَّ على كتبه وبقية كتب السلف[1].

* * *

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد «١/ ١٨٠».

تحريرُ اسْمِ الكتاب

قال الشيخُ صالحٌ آل الشيخ: «الشيخ -رحمهُ اللهُ تعالى- له رسالةٌ أخرى بعنوانِ: «الأصول الثلاثة»؛ رسالة صغيرة أقلُّ من هذه علمًا؛ ليَعلَمها الصبيانُ والصغارُ، تلك يُقال لها: «الأصولُ الثلاثة»، وأما «ثلاثةُ الأصولِ» فهي هذه التي نقرؤها، ويكثرُ الخلطُ بين المسمَّيَيْن، ربما قيل لهذه: «ثلاثة الأصول»، أو «الأصول الثلاثة»، لكن تسميتها المعروفة أنها: «ثلاثةُ الأصولِ وأدلتُها»[1].

* * *

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ صالح آل الشيخ (ص ١١).

قال المصنفُ – رحمهُ اللهُ تعالى وغفَر له–:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.....

بدأ الشيخُ –رحمهُ اللهُ– بالبسملةِ، اقتداءً بكتاب الله –تعالى– فما مِن سورةٍ فيه إلا وهي مفتتَحةٌ بالبسملة، عدا سورةَ التوبة[١]، وكذلك تأسِّيًا بالنبي –صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– فإنه كان يبدأ كُتُبَه ورسائلَه بالبسملة؛ كما في كتابه إلى هرقلَ عظيمِ الروم: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، من محمدٍ عبدِ الله ورسوله...»[٢].

فالسنةُ في الرسائل بَدؤُها بالبسملة؛ لهذا الحديثِ، وأما الخُطَب فالسنة أن تُبدأ بالحَمْدلةِ؛ كما في حديث جابرٍ –رضيَ اللهُ عنهُ– قال: «كانت خطبةُ النبي –صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– يومَ الجمعة: يحمدُ الله ويثني عليه...»[٣]، وكما في خُطبةِ النبي

---

(١) تحفة الأحوذي (١/ ٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

-صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- التي كان يُعلِّمُها أصحابَه، وهي المشهورةُ بـ «خطبة الحاجة»، وفيها: «إنَّ الحمدَ لله؛ نحمدُه...»[١]. قال الحافظُ ابنُ حجر -رحمهُ اللهُ-: «وقد استقرَّ عملُ الأئمة المصنِّفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظمُ كتبِ الرسائل»[٢].

وقال شيخُنا صالحٌ الفوزان: «فهي مَطلعٌ عظيمٌ للكلام، وللكتبِ والرسائلِ، فالإنسانُ يستعيُن بالله في بدايتها، ويَتبرَّكُ باسمه -سبحانهُ وتعالَى-»[٣].

ومن الأمور المنكَرة التي تشبَّه فيها بعضُ كُتَّاب العصر بأهل الغرب، خلوُّ المصنَّفات من ذكر الله -تعالى- البتَّةَ، فلا تجدُ فيها بسملةً، ولا حَمْدَلةً، ولا غيرَها؛ يتشبَّهون في ذلك بمَن لا خلاقَ لهم من أعداء الإسلام، ويعُدُّون ذلك إبداعًا، ويُسَمُّون ما جرى عليه عملُ سلفِنا الصالحِ -رضيَ اللهُ عنهمْ- وعملُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١١٨).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٩).

(٣) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ الفوزان (ص ١٢).

أهلِ العلم بـ «الأسلوب التقليديِّ»؛ تزهيدًا للنَّشْءِ في كتب سلفِنا الصالح، وكتبِ أهل العلم مِن بعدهم، وتقليلًا من شأنها! ولا شك أن هذا من الخيانة للمسلمين -والعياذُ بالله- فعلى المؤمن أن يهجُرَ هذه المناهجَ الوافدةَ، والطرقَ المنحرفةَ، ويَلزَمَ هَدْيَ السلفِ الماضِينَ وأهلِ العلم الرَّبَّانيين.

قولُه: «بِسْمِ» جارٌّ ومجرورٌ متعلِّق بمحذوف، وهذا المحذوفُ فعلٌ مؤخَّر يُقدَّر مناسِبًا للحال والمقام، فتقديرُه هنا مثلًا: بسم الله أقرأُ، أو أكتبُ.

وقُدِّر المحذوفُ فعلًا لأن الأصلَ في العمل النحويِّ للأفعال، وقُدِّر مؤخرًا لفائدتين:

الأولى: التبرُّكُ باسم الله -تعالى-.

الثانيةُ: إفادةُ الحصر؛ لأن تقديمَ المتعلِّق يفيدُ الحصرَ[1].

---

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص ١٧).

والباءُ للاستعانة أو التبرُّك[١]؛ والمعنى: أبدأُ مستعينًا بالله، أو متبرِّكًا بذكر اسمه -سبحانهُ وتعالَى-.

و«الله» عَلَمٌ على ذاته -سبحانهُ وتعالَى- وهو أعرَفُ المعارفِ على الإطلاق[٢]، ولا شكَّ أن الاستعانةَ بالله -تعالى- بين يَدَيِ المقاصدِ العظيمة علامةٌ على التوفيق والنجاحِ فيها، ومَن استعانَ بالله أعانَه، ومَن بغيره استعانَ فلا يُعانُ.

و«الله» قيل: اسمٌ جامد، والأرجحُ أنه مشتقٌّ، واشتقاقُه -على المشهور- من: أَلَهَ[٣] يَأْلَهُ إلهةً وألوهةً؛ بمعنى عَبَد، والمفعولُ مألوهٌ، وإلهٌ بمعنى مألوه، أي: معبود، فهو فِعَال بمعنى مفعول، ومِن أحسَنِ ما قيل في معنى لفظ الجلالة ما ذكره ابنُ عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- في قوله: «اللهُ: ذو الألوهيَّةِ والعبوديةِ على خلقه أجمعين»[٤].

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٣٨)، فيض القدير (١/ ٣).

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١/ ٥٥)، التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة (ص: ١٣).

(٣) بفتح اللام في الماضي على الأرجح، وقيل بكسرها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٢١).

«الرَّحْمَن الرَّحِيم» اسمانِ من أسمائه -سبحانهُ وتعالَى- اشتُقَّ منهما صفةُ الرحمة، وأحدُهما أوسعُ من الآخَر؛ لأن الزيادةَ في المباني تدلُّ على الزيادة في المعاني[١]، فـ «الرَّحْمَن» أكثرُ من «الرَّحِيم» حروفًا؛ وهو أعمُّ وأوسعُ معنًى كما قال المفسِّرون؛ فقد قالوا في تفسير «الرَّحْمَنِ»: إنه ذو الرحمة العامة[٢]، وفي تفسير «الرَّحِيم»: إنه ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين[٣]، قال -تعالى-: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال -تعالى-:﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]. قال بعضُ السلف: «الرحمنُ بجميع الخلق، الرحيمُ بالمؤمنين»[٤].

---

(١) انظر: المثل السائر لابن الأثير (٢/ ١٩٧).

(٢) التفسير الميسر (١/ ١).

(٣) التفسير الميسر (١/ ١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٦).

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:

.....

قولُه: «اعلَمْ»: فعلُ أمرٍ مشتقٌّ من «العلم»، والعلمُ: ضدُّ الجهل ونقيضُه؛ يُقال: فلانٌ عالم؛ أي: ليس بجاهل، ويُقال: فلانٌ جاهل؛ أي: ليس بعالم، وقد اختلف أهلُ العلم في حَدِّ العلم وتعريفه اختلافًا طويلًا تجدُه في مقدِّمات بعضِ كتب الأصول، حتى قال بعضُهم: العلمُ لا حَدَّ له[1]، ومِن أحسَنِ ما قيل في تعريفه: إنه: «إدراكُ الشيءِ على ما هو عليه إدراكًا جازمًا»[2]؛ لأن هذا الحد يُعَدُّ جامعًا مانعًا سالمًا من الاعتراضات الكثيرةِ التي اعتُرض بها على غيرِه من التعريفات.

وينقسم العلمُ إلى قسمين: ضروريٍّ ونَظَريٍّ.

فالعلم الضروري: ما يكون إدراكُ الشيء فيه بغير نظر ولا استدلال؛ كالعلوم الفطرية؛ كعلم الإنسان بوجود نفسه، والعلومِ الحسية؛ كحرارة النار وبرودة الثلج.

---

(١) التحبير شرح التحرير (١/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ ابن عثيمين (ص ١٨).

والعلم النظري: ما يَحتاجُ إلى نظر واستدلال؛ كالعلم بوجوب الفرائض، وحرمة الكبائر[١].

وعبَّر الشيخُ -رحمهُ اللهُ- بقوله: «اعْلَمْ» لأنه أراد تنبيهَ السامع[٢] على أن الأمرَ الآتيَ ذكرُه له قدرٌ عظيم، وشأنٌ مهم؛ ينبغي للمسلم أن يُعنَى به، وأن يُصغِيَ إليه، ففعلُ الأمر في هذا المقام يُراد به التنبيهُ.

وهذا أسلوبٌ قرآني، ومنهجٌ رباني؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

قولُه: «رحِمَك اللهُ»، هذه الجملةُ خبريةٌ لفظًا إنشائيةٌ معنًى[٣]؛ لأن المرادَ بها: الدعاءُ للمتعلم، وهذا فيه تلطُّف من الشيخ، وتنبيهٌ على أن مبنَى هذا العلمِ على

---

(١) التمهيد في أصول الفقه (١/ ٤٢).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١١).

(٣) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١١).

التلطف والرحمة بالمتعلمين[١]؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

فالشيخُ -رحمهُ اللهُ- هنا يدعو اللهَ لطلبةِ العلم؛ أن يرحمَهم؛ فهذا دعاءٌ لك يا طالبَ العلم بالرحمة؛ دعاءٌ من عالم جليلٍ، ورجلٍ صالح -فيما نحسبُ- فيُرجى له القَبولُ إن شاء الله؛ وهذا أحدُ منافعِ العلماء وآثارِهم العظيمةِ في الناس: الدعاء لهم؛ وفي ذلك يقولُ إمامُ السنة وقامعُ البدعة أحمدُ بنُ حنبلٍ -رحمهُ اللهُ- في خُطبةِ كتابه العظيمِ «الردِّ على الجهميَّةِ والزنادقةِ»[٢]: «الحمدُ لله الذي جعلَ في كل زمانِ فترةٍ من الرسل بقايا مِن أهل العلم، يَدْعُون مَن ضلَّ إلى الهدى، ويَصبِرون منهم على الأذى، يُحيُون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قتيلٍ لإبليسَ قد أحيَوْه، وكم مِن ضالٍّ تائهٍ قد هدَوْه، فما أحسنَ أثرَهم على الناس، وأقبحَ أثرَ الناسِ عليهم».

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول وأدلتها» للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٦٣).

(٢) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٥٥).

وقد جرت عادةُ علماء الحديث في مجالسِ الإملاء أن يفتتِحوا المجلسَ بالحديث المسلسَلِ بالأوَّلية؛ وهو قول النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «الراحمون يرحمُهم الرحمنُ»[1]؛ ولعلَّ في ذلك تذكيرًا لطلبة العلم بالرحمة التي تُنالُ في مجالسِ العلم، وبالبركة التي تُحصَّل بالحضور فيها، وبأنَّ أهلَ العلم يَعقِدون هذه المجالسَ رحمةً بطلاب العلم؛ وبأن ما قد يلاقيه طالبُ العلم في هذه المجالسِ من تعبٍ أو ضجرٍ، أو جَفْوة أو تأديبٍ من الشيخ؛ كلُّه من الرحمة، فيصبرُ ويتحمَّلُ، وقديمًا قال يحيى بنِ أبي كثيرٍ -رحمهُ اللهُ-: «لا يُستطاعُ العلمُ براحةِ الجسمِ»[2].

وفي هذه الجملةِ فائدةٌ لطيفة؛ وهي: أن الشيخَ -رحمهُ اللهُ- أمر بالعلم في قوله: «اعْلَم»، ثم دعا بعد ذلك بالرحمة في قوله: «رَحِمَكَ اللهُ»؛ فجمع بين أمرين هما سببُ الخير العظيم؛ لأن أصلَ الشرِّ إنما يأتي من أمرين: الجهل والذنوب؛ فأمَرَك بالعلم لترتفعَ به عن حضيضِ الجهل، ودعا لك بالرحمة ليُغفَر لك مِن ذنبك بإذن الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١).

(٢) صحيح مسلم (٦١٢).

أَنَّه يَجِبُ عَلَيْنَا تَعلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ.

.....

قولُه: «أَنَّه»، الهاء فيها ضميرُ الشأن، وضابطُه الذي يُعرف به: أنه لا يكونُ له مرجعٌ سابقٌ في الكلام.

قولُه: «يَجِبُ عَلَيْنَا»، أي: معشرَ الثَّقَلين: الجن والإنس؛ مؤمنِهم وكافرِهم؛ أما الجنُّ فهم مخاطَبون بالشريعة أصولًا وفروعًا، وقد يختلفون عن الإنس في بعض المسائل؛ لاختلاف هيئاتهم وحقيقتهم، وأما الكفارُ فهم مخاطَبون بأصول الشريعة اتفاقًا، وكذلك بفروعها على الأصحِّ[1].

والوجوبُ في اللغة: السقوط؛ يُقال: وجَب الشيءُ يجِبُ فهو واجبٌ: أي: ساقط[2]؛ قال الله -تعالى-: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ [الحج:٣٦]، أي: سقطت[3].

---

(١) انظر: «نثر الورود» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (١/ ٢٦٢).

(٢) معجم متن اللغة (٥/ ٧٠٧).

(٣) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص٨٥٤).

والواجب في الاصطلاح هو: ما اقتَضَى الشرعُ فعلَه اقتضاءً جازمًا[١].

وهو ينقسم إلى قسمين: عَيْنِيٍّ وكِفَائِيٍّ[٢]:

فالواجب العيني: هو ما طلَب الشرعُ فعلَه من كل مكلَّف بعَيْنه؛ كالصلاة والزكاة والحج.

والواجب الكفائي: هو ما طلَب الشرعُ حصولَه من غيرِ تعيينِ فاعله؛ كصلاة الجنازة.

فضابطُ الواجب العيني: أن ينظُرَ الشارعُ فيه إلى ذاتِ الفاعل؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم.

وضابطُ الواجب الكفائي: أن ينظُرَ الشارعُ فيه إلى نفس الفعل، بقَطْع النظر عن الفاعل[٣].

---

(١) انظر: «شرح مختصر الروضة» (١/ ٢٦٥).

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: «مذكرة في أصول الفقه» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي (ص١٨).

والوجوب حكمٌ شرعي لا بد أن يدُلَّ عليه دليلٌ، والشيخ -رحمهُ اللهُ تعالى- استدلَّ لهذه المسائلِ الأربع بأدلة كثيرة؛ منها الخاصة، ومنها العامة، وسيتبيَّنُ ذلك في المتن فيما يأتي.

قولُه: «تعلمُ أَرْبعِ مسائلَ»، أي أن نطلبَ العلمَ بهذه المسائلِ الأربع، والمسائلُ: جمعُ مسألة، وهي في الأصل مصدرٌ بمعنى السؤال؛ يُقال: سأَل السائلُ سُؤْلًا وسؤالًا ومسألةً، والمراد بها هنا: المَبْحَث، سُميت بذلك لأنها يجبُ أن يُسألَ عنها ويُعْنَى بها[1]، وقد يكونُ الشيخُ -رحمهُ اللهُ- عبَّر بقوله: «مَسائلَ» لأنه قد سُئل عن أمرٍ وأجاب عنه على طريقة التقسيم؛ وذلك لأنه -رحمهُ اللهُ- كان حريصًا على تقريب العلم إلى العامة؛ لأن طريقةَ التقسيم مِن أحسنِ الطرقِ التي تُقرِّبُ العلومَ إلى الفُهُوم وتُعينُ على ضَبْطها، فهذه المسائلُ الأربع من العلم الواجبِ تعلمُه؛ وأهلُ العلم قسَّموا العلومَ إلى قسمين[2]:

---

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» الشيخ الفوزان (ص١٦).

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٤٢).

أ- علوم شرعية: وهي المقصودةُ عند الإطلاق في النصوص القرآنية، والأحاديثِ النبوية، والآثارِ السلفية التي وردت في فضل العلم وأهله، وما رُتِّب لهم من ثوابٍ عظيم، وأجرٍ جزيل، وضابطُها: «معرفةُ الحقِّ بدليله»، قال الإمامُ الربَّانيُّ ابنُ قيمِ الجَوزيَّةِ -عليه رحمة رب البرية- في القصيدة النونية الموسومة بـ«**الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**»:

والعلـمُ معرفـةُ الهـدى بدليلـه ما ذاك والتقليـدُ مُسـتوِيانِ[1]

والعلمُ الشرعيُّ: منه ما هو واجبٌ طلبُه وتعلمُه وجوبًا عَيْنيًّا؛ كهذه المسائل الأربعِ، وثلاثةِ الأصول، وأصولِ الإيمان، وأحكامِ الطهارة، والصلاةِ، والصيام، والزكاةِ لِمَن مَلَكَ مالًا تجبُ فيه الزكاةُ، والحجِّ لِمَن استطاع ذلك، وما يجبُ اجتنابُه من المحرمات؛ وما عدا ذلك فهو من فروض الكفايات؛ والأولُ هو المقصود بقوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلم»[2].

---

(١) انظر: «القصيدة النونية» (ص ٩٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤).

قال الخطيبُ البغدادي: «قال بعضُ أهل العلم: إنما عنَى رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بهذا القولِ علمَ التوحيد، وما يكونُ العاقلُ مؤمنًا به؛ فإنَّ العلمَ بذلك فريضةٌ على كل مسلم، ولا يَسَعُ أحدًا جهلُه؛ إذ كان وجوبُه على العموم دون الخصوص»[1].

وقد ذكر الحافظُ ابنُ حجر -رحمهُ اللهُ- ضابطًا للعلم الشرعي؛ فقال: «العلم الشرعي: الذي يُفيد معرفةَ ما يجبُ على المكلَّف من أمرِ دينه؛ في عباداته ومعاملاته، والعلمِ بالله وصفاته، وما يجبُ له من القيامِ بأمره، وتنزيهِه عن النقائصِ، ومدارُ ذلك على التفسيرِ والحديثِ والفقهِ»[2].

ب- علوم دنيوية: وهي ما يُعينُ العبدَ على الكَسْب والمعيشة؛ حتى يقومَ بما أوجبَ اللهُ عليه؛ كعلوم الطب والهندسة، والصناعاتِ النافعة. وإذا أخلص العبدُ النيةَ في الاشتغال بها؛ لكسبِ الحلال ونفعِ المسلمين؛ أُجِر على ذلك.

---

(١) انظر: «الفقيه والمتفقه» (ص١٣١).

(٢) انظر: «فتح الباري» (١/ ١٤١).

الْأُولَى: العِلْمُ؛ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

.....

قولُه: «الأُولى»، أي من المسائلِ الأربعِ التي يجبُ علينا تعلمُها: مسألة العلم، وعرَّفه بقوله: «وهو: معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّه، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ»، وهذه هي الأصولُ الثلاثة التي عقَد الشيخُ هذه الرسالةَ لبيانها، وهي أصولٌ عظيمةٌ كثُر الجهلُ بها والزهدُ فيها -والعياذ بالله- فعلى المسلمين الحرصُ عليها وتعلمُها وتعليمُها.

وعبَّر الشيخ -رحمهُ اللهُ- هنا عن العلم بالمعرفة، وهذا قد يوحي بأنهما مترادفان؛ وهذه مسألة خلافية بين العلماء، ذكَرها بعضُ أهل اللغة[1]، وأشار إليها علماءُ الأصول[2]؛ فقيل: إنهما بمعنًى واحدٍ، وقيل: بينهما عمومٌ وخصوص، ولا حاجةَ للتوسُّع في هذه المسألة؛ لأن مثلَ تلك الدقائقِ لا تناسبُ هذه الرسالةَ الوجيزة؛ ولذلك أكتفي -في هذه المسألة- بتقرير حسنٍ، للإمام شمسِ الدين ابنِ القيِّم

---

(١) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص٨٠).

(٢) انظر: شرح مختصر الروضة (١/ ١٧٤).

-رحمهُ اللهُ-، إذ قال: «الفرقُ بينه [أي العلم] وبين المعرفة من وجوهٍ ثلاثة:

أحدُها: أن المعرفة لُبُّ العلم، ونسبةُ العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان، وهي علمٌ خاصٌّ، متعلَّقها أخفى من متعلق العلم وأدقُّ.

والثاني: أن المعرفةَ هي العلم الذي يُراعيه صاحبُه بموجَبِه[١] ومقتضاه، فهي علمٌ تتصلُ به الرعايةُ.

والثالث: أن المعرفة شاهدٌ لنفسها، وهي بمنزلة الأمور الوِجدانيةِ، التي لا يُمكِنُ صاحبَها[٢] أن يشُكَّ فيها، ولا ينتقلَ عنها.

وكَشْفُ المعرفة أتمُّ من كشفِ العلم. والله -سبحانهُ وتعالَى- أعلمُ»[٣].

فـ «مَعْرِفةُ اللهِ» -سبحانهُ وتعالَى- معناها: معرفة أنه الإله الحقُّ، المتفرِّدُ بالخلق،

---

(١) بفتح الجيم هنا؛ لأن المقصود الأثر والنتيجة.

(٢) بفتح الباء؛ لأنه مفعول به مقدم، والفاعل هو المصدر المنسبك من (أن) والفعل (يشك).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٣).

والرزق، والملك، والتدبير، وأن له الأسماءَ الحسنى والصفاتِ العلا، وأنه المنزَّه عن النقص والعيب، وعن مماثلة خلقه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وأنه المستحِقُّ للعبادة، ولا يُشرَك معه أحدٌ من خلقه في عبادته؛ قال -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

وقد عرَّف الله -سبحانهُ وتعالَى- عبادَه نفسَه بأمور كثيرة؛ أهمُّها خمسة:

الأولُ: ما فطَرهم عليه من التعلُّقِ به، والتوجُّهِ إليه، والالتجاءِ إليه، وطَلَبِه، والطُّمَأنينةِ إليه؛ فإنهم لو تُرِكوا وفطرتَهم؛ لبَقُوا حنفاءَ مائلين إليه، غيرَ مشركين به، ولا متعلِّقين بسواه.

الثاني: ما أخبرهم به من أسمائه، وصفاته وأفعاله؛ الدالةِ على كمالِ ذاته ومُبايَنتِه لمخلوقاته، وعظمةِ شأنه، وعِزِّ سلطانه؛ فهو -سبحانهُ وتعالَى - ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

الثالثُ: آياتُه الشرعية، والأحاديثُ الثابتة عن نبيه محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- فإنها هاديةٌ إليه، ودالَّةٌ على حقِّه والطريقِ الذي يُرضيه، ومُحذِّرةٌ من السُّبُل التي تُبعِدُ عنه، وتجلبُ لسالكها غضبَه، وسخطَه، وعذابَه، وعِقابَه.

الرابعُ: آياتُه الكونية في الأنفُس والآفاق، وتدبيرُه لملكه، وما فيه من الإبداع والاتساق؛ فإنها كلَّها دالةٌ على علم الله -تعالى- وحكمته، وقدرتِه، وقوتِه، وباعثةٌ على التوكل عليه والثقةِ به.

الخامسُ: إنعامُه وآلاؤه العامة والخاصة والظاهرة والباطنة، التي لا تُعَد ولا تُحصَى؛ فهي دالَّةٌ على كمال غِناهُ، وكرمِه، وجودِه، وفضلِه، ورحمته، وباعثةٌ على محبَّته، والرغبةِ إليه، وصدقِ اللجوء وغايةِ الافتقار إليه[1].

وهنا مسألة مهمة؛ وهي: هل يجوزُ للمكلَّف أن يكونَ مقلِّدًا لغيره في الاعتقاد؟

الجواب: قال الشيخ السَّفَّاريني: «قال علماؤنا وغيرُهم: يحرمُ التقليدُ في معرفة

---

(١) «إفادة المسئول» (ص٨٩).

الله -تعالى- وفي التوحيدِ والرسالة، وكذا في أركانِ الإسلام الخمسة ونحوِها مما تواتَرَ واشتَهَر عند الإمامِ أحمدَ -رضيَ اللهُ عنهُ- والأكثرِ، وذكره أبو الخطَّاب عن عامَّةِ العلماء، وذكر غيرُه أنه قولُ الجمهور، قاله في «شرح التحرير»، قال: وأطلق الحَلْوانيُّ[1] - من أصحابنا- وغيرُه مَنْعَ التقليدِ في أصول الدين»[2].

ولكنَّ ذلك لا يعني بطلانَ إيمانِ المقلِّدِ العامي في العقائدِ؛ لأنه يكفي أن يجزمَ بما يعتقدُ، ولا يُشترطُ أن يعرفَ الدليل[3]؛ وقد قال السفارينيُّ بعد ذلك: «والحقُّ الذي لا مَحِيدَ عنه، ولا انفكاكَ لأحد منه، صحةُ إيمان المقلِّد تقليدًا جازمًا، صحيحًا، وأن النظرَ والاستدلالَ، ليسا بواجبَينِ، وأن التقليدَ الصحيحَ محصِّلٌ للعلم والمعرفة»[4].

---

(١) بفتح الحاء نسبة إلى بيع الحلوى، وليس بضمها نسبة إلى حلوان كما ظن بعضهم.

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ١٦٨).

(٣) ذكر ذلك العلامة عبد الله أبا بطين مفتي الديار النجدية كما في: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤/ ٣٣٩).

(٤) «لوامع الأنوار البهية» (١/ ١٦٩).

فالإيمانُ على نوعين[1]: إيمانٍ إجماليٍّ وإيمانٍ تفصيليٍّ؛ فأهلُ الإيمان الإجمالي «من عوامِّ المسلمين ممَّن يُلقَّنون الاعتقادَ تلقينًا، ولا يقرؤون، ولا يكتبون»؛ لا يُلزَمون بالاستدلال، فلا يُقال لأحدهم: عليك أن تستدلَّ وتعرفَ الدليلَ في كل مسألة من مسائل الاعتقاد؛ لأن هذا ليس من شأنهم، وإنما الذي يلزمُهم العلمُ بأمور الاعتقاد علمًا إجماليًّا، لكن مَن كان لديه قدرةٌ على الاستدلال؛ فينبغي له أن يتعلمَ أمورَ دينه بالدليل، والمقصودُ بالدليلِ هنا: الدليلُ من كتاب الله، وسنةِ نبيِّه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

وقد رجَّح الشيخُ ابنُ عثيمين صحةَ التقليدِ في المسائلِ التي يُطلَب فيها الجزمُ، وأشار إلى أن القولَ بمنع التقليد في ذلك ضعيفٌ؛ لثلاثة أمور:

أولا: أن الله أحالَ على سؤال أهل العلم في مسألةٍ من مسائلِ الدين التي يجبُ فيها الجزمُ؛ فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٣٩).

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وواضحٌ أننا نسألُهم لنأخذَ بقولهم، ومعلومٌ أن الإيمان بأنَّ الرسل -عليهمُ السلامُ- رجالٌ؛ هو من العقيدة، ومع ذلك أحالَنا اللهُ فيه إلى أهل العلم.

ثانيًا: قال -تعالى-: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤]، وإنما يسألُهم ليرجعَ إليهم، فإذا كان هذا الخطابُ للرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وهو لم يشُكَّ؛ فعامَّةُ الناس إذا شكُّوا في شيء من أمور الدين؛ فإنهم يرجعون إلى الذين يقرؤون الكتابَ من أهل العلم؛ ليأخذوا بما يقولون، وهذا عامٌّ يشملُ مسائلَ العقيدة وغيرها.

ثالثًا: أننا لو ألزمنا العاميَّ بترك التقليد؛ والتزامِ الأخذِ بالاجتهاد؛ لألزمناه بما لا يطيقُ، وقد قال -تعالى-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

فالصواب: أن ما يُطلَبُ فيه الجزمُ يُكتفَى فيه بالجزم، سواءٌ عن طريق الدليل، أو

عن طريق التقليد[١].

قولُه: «وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ» محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وتفصيلُ ذلك سيذكُرُه المصنفُ -رحمهُ اللهُ- في آخر الرسالة.

قولُه: «وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدلةِ»، الباء في قوله: «بِالأدلةِ» للمصاحَبة؛ أي: مع الأدلة، نحوُ قوله -تعالى-: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة:٦١]، أي: مع الكفر، وقولِه -تعالى-: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ [طه:٧٨] أي: مع جنوده[٢]، فقوله -رحمهُ اللهُ- «بِالأدلةِ»، أي: مصحوبًا بالأدلة، لا بمجرد التقليد.

والأدلة: جمعُ دليل، وهو: ما يحصلُ به الاهتداءُ إلى المطلوب[٣]، والأدلة أنواعٌ[٤]؛ فأصلُها: القرآنُ الكريم، والسنة النبوية، ويتفرَّعُ عنهما أدلةٌ أخرى؛

---

(١) شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (٣٠٨ - ٣١٢).

(٢) انظر: «رصف المباني في شرح حروف المعاني» للمالقي (ص ٢٢٢).

(٣) العدة في أصول الفقه (١/ ١٣١).

(٤) تيسير علم أصول الفقه (ص: ١٣).

كالإجماع، والقياس.

قال ابنُ القيم -رحمهُ اللهُ-:

العلـــمُ قـالَ اللهُ قـالَ رســولُه قـالَ الصحـابـةُ هـم أولـو العِرفـانِ

مـا العلـمُ نَصْبُـكَ للخـلافِ سـفاهةً بـيــن الرسـولِ وبيــن رأيِ فُـلانِ[1]

أما أقوالُ أهل العلم الراسخين من محدِّثين وفقهاءَ؛ فليست أدلةً بنفسها، وإنما هي توضيحٌ وتبيينٌ لكلام الله ورسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يُستعانُ بها على الفهمِ عن الله ورسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- والفقهِ في الدين[2].

وأما الأدلةُ على التوحيد والدينِ والرسالةِ؛ فهي متنوعةٌ:

أ- **فمنها أدلةٌ سمعية**: أي من الوحي، كقوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام:١٠٢] الآيةَ،

---

(١) «نونية ابن القيم» (١/ ٢٢٦).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/ ١٣).

وقولهِ –تعالى–: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩]، الآيةَ، وقولهِ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ب– **ومنها أدلة عقلية**: أي مبنيةٌ على النظر والتأمُّل العقلي؛ ويندرجُ تحتها:

١– الأدلة العقلية على **الألوهية**؛ أي أن الخالقَ للخلق هو المستحِقُّ للعبادة وحدَه.

٢– الأدلة العقلية على **التشريع**؛ أي أن اللهَ –تعالى– لا بد أن يجعلَ لعباده دينًا يعبدونه به.

٣– الأدلة العقلية على **النبوات**؛ أي أن اللهَ –تعالى– لا بد أن يُرسِلَ رسولًا يدعو عبادَه إليه، ويبيِّنُ لهم كيف يعبدونه؛ لأنَّ هذا هو اللائقُ بحكمته ورحمته، وفضلِه وعدله[1].

(١) «إفادة المسؤول» (ص٩١٠).

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

.....

قولُه: «العملُ بِه»، أي: العمل بهذا العلم الذي تعلمتَه؛ «وهو المشارُ إليه في المسألة الأولى»، فمَن عرَف الله، وعرَف نبيَّه الذي أرسله إلى الناس بالبيِّنات والهدى ودينِ الحقِّ ليخرجَهم من الظلمات إلى النور، وعرَف أحكامَ هذا الدين بالأدلة؛ فقد صار عالمًا بما يجبُ عليه، والذي يُنتظَر من العالم هو أن يعملَ بعلمه، لا أن يتفاخرَ به، أو يتجمَّلَ به في المحافل؛ فالعلمُ وسيلة والعملُ غاية، والعلمُ شجرة والعملُ ثمرة، فمَن علِم ولم يعملْ؛ كان العلمُ حُجةً عليه ووبالًا، قال الخطيبُ البغدادي: «فلا تأنَسْ بالعمل ما دمتَ مستوحِشًا من العلم، ولا تأنَسْ بالعلم ما كنتَ مقصِّرًا في العمل، ولكنِ اجمَعْ بينهما وإن قَلَّ نصيبُك منهما، وما شيءٌ أضعفُ من عالمٍ تركَ الناسُ علمَه لفسادِ طريقته، وجاهلٍ أخذَ الناسُ بجهله لنظرِهم إلى عبادته»[1].

---

(١) «اقتضاء العلم العمل» (ص١٨).

فمَن لم يعملْ بعلمه: كان من المغضوبِ عليهم؛ ففي الحديث: «إنَّ أولَ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ ثلاثةٌ»، وذكر منهم: عالمًا لم يعملْ بما علِم[1].

والمقصودُ بالعمل هنا: الاتِّباعُ والسيرُ على ما يقتضيه هذا العلمُ؛ من الإيمان بالله -تعالى- وامتثالِ أوامره، واجتنابِ نواهيه؛ وَفْقَ ما جاء في كتاب الله، وسنة نبيه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- كما قال -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

---

(١) أخرجه مسلم (ح ١٩٠٥).

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

.....

قولُه: «الدَّعوةُ إليه»، يعني أن العبدَ إذا تعلَّم وعمِل بما تعلَّم؛ فقد كمَّل نفسَه، فعليه بعد ذلك أن يسعى في دعوة غيره إلى سلوك هذه السبيل؛ قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

ولكن لا بد -مع هذا- من تحقيق الإخلاص في الدعوة؛ قال شيخُ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهَّاب في مسائل: «كتاب التوحيد» معلِّقًا على هذه الآية: «الثانيةُ: التنبيهُ على الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلى الحقِّ فهو يدعو إلى نفسه»[1].

والبصيرةُ التي في قوله -تعالى-: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] معناها العلمُ بالأحكام الشرعية.

وليَعلمِ المسلمُ أن الدعوة إلى الله هي وظيفةُ الرسل والأنبياء -عليهمُ السلامُ-،

---

(١) كتاب التوحيد: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، (ص ١٣٣).

وهي طريقةُ مَن تبِعهم بإحسان[1]، وقد أخذ اللهُ على العلماء الميثاقَ لَيُبَيِنُنَّ للناس ما علموا من أمور الدين؛ ليَدْعوا الناسَ إلى الحق، ويُخرجوهم من الظلمات إلى النور؛ قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

فإذا مَنَّ الله -تعالى- على العبد بمعرفة الحق وقَبولِه والعملِ به؛ فعليه أن يدعوَ الناسَ إلى الحق؛ لأن ذلك من أسباب الثبات عليه، وكذلك من شُكر الله -تعالى- على نِعَمِه- وهو أيضًا من الإحسان إلى خلقه، والقيامِ بحقِّهم، وأيضًا يستعينُ المسلمُ بذلك على الاجتهاد في طاعة الله وَفْقَ شريعته.

وبذلك يستزيدُ العبدُ من العلم والعمل، ويستكثرُ من الخير والفضل، ويتحلَّى بتقوى الله -سبحانهُ وتعالَى-، ويكونُ من أهل الإحسان، الموعودِين بالإحسان من الرحمن -سبحانهُ وتعالَى-.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٢٣).

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

.....

قولُه: «الصَّبرُ»، هو لغةً: نقيضُ الجَزَع، يُقال: صبَر يصبِر صبرًا؛ فهو صابر، وصبَّار، وصَبِير، وصَبُور.

وأصلُ الصبر: الحَبْسُ، وكل مَن حبَس شيئًا؛ فقد صَبَرَه[١].

والصبرُ في الشرع، هو: حبسُ النفس عن محارم الله، وحبسُها على فرائضه، وحبسُها عن التسخُّط والشِّكاية لأقداره[٢].

وعلى هذا فالصبرُ ينقسم إلى ثلاثة أقسام[٣]:

أ- صبر على طاعة الله.

ب- صبر عن معصية الله.

ج- صبر على أقدار الله وأحكامه الكونية القدرية.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (ص ٧٠٦)، ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٤٣٧).

(٢) انظر: رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص ١٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٦٣).

والدَّلِيلُ: قَوْلُه -تَعَالَى-: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

.....

استدلَّ المصنِّفُ -رحمهُ اللهُ- على هذه المسائلِ الأربعِ بسورة العصر؛ وهي سورةٌ عظيمة يَحتاجُ كلُّ مسلم إلى معرفتها وتفهُّم معناها، فإليك بيانَها باختصار:

بدأتِ السورةُ بقوله -تعالى-: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر:١]، وهذا قسَم من الله، واللهُ -جل وعلا- يُقسِم بما يشاءُ من خلقه؛ لأنه الخالقُ، وفي القرآن أمثلةٌ كثيرة على ذلك.

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر:١] هو الزمن؛ أي: الليل والنهار[1]؛ ولله -سبحانهُ وتعالَى- لا يُقسِم إلا بما فيه عِبرةٌ، وتعاقُبُ الليل والنهار عِبرةٌ عظيمةٌ للمعتبِرين، فأقسم الله به لأنه محلُّ العمل، والإنسانُ فيه إما رابحٌ وإما خاسر.

و«أل» في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢] للجنس؛ أي: جنس الإنسان، وليست

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ٥٨٩).

للعَهْد كما توهَّم بعضُهم؛ بدليل الاستثناء؛ لأن الاستثناءَ معيارُ العموم؛ كما هو مقرَّر في علم الأصول.

﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:٢] أي: في خَسارة؛ فالأصلُ في كل إنسانٍ أنه في خسارة وهلاك، ثم استثنى اللهُ -تعالى- من ذلك الذين جمعوا هذه الأمور: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

فهذه السورةُ حوَت الدليلَ الواضحَ الشاملَ لهذه المسائل الأربع:

الأولى: العلمُ؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر:٣]؛ أي: عرَفوا الحق وصدَّقوا به[1].

والثانيةُ: العملُ؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر:٣]؛ أي: عمِلوا بما علِموا من الحق.

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٣).

والثالثةُ: الدعوةُ إليه؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر:٣]؛ أي وصَّى بعضُهم بعضًا؛ تعليمًا وإرشادًا.

والرابعةُ: الصبرُ على الأذى فيه؛ ويُستدل لها بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]؛ أي: صبَروا على الحق، ووصَّى بعضُهم بعضًا بالصبر عليه(١).

قال الإمامُ شمسُ الدين ابنُ القيِّم -بعد كلامه على هذه الأصول العظيمة، والمراتب المُنيفة-: «وهذا نهايةُ الكمال؛ فإن الكمالَ أن يكونَ الشخصُ كاملًا في نفسه مكمِّلًا لغيره، وكمالُه بإصلاح قُوَّتَيْه: العِلْمية والعَمَلية، فصلاحُ القوة العِلْمية بالإيمان، وصلاحُ القوة العَمَلية بعمل الصالحات، وتكميلُه غيرَه بتعليمِه إيَّاه، وصبرِه عليه، وتوصيتِه بالصبر على العلم والعمل، فهذه السورةُ - على اختصارها- هي مِن أجمعِ سُوَرِ القرآن للخير بحذافيره، والحمدُ لله الذي جعل كتابَه كافيًا عن كلِّ ما سواه، شافيًا من كل داءٍ، هاديًا إلى كل خير»(٢).

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٣).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٣، ١٥٤).

وهذه الأصولُ العظيمة هي التي أوصى بها لقمانُ ابنَه في موعظته إيَّاه؛ فالعلم في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]؛ لأن في هذا: النهيَ عن الشرك، والنهيُ عن الشرك يتضمَّنُ الأمرَ بالتوحيد، فقد تقرَّر في علم الأصول: أن الأمرَ بالشيء نهيٌ عن ضده، والنهيَ عن الشيء أمرٌ بضده، وعليه ففيه دليلُ العلم على التفصيل الذي سبَق ذكرُه.

وأما العملُ والدعوة والصبر ففي قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]؛ لأن في هذا: الأمرَ بالعبادةِ، والدعوةِ، والصبرِ على الأذى، والله أعلم.

قال ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «فإذا استكمل هذه المراتبَ الأربعَ، صار من الربانيِّين؛ فإن السلفَ مُجمِعون على أن العالمَ لا يستحِقُّ أن يُسمَّى ربانيًّا حتى يعرفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعلِّمه، فمَن علِم وعمِل وعلَّم؛ فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات»[1].

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٩).

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رحمهُ اللهُ تَعَالَى-: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ؛ لَكَفَتْهُمْ.

.....

قولُه: «لَو ما أنزلَ اللهُ حُجَّةً»، هذه المقولةُ مشهورةٌ عن الشافعي -رحمهُ اللهُ- نسَبَها إليه جمعٌ من أهل العلم والتحقيق بعبارات متقارِبة؛ منهم: النوويُّ الذي نقلها عن الشافعي بلفظ: «الناسُ في غفلة عن هذه السورة»[١]، ومنهم ابنُ القيِّم الذي ذكرها عنه بلفظ: «لو تفكَّر الناسُ كلُّهم في هذه السورة لكَفَتْهم»[٢]، ومنهم ابنُ كثير الذي ذكرها عنه بلفظ: «لو تدبَّر الناسُ هذه السورةَ لوسِعَتْهم»[٣].

وليس مقصود الشافعي -رحمهُ اللهُ- أن هذه السورة تكفي الخلقَ في جميع أمورِ الشريعة، ولا أنه يُستغَنى بها عن القرآن كلِّه؛ فهذا بعيدٌ؛ وإنما يَقصِدُ الشافعي -رحمهُ اللهُ- بهذه المقالة تنبيهَ الناس على أهمية هذه السورة، وأنَّ الله ذكَر فيها

---

(١) «المجموع» (١/ ١٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٥٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٢).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٤٧٩).

أسبابَ السعادة، وأسبابَ الشقاوة.

وقد جمعتْ هذه السورةُ الكريمةُ أيضًا على قِصَرها- التحذيرَ من مُوجِبات الخسران، والتنبيهَ على أسباب الفلاح، والفوزِ بعظيم الأرباح، في الدنيا والآخرة، جعلنا المولى -سبحانه- وإياكم من أهل الفلاح والصلاح.

وَقَالَ البُخَارِيُّ -رحمهُ اللهُ تَعَالَى-: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ[1].

.....

قولُه: «وَقَالَ البخاريُّ...» إلخ، أكَّد الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هنا ما قرَّر سابقًا؛ من أن العلمَ يسبقُ القولَ والعمل، وهذا الأمرُ متفقٌ عليه بين العلماء؛ فالعملُ لا ينفعُ بلا علم، فمَن عمِل بلا علم؛ كان عملُه وبالًا عليه يوم القيامة؛ قال الحسنُ البصري -رحمهُ اللهُ-: «طلبْنا هذا الأمرَ، ونظرْنا؛ فلم نجدْ أحدًا عمِل عملًا بغير علم إلا كان ما يُفسِدُ أكثرَ ممَّا يُصلِحُ»[2]، وصدَقَ واللهِ؛ فمَن عمِل في خاصَّة نفسه بلا علمٍ؛ ضَلَّ، ومَن دعا الناسَ على غير بصيرةٍ؛ أضلَّهم وزادَهم جهلًا، ومن علامات الساعة: قبضُ العلم، وانتشارُ الجهل، وتصدُّرُ الجُهَّال للإفتاء؛ كما في

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٠).

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (١/ ٢٣٤).

حديث عبد الله بن عمرِو بنِ العاص -رضيَ اللهُ عنهمَا- قال: سمعتُ رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقولُ: «إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُه من الناس، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يتركْ عالمًا اتخذ الناسُ رؤوسًا جُهّالًا؛ فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلّوا وأضلّوا»[1].

قوله: «وَقَالَ البخاريُّ»، يعني: في «صحيحه» الذي هو أصحُّ كتابٍ على وجه الأرض بعد كتاب الله -تعالى-.

ولفظُ البخاري في الصحيح: «بابٌ: العلمُ قبل القول والعمل؛ لقول الله -تعالى-: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فبدأ بالعلم»، فقولُ الشيخ -رحمهُ اللهُ- بعد ذلك: «قبل القَوْلِ وَالعَمَل» زيادةٌ للتأكيد؛ استفادَها من أولِ ترجمة البخاري.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٠٠).

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ[1]، وَالعَمَلُ بِهِنَّ.

.....

عبَّر الشيخُ -رحمهُ اللهُ- في المسائل الأربع التي تقدمت بقوله: «يَجِبُ عَلَينا»، وعبَّر هنا بقوله: «يَجِبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ»، والمعنى في العبارتين واحد، والمقصود مجردُ التنويع والتفنُّن في العبارة لدَرْء السآمة؛ وهذه المسائل أيضًا فرضُ عين على كل مسلم ومسلمة، وليست مخالفةً للمسائل السابقة، بل مؤكِّدةٌ لها، وتمهيدٌ لما بعدها.

والحكمُ بالوجوب في هذه المسائل ليس مجردَ اجتهادٍ من الشيخ -رحمهُ اللهُ-، بل هو صريحُ النص؛ إما من الله -عزَّ وجلَّ- فيما أنزل في كتابه، وإما فيما بيَّنه النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في سنته؛ وهو وجوبٌ عيني؛ على كل واحد من

(١) في معظم الطبعات (هذه الثلاث مسائل)، وهذا مشكل من جهة النحو، والتصحيح من: حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول.

المسلمين، وليس كفائيًّا؛ إذا قام به مَن يكفي سقط الإثمُ عن الباقين.

وقبل الدخول في شرح هذه المسائل الثلاث، نذكرُ شيئًا من فوائدها على وجه الإجمال؛ فمن ذلك:

أ- معرفةُ الحكمة من الخلق؛ وهي: عبادةُ الله -سبحانهُ وتعالَى-، وتحقيقُ ذلك إنما يكونُ بطاعته -سبحانهُ وتعالَى- فيما أمَر، واجتنابِ ما نهى عنه وزجَر.

ب- معرفةُ خطر الشرك على العبادة؛ إذ إنه يُبطِلُها، ويُحبِطُ جميعَ العمل.

ج- التمييزُ بين أولياء الله وأولياءِ الشيطان؛ لأنه يجبُ على أولياء الله المؤمنين أن يُحبوا ويُوالُوا إخوانَهم في الدين، وأن يُبغضوا ويُعادُوا مَن كفر وأشرك بالله -سبحانهُ وتعالَى-.

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا...

.....

قولُه: «أنَّ اللهَ خلَقَنا»، يعني أن الله -سبحانهُ وتعالَى- هو وحده الخالقُ الذي خلقنا، وأوجدنا من العدم بقدرته، وكلُّ عاقل يُدركُ ذلك؛ سواءٌ كان مؤمنًا أو كافرًا، وإن كان هذا الإدراكُ وحده لا يُغني الكافرَ من الله شيئًا.

والدليلُ على أن الله خلقنا سمعيٌّ وعقلي[1]، وإليك بيانَهما:

أ- السمعيُّ: وقد ورد في آيات كثيرة؛ منها: قولُه -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلا﴾ [الأنعام:٢]، وقول -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦]، وغيرُها كثيرٌ في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-.

ب-العقليُّ: وقد جاءت الإشارةُ إليه في قوله -تعالى-: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]؛ فإن الإنسانَ لم يخلُقْ نفسَه؛ لأنه قبلَ وجوده عدمٌ، والعدمُ ليس بشيء، وما ليس بشيء لا يُوجِدُ شيئًا، وكذلك لم يكنْ ليأتي هكذا بلا

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٢٩).

مُوجِد؛ لأن كلَّ حادث لا بد له من مُحدِث؛ ولأن وجودَ المخلوقاتِ على هذا النظام البديعِ، والتناسُقِ المتآلِف؛ يناقضُ أن تكونَ قد وُجدت هكذا اتفاقًا؛ لأن ما يوجدُ اتفاقًا لم يكن على نظام في أصلِ وجوده، فكيف يكونُ منتظِمًا حالَ بقائه وتطوُّره؟!

فتعيَّن بهذا: أن يكونَ الخالقُ هو اللهَ وحده، فلا خالقَ ولا آمِرَ إلا اللهُ[1]؛ قال تعالي: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وزيادةً في الإيضاح نقول: القسمة العقلية تقتضي ثلاثةَ احتمالاتٍ لا رابعَ لها[2]:

الأول: أننا خُلقنا بلا خالق، وهذا لا يمكنُ؛ لأن الخلقَ يتعلَّقُ بخالقٍ، كالتحريك يتعلَّقُ بمحرِّك، فلا يمكنُ أن يتحركَ شيءٌ من مكانه إلا بوجود محرِّكٍ له، وهذا أمرٌ ضروري يعرفُه العقلاءُ، فادعاءُ أننا خُلقنا بلا خالق أمرٌ غير ممكن، والعقلاءُ يقرون بهذا، حتى المعاندون منهم، فلو قيل لأحد العقلاء: «إنَّ قَصْرًا من القصور فيه كلُّ ما تشتهيه الأنفسُ وتتمناه، ولكن هذا القصر وُجد هكذا؛ من غير بِناء ولا

---

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ ابن عثيمين (ص٢٩).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٢٨).

إعداد»؛ لبادرَ إلى التكذيب، وقال: هذا لا يمكنُ؛ لأن مثل هذا القصر يحتاجُ إلى بنَّاء، ويحتاجُ ما فيه إلى عُمَّال وصُنَّاع.

الثاني: أننا خلَقنا أنفُسَنا، وهذا أشدُّ فسادًا مما قبله؛ لأننا قبل خلقنا معدومون، والمعدومُ لا يمكنُ أن يكونَ قادرًا على إيجاد نفسه؛ لأن العدمَ نقصٌ، والخلقَ كمالٌ، فكيف يكونُ الناقصُ كاملًا، هذا لا يمكنُ.

الثالثُ: أنه لا بد لنا من خالق؛ وهو الربُّ القادر.

فالآيةُ الكريمة أشارت إلى هذا الدليل العقلي بطريقة بديعة؛ فقولُه -تعالى-: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور:٣٥]، يعني: هل هم خُلقوا هكذا بلا خالق؟! وهذا هو الاحتمال الأول، وقولُه -تعالى-: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] يعني: هل هم خلَقوا أنفسَهم، وهذا هو الاحتمالُ الثاني، وكلاهما ممتنعٌ، فلم يبقَ إلا الاحتمالُ الثالث الذي لم تنُصَّ عليه الآيةُ إشارةً إلى وضوحه؛ لأن هذا أوقعُ في ذهن السامع من التصريح بأن الخالقَ هو الله -عزَّ وجلَّ-.

وَرَزَقَنَا...

.....

قولُه: «وَرَزَقَنَا»، أي أنه -سبحانهُ وتعالَى- هو الذي يُمِدُّنا بالرزق، ويتفضَّلُ علينا بالنعم الظاهرة والخفيةِ، والرزقُ: هو العطاء مطلقًا؛ وهو إما عامٌّ وإما خاصٌّ:

فالعامُّ: كل ما يَنتفع به البدنُ ويقومُ به؛ حرامًا كان أو حلالًا ومنه الطيب والخبيث.

والخاصُّ: ما يقومُ به الدينُ؛ من العلم النافع، والعمل الصالح، والرزق الحلال المُعِينِ على طاعة الله -تعالى-[1]، والله أعلم.

والأدلةُ على أن الله «رَزقَنَا» كثيرةٌ؛ من كتاب الله، وسنةِ نبيه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، ومن العقل أيضًا، وإليك بعضَها:

أ- الكتابُ: قال -تعالى-: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٢٠٣).

ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

ب- السنةُ: عن عبد الله بنِ مسعود -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: حدَّثنا رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وهو الصادقُ المصدوقُ، قال: «... ثم يبعثُ الله ملكًا، فيؤمرُ بأربعِ كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقيٌّ أو سعيد...»[1] الحديثَ.

ج- العقلُ: إن الله -سبحانه- جعلَ قِوامَ الإنسان بالطعام والشراب، وكلُّ ما ينالُه الإنسانُ من طعام أو شراب أو غير ذلك، هو من الرزق الذي يحتاجُ إليه الإنسانُ؛ وعليه فهو من خلق الله -سبحانه-؛ قال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨).

وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا...

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «وَلمْ يترُكْنا هَمَلًا»: أي: معطَّلِين شبهَ البهائم؛ فالله -سبحانه- لم يخلقِ الخلقَ عبثًا، ولم يتركْهم سُدًى، بل خلقهم لأمر عظيم وخَطْبٍ جسيم؛ قال -تعالى-: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]؛ أي: بلا أمر ولا نهي، وقال -تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، فنزَّه الله -تعالى- نفسَه عن أن يكونَ قد خلقَ الخلقَ هكذا هَمَلًا ضائعين؛ لأن هذا من سوء الظن الذي يُنزَّهُ عنه ربُّ العالمين.

فالله لم يخلقِ الخلقَ هملًا ولا سُدًى، وإنما خلقهم ليعبدوه -سبحانه-، ومن أجل تحقيق هذه الغايةِ بعَث الله الرسلَ وأنزل الكتبَ وشرَع الشرائعَ؛ كما قال -جل وعلا-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال -تعالى-: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ

خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف:٢١]، والنُّذُر: أي الرسل: ومعنى ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ أي: من قبل هود -عليهِ السلامُ- ومن بعده، وفي قوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف:٢١] بيانُ مهمَّة الرسل؛ وهي: الدعوة إلى الغاية التي خُلق الخلقُ لأجلها؛ وهي إفرادُ الله بالعبادة.

بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا...

.....

وقولُه -رحمهُ اللهُ-: «بَلْ أَرسَلَ إِلينَا رَسُولًا»، أي أن اللهَ الذي خلَقَنا ورزَقنا، لم يترُكْنا مُهمَلين بلا أمر ولا نهي، بل خلَقنا لعبادته، وأوجدَنا لطاعته، وذلك لكي نحققَ ما أوجَدَنا من أجله؛ وقد أرسلَ إلينا الرسولَ ليبلِّغَنا ما أراده اللهُ منا؛ من تحقيقِ التوحيد، واتباعِ أحكام الدين؛ قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وهذا ليس خاصًّا بأمة محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بل عامٌّ لكل الأمم، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

فاقتضت حكمتُه -سبحانهُ وتعالَى- بَعْثَ المرسلين؛ لبيانِ ما أُرسِلوا به؛ وهؤلاء الرسلُ لا يأتون بشيء من عند أنفسهم، بل يبلِّغون الناسَ ما أُرسلوا به البلاغَ المبين، سواءٌ أكان أمرًا أم نهيًا، فهم لا يخرجون عمَّا أمرهم الله -سبحانهُ وتعالَى-

به؛ لا يَزيدون فيه ولا ينقصون منه، لأن الله أرسلهم لهداية الناس؛ فما تركوا خيرًا إلا دلُّوا أُمَمَهم عليه، ولا شرًّا إلا حذَّروا أُمَمَهم منه؛ لأنهم رسُلُ الله -جل وعلا-، والرسولُ مهمَّتُه إبلاغُ كلام مُرسِلِه.

والمسلمُ يجبُ عليه أن يؤمنَ برسلِ الله جميعًا إيمانا إجماليًّا، وأن يؤمنَ بنبيِّنا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- إيمانًا تفصيليًّا[1].

(١) سيأتي بيان ذلك في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى، عند قول المصنف (الأصل الثالث: معرفة نبيكم....).

فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

.....

قولُه: «فمَن أطاعَه»، أي: اتبعَ ما جاء به؛ فالأوامرُ تُطاع بامتثالها، والنواهي تُتبع باجتنابها؛ فمَن فعلَ ذلك دخل جنةً عرضُها السماواتُ والأرض؛ قال -تعالى-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣].

وقولُه: «ومَن عَصَاهُ»، أي: مَن لم يجتنبْ نواهيَه، ولم يتبعْ أوامرَه؛ دخل النارَ؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤].

والناسُ مع الرسل فريقان، وقد بيَّن اللهُ -تعالى- ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦]، فالذين هدى اللهُ: هم أتباعُ الرسل، والذين حقَّت عليهم الضلالةُ: هم

مَن لم يتبعوهم من الكفار؛ أيًّا كان نوعُ كفرهم، سواءٌ كان عنادًا، أو إباءً، أو نفاقًا، أو استكبارًا، أو غيرَ ذلك.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥-١٦].

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «والدليلُ: قولُه -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ...﴾ الآية»، أي أن هذه الآيةَ هي الدليلُ على أن الله لم يتركْنا هملًا، بل أرسلَ إلينا رسولًا، رحيمًا -كما وصفه الله- رؤوفًا، كريمًا، ناصحًا أمينًا، مبلِّغًا -عليه الصلاةُ والسلام- البلاغَ المبينَ، مجاهدًا في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، ما تركَ خيرًا إلا دلَّ الأمةَ عليه، ولا شرًّا إلا حذَّر الأمةَ منه؛ فنصَح -عليه الصلاةُ والسلام- أتمَّ النصح، وبيَّن أكملَ البيان، صلواتُ الله وسلامُه عليه؛ ولذلك قال المصنفُ -كما سبق-: «فمَن أطاعَه دخلَ الجنةَ، ومَن عصاه دخلَ النارَ».

وفي الآيتين المذكورتين من سورة المزمِّل دلالةٌ على وجوب طاعة الرسل، وأن عصيانَهم سببٌ للعقوبات؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، فواجبُ الرسلِ البلاغُ، وواجبُ الأمةِ الطاعةُ، والرسولُ

-صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قد بلَّغ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ، وسيكونُ يومَ القيامة شاهدًا على ذلك؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: أن هذه الأمةَ تشهدُ للرسل بأنهم قد بلَّغوا، والرسولُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يشهدُ علينا بأنه قد بلَّغنا رسالةَ ربِّه.

وقولُه -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا﴾، المقصود بالرسول هنا: نبيُّنا محمدٌ صلواتُ الله وسلامه عليه.

وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾، المقصودُ به: موسى صلواتُ الله وسلامُه عليه، الذي أرسله الله -عزَّ وجلَّ- إلى فرعون؛ لكنه استكبر ولم يؤمنْ، كما ذكره اللهُ عنه بقوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾، و«أل» هنا للعهد[1]؛ أي الرسول المذكور قبل ذلك في الآية؛ وهو: موسى -عليهِ

(١) إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٢٦٧).

السلامُ-، وعصى فرعونُ موسى ولم يؤمنْ، فكان جزاؤه كما قال -تعالى-: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، أي: أخذًا شديدًا، فجعل الله ذلك آيةً وعبرةً.

فالمقصودُ من هذه الآيات الاعتبارُ بما حصل لمَن سبَق؛ فإذا كان مَن قبلَكم قد أصابه هذا العذابُ لكونه عصى الرسولَ المبعوثَ إليه؛ وهو موسى عليهِ السلامُ، فكذلك مَن عصى نبيَّنا محمدًا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- فإن عاقبتَه الدخولُ إلى النار، نسألُ الله العافيةَ والسلامة.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ»، أي: فضلًا عن غيرهما؛ لأن الملائكة المقرَّبين والأنبياءَ المرسَلين لهم المكانةُ العالية عند الله، والمنزلةُ الرفيعة لديه، فإذا كان اللهُ -جل وعلا- لا يرضى أن يُعبَدَ معه غيرُه من الملائكة والنبيِّين، فغيرُهم من بابِ أولى؛ إذ العبادةُ حقٌّ خالصٌ لله وحده، خلَق الخلقَ لأجلها، وأوجدَهم لتحقيقها، فلا يَرضى -سبحانهُ وتعالَى- أبدًا أن يُجعَلَ معه شريكٌ في العبادة؛ لا من الملائكة المقرَّبين، ولا من الرسل الذين هم خيرته من خلقه؛ فضلًا عن غيرهم.

والشِّرْكُ في اللغة: هو السهم والحِصَّة من الشيء، يقال: اشترك جماعةٌ في امتلاك شيء؛ أي صاروا فيه شركاءَ، فيكونُ لكلِّ واحد سهمٌ منه[1]، ولكنَّ العبادة لا

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٩٣) بتصرف.

تصلحُ أن تُجعلَ أسهُمًا؛ سهمًا لله، وسهمًا للنبي، وسهمًا للملَك، وسهمًا للولي؛ بل يجبُ أن تكون خالصةً لله -سبحانهُ وتعالَى-؛ لأن الشركَ مُحبِط للعمل؛ قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

قال شيخُ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهَّاب مبيِّنًا ذلك: «فإذا عرَفتَ أن الله خلقَك لعبادته، فاعلمْ أن العبادةَ لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد، كما أن الصلاةَ لا تُسمَّى صلاةً إلا مع الطهارة؛ فإذا دخلَ الشركُ في العبادة؛ فسَدت، كالحَدَث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرَفتَ أن الشركَ إذا خالطَ العبادةَ أفسدَها، وأحبطَ العمل، وصارَ صاحبُه من الخالدين في النار؛ عرَفت أن أهمَّ ما عليك: معرفةُ ذلك»[1].

فالإسلامُ هو توحيدُ الله وإخلاصُ الدين له، واللهُ -جل وعلا- لا يرضى إلا التوحيدَ؛ لأن العبادةَ حقٌّ له وحده -سبحانه- لا شريكَ له فيها؛ والإيمانُ بالله لا يكفي إلا مع الكفر بالطاغوت، فالمشركون يؤمنون بالله، لكنهم يشركون

(١) «القواعد الأربع» (ص١).

في عبادته معه غيرَه، كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

فهؤلاء عندهم إيمانٌ بالله، ولكن يُفسدونه -والعياذ بالله- بالشرك! وهذا معنى قولِ الشيخ؛ أي أن مَن عبدَ الله وأطاعَ الرسولَ؛ فإنه لا يصحُّ له أن يُشركَ بالله شيئًا؛ لأنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشرَكَ معه أحدٌ في عبادته؛ فعن أبي هريرة -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: قال رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-: «قال اللهُ -تبارك وتعالى-: أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، من عمل عملًا أشركَ فيه معي غيري تركتُه وشركه»[(١)].

و «العبادةُ» لغةً: مأخوذةٌ من التعبُّد، وهو التذلل، والخضوع[(٢)].

وهي شرعًا: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرة[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) لسان العرب (٣/ ٢٧١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

قولُه: «لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ»، أي: لا يرضى اللهُ أن يُشرَكَ معه ملَك مقرَّب؛ كجبريلَ وإسرافيلَ وسائرِ الملائكة الكرام -عليهمُ السلامُ-، كما قال -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ * يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ * وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٩].

وقولُه: «ولا نبيٌّ مُرسَلٌ»، أي: ولا يرضى اللهُ أن يُشرَكَ معه نبيٌّ مرسل؛ كمحمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وموسى وعيسى، وسائرِ الأنبياء، عليهم أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم، قال -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ * وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠-٨١]،

فإذا كان لا يرضى أن يُشرَكَ معه الأنبياءُ أو الملائكةُ -عليهمُ السلامُ-، فكيف بغيرهم من الأولياء والصالحين؟!

وما كان شركُ السابقين إلا أنهم اتخذوا الأندادَ والأوثانَ وغيرَها؛ ليكونوا شفعاءَ لهم عند الله، وليقرِّبوهم إلى الله زلفى، كما قال الله -تعالى- حاكيًا عن حالهم في شركهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

وقد فصَّل ذلك فضيلةُ الشيخ عبد الله القصير فقال:

«وينقسم الشركُ بالله -عزَّ وجلَّ- إلى قسمين:

القسمُ الأول: شركٌ يتعلَّق بالاعتقاد والقولِ، وهو نوعان:

أ- شركُ التعطيل: وهو أقبحُ أنواع الشرك، ويندرج تحته فروعٌ كثيرة؛ منها:

١- **شركُ فرعون**؛ إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]؛ متظاهرًا بإنكار

الصانع، مع أنه يستيقنُه في الباطن.

٢- **شركُ الفلاسفة**؛ القائلين بقِدَم العالم، وأنه لم يكن معدومًا أصلًا، بل لم يَزَلْ ولا يزالُ، والحوادثُ بأسرها مستنِدةٌ عندهم إلى أسبابٍ ووسائطَ اقتضت إيجادَها يُسَمُّونها: العقولَ، والنفوسَ.

٣- **شركُ طائفةِ وَحدةِ الوجود**؛ كابن عَرَبيٍّ، وابنِ سَبْعِينَ، والعفيفِ التِّلِمْساني، وابنِ الفارضِ، ونحوِهم من الملاحدة الذين كَسَوُا الإلحادَ حليةَ الإسلام، ومَزَجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرُهم على خفافيشِ البصائر.

٤- **شركُ أهل التعطيل**؛ أي الذين عطَّلوا الله -تعالى- من صفات كماله ونعوتِ عظمته وجلاله، تشبيهًا له بالمعدومات، وهو شركُ المعطِّلة من الجَهْمية والمعتزِلة، وغيرِهم[1]، ولذا قال أهلُ السنة والجماعة عنهم[2]: «المعطِّلُ يعبدُ عَدَمًا».

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٤٨).

فالشركُ والتعطيلُ متلازمان؛ فكلُّ مشركٍ معطِّلٌ، وكل معطِّلٍ مشركٌ، لكن الشركَ لا يستلزمُ أصلَ التعطيل، بل قد يكونُ المشركُ مقرًّا بالخالق -سبحانهُ وتعالَى- وصفاتِه، ولكنه مُعطِّلُه حقَّ التوحيد.

ب- **شركُ التمثيل**: وهو تمثيلُ الله -تعالى- بخلقه في أسمائه أو صفاته، وهو شركُ الممثِّلة من الرافضة ونحوهم، وهو إلحادٌ في مقابَلةِ إلحاد المعطِّلة؛ فإن أولئك نفَوْا صفةَ كماله وجحدوها، وهؤلاء شبَّهوها بصفات خلقه، فجَمَعهم الإلحادُ وتفرَّقت بهم طُرُقُه، وبرَّأ اللهُ أتباعَ رسوله وورثتَه القائمين بسنته عن ذلك كله؛ فلم يصفوه إلا بما وصَفَ به نفسَه، ولم يجحدوا صفاتِه، ولم يشبِّهوها بصفات خلقه، ولم يَعدِلوا بها عمَّا أُنزلت عليه لفظًا ولا معنًى، بل أثبتوا له الأسماءَ والصفاتِ، ونفَوا عنه مشابهةَ المخلوقات، فكان إثباتُهم بريئًا من التشبيه، وتنزيهُهم خليًّا من التعطيل[1]، ولذا قال أهلُ السنة والجماعة عمَّن شبَّه الله بخلقه: «الممثِّل يعبدُ

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).

وثنًا[1]»، وكلٌّ من الطائفتين مُعرِض عن العلم والفهم، وقائلٌ على الله -تعالى- وفي دينه بغير علم.

القسمُ الثاني: شركٌ يتعلقُ بالعمل؛ وهو أنواعٌ كثيرة؛ منها:

أ- الشركُ في الدعاء: بأن يدعوَ مع الله غيرَه، كما في قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وقولِه -تعالى-: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

ب- الشركُ في المحبة: بأن يُحبَّ غيرَ الله -تعالى- مِن دونه معه؛ ويُسوِّيه بالله -تعالى- في المحبة؛ والمحبةُ تَحمِلُ المُحبَّ على الذل والانقياد للمحبوب في تحقيق مُرادِه من مُحبه، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١/ ١٤٨).

ج- **الشركُ في الطاعة والتشريع**: كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، وفي حديثِ عَدِيِّ بنِ حاتمٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: أتيتُ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وفي عنقي صليبٌ من ذهب، فقال: «يا عديُّ، اطرحْ عنكَ هذا الوثنَ»، وسمعتُه يقرأُ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ».

وفي رواية: فقلتُ: إنا لسنا نعبدُهم، فقال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ؟»، قلتُ: بلى، قال: «فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ»[1].

د- **الشرك في الإرادة والقصد**: وهو أن يبتغيَ بشيء من حقِّ الله -تعالى- الذي يجبُ أن يُخلَصَ له منزلةً أو مَحْمَدةً عند الخلق، أو عَرَضًا من أعراض الدنيا، كما

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) بمعناه.

في قوله –تعالى–: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥] الآيةَ، والمعنى: يريدون الحياةَ الدنيا وزينتَها بعمل الآخرة»[1].

(١) انظر: «إفادة المسؤول عن الثلاثة الأصول» (ص٢٤ - ٢٦).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

.....

استدلَّ المصنفُ -رحمهُ اللهُ- على تحريم الشرك بقوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، والمقصودُ التمثيلُ على جنس الأدلة، لأن أدلةَ ذلك لا تُحصى في القرآن والسنة والمعقول، لكنَّ المقامَ في هذه الرسالة مبنيٌّ على الاختصار.

وقولُه -تعالى-: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، أي: دعاءَ مسألةٍ، ودعاءَ عبادةٍ.

والمساجدُ يُشرَعُ فيها أمران:

١- سؤالُ الله -جل وعلا- بالدعاء له -سبحانه- دعاءَ المسألة.

٢- عبادةُ الله -جل وعلا- بأنواع العبادات؛ من الصلاة، والتلاوةِ والذكرِ والتعلُّمِ والتعليمِ، ونحوِ ذلك.

قال -جل وعلا-: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، أي أن المساجد أُقيمت لله - جل

وعلا- أي؛ لعبادته وحده دون ما سواه، فلا تدْعوا أيُّها الناسُ أحدًا غيرَ الله، وكما أنَّ المصليَ لا يصلي إلا لله، فكذلك المساجدُ، لا يَسألُ فيها ولا يدعو إلا اللهَ -جل وعلا.

ووجهُ الاستدلال في الآية قولُه -تعالى-: ﴿أَحَدًا﴾؛ لأنها نكرةٌ في سياق النهي، والنكرةُ إذا وردت في سياق النهي تفيدُ العمومَ؛ كما هو مقرر في علم الأصول، ونظيرُ ذلك قولُه -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، أي لا يحصُلُ منه -سبحانه- ظلمٌ لأحد كائنًا من كان، ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، فلا يقعُ منه -تبارك وتعالى- أدنى ظلمٍ لأحد.

فقولُه: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ يفيدُ بعمومه النهيَ عن دعاءِ كل أحد؛ أيًّا كان هذا المدعوُّ؛ ملَكًا، أو نبيًّا، أو صالحًا، أو شجرًا، أو حجرًا.

والعمومُ في الآية السابقة نظيرُ العموم في قوله -تعالى-: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، فقولُه: ﴿شَيۡـٔٗا﴾ أيضًا نكرةٌ في سياق النهي؛ فتفيد العمومَ[1]؛ أي: أيًّا كان هذا الشيءُ.

فائدةٌ: الحكمةُ من تقديم طاعةِ الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- هي: أن أمورَ الإيمان لا سبيلَ للعباد إلى معرفتها إلا من طريق المرسلين، فالرسلُ هم الهداةُ والدعاةُ إلى توحيد الله، وإخلاصِ الدين له، وهم الذين يبيِّنون للناس تفاصيلَ الشرائع؛ من توحيد الله -عزَّ وجلَّ- وأحكامِ الدين، والأوامرِ والنواهي؛ وغير ذلك من الأمور التي لا تُعرف إلا عن طريقهم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٤٧٠).

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ؛ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ تعالى-: «الثالثةُ: أن مَن أطاعَ الرسولَ...» إلخ، فيه لطيفةٌ من جهة الترتيب؛ لأن المصنفَ ذكَر هذه المسألةَ هاهنا مترتِّبة على المسألتين الأُوليَيْنِ ومبنية عليهما، وهي مسألةُ بغض الكافرين وترك محبتهم، واجتناب موالاتهم أو تولِّيهم؛ لأنه لا يجتمعُ في قلب العبد محبةُ الله مع محبة أعدائه؛ فمَن كان مطيعًا للرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- حقًّا، وموحِّدًا لله -تبارك وتعالى- صدقًا؛ فإنه يجبُ عليه أن يُبغضَ أعداءَ الله، وأعداءَ دينه، وأن يُبغضَ الكافرين والمشركين-؛ إلا في أمور سيأتي تفصيلُها في كلام شيخنا صالح الفوزان-؛ لأن الإيمانَ والتوحيدَ والطاعةَ للرسول -عليه الصلاة والسلام- لا تستقيمُ إلا بذلك.

أما الشركُ فقد سبق تعريفه[1].

---

(١) انظر: ص٤٠ - ٤٢، فقد سبق فيه تفصيل كامل عن الشرك وأنواعه.

وأما الكفرُ فهو في اللغة: سترُ الشيء وتغطيتُه[١].

وأما في الاصطلاح الشرعي فهو: «عدمُ الإيمان بالله ورسله؛ سواءٌ كان معه تكذيبٌ أو شك وريب، أو إعراضٌ عن الإيمان حسدًا أو كِبْرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة»[٢].

فالكفرُ صفةٌ لكلِّ مَن جحد شيئًا مما افترض الله –تعالى– الإيمانَ به، بعد أن بلَغه ذلك، سواءٌ كان ذلك جحودًا بقلبه فقط، أو بلسانه فقط، أو بهما معًا، أو قام بعملٍ جاء النصُّ فيه أنه مخرجٌ عن اسم الإيمان[٣].

والكفرُ نوعان[٤]:

النوع الأول: الكفرُ الأكبر: وهو المُخرجُ من الملة، وينقسمُ أقسامًا:

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة (كفر)، (٥/ ١٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوي» (١٢/ ٣٣٥).

(٤) التوحيد للفوزان (ص: ١٩).

الأول: كفر التكذيب: وهو أن يكذِّبَ بالقرآن أو بشيء منه أو بسنَّة النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- الثابتةِ عنه وهو يعلمُ؛ فمَن فعل ذلك فهو كافرٌ كفرًا أكبرَ يخرجُه من ملة الإسلام؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت:٦٨].

ومَن كذَّب برسولٍ واحدٍ فقد كذَّب الرسل جميعًا، ولا يكونُ الإيمان بهم مقبولًا حتى يؤمنَ بهم جميعًا، ولا يفرقَ بين أحد منهم؛ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

الثاني: كفر الجحود: وهو أن يكون عارفًا بالحق مستيقنًا به في نفسه، لكنه ينكرُ ذلك في ظاهر أمره ولا يُقِرُّ به، كما كان من أمر فرعون؛ قالَ -تعَالَى-: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، فكان كفره جحودًا وكِبرًا، أو

حسدًا، أو طمعًا في دنيا، أو غير ذلك.

وغالب الكفار من هذا النوع، أي كفر الجحود؛ قال -تعالى-: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

الثالث: كفر الشك والظن: بأن يكون شاكًّا فيما جاءت به الرسلُ والأنبياءُ -عليهم أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم-، ويظن أنهم على غير حق؛ كما قال الله -تعالى- حاكيًا عن قصة صاحب الجنة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف:٣٦]، وذكر ردَّ الآخَر في الحوار الذي دار بينهما فقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧].

الرابع: كفر الإعراض: بأن يُعرِضَ عن تعلُّم أصول هذا الدين الذي لا يكونُ المرءُ مسلمًا حتى يعلمَها، ويعملَ بها؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]، فسُمُّوا كافرين لإعراضهم.

الخامس: كفر النفاق، والمقصود به النفاقُ الاعتقاديُّ، وهو أنواع[١]:

أ- تكذيب الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

ب- تكذيب بعض ما جاء به -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

ج- بغض الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

د- بغض بعض ما جاء به الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

هـ- المسرَّة بانخفاض دين الإسلام.

و- الكراهية لانتصار دين الإسلام.

النوع الثاني: الكفر الأصغر؛ ولا يُخرج من الملة:

وهو إتيانُ بعض الذنوب التي سمَّاها رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- كفرًا ولم

---

(١) التوحيد للفوزان (ص: ٢٦).

تصلْ إلى الكفر الأكبر، ومثاله: حديثُ ابنِ عَبَّاس -رضيَ اللهُ عنهمَا- أن النبي -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «لا ترجعوا بعدي كفّارًا يضربُ بعضكمْ رقابَ بعضٍ»[1]؛ فالمرادُ بالكفر هنا الأصغرُ؛ لأن قتلَ المؤمن كبيرةٌ من كبائر الذنوب، لكنه لا يَخرُجُ به صاحبُه من الإسلام، بدليل قوله -تعالى-: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩- ١٠]، والشاهد هنا قولُه -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾؛ فأخبر عن المقتتلين بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة، فدل على أن القتلَ بغير حق لا يُخرِجُ صاحبَه من دائرة الإيمان إلى الكفر، ما لم يستحلَّه.

فالشركُ والكفر وأهلُهما هو المقصودُ في قول المصنف: «**لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ**»، أي: البراء منهما.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩).

والمقصودُ بالولاء هنا: أهلُ التوحيد، وأهلُ الإيمان.

والتوحيدُ لغةً: مصدرُ الفعل وحَّد يوحِّد، أي جعَل الشيءَ واحدًا[١].

والتوحيدُ اصطلاحًا: ماذكره المصنفُ -رحمهُ اللهُ- فيما سيأتي: «إفرادُ الله بالعبادة».

وأنواعُه -كما ذكر أهل العلم[٢]- ثلاثةٌ:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الألوهية.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

أما الإيمان فهو في اللغة: التصديقُ الجازم؛ قال -تعالى- على لسان إخوةِ يوسفَ -عليهِ السلامُ-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧] أي: بمصدِّق لنا[٣].

---

(١) لسان العرب، مادة (وحد)، (٣/ ٢٨١).

(٢) الأسئلة والأجوبة في العقيدة (ص٩).

(٣) لسان العرب، مادة (أمن)، (١٣/ ٢٣).

وشرعًا: «قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية»[١].

وسيأتي تفصيلُ ذلك بإذن الله في شرح قوله: «المرتبةُ الثانيةُ: الإِيمَانُ».

فالولاءُ لا يكونُ إلا لأهل التوحيد، وأهلِ الإيمان؛ ففي الحديث الذي جاء عن أنس بن مالك -رضيَ اللهُ عنهُ-، عن النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «ثلاثٌ منْ كنَّ فيهِ وجدَ حلاوةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليهِ ممّا سواهما، وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّهُ إلّا للّهِ، وأنْ يكرهَ أنْ يعودَ في الكفرِ كما يكرهُ أنْ يقذفَ في النّارِ»[٢]، والشاهدُ من الحديث قولُه: «وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّهُ إلاّ للّهِ».

وفي حديث آخرَ عنِ البراءِ بنِ عازبٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- قالَ: كنّا عندَ النّبيِّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- فقالَ: «أتدرونَ أيُّ عرى الإيمانِ أوثقُ؟»، قلنا: الصّلاةُ، قالَ:

---

(١) الإيمان لابن منده (١/ ٣٤١) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (١٦).

«الصّلاةُ حسنةٌ، وليسَ بذاكَ»، قلنا: الصّيامُ، فقالَ مثلَ ذلكَ، حتّى ذكرنا الجهادَ، فقالَ مثلَ ذلكَ، ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «أوثقُ عرى الإيمانِ: الحبُّ في اللهِ، والبغضُ في اللهِ»[1].

فالمؤمنُ الموحِّد يُحبُّ أخاه في الله؛ لأجلِ أنه موحِّدٌ لله، مطيعٌ له، وإن كان لا ينتفعُ منه في دنياه بأي عائدة، قال -تعالى-: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧]، هذه الآيات الكريمة لم تتركْ شيئًا للخلق، بل جعلت الأمرَ كلَّه لله -سبحانه-؛ فإنْ أعطى أحدًا من خلقه فهو مِنَّةٌ منه -سبحانه- وفَضْلٌ، وإنْ منَع أحدًا منهم؛ فبظلم من أنفُسِهم وعدلٍ منه -سبحانهُ وتعالَى-، وبعد

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٧٨٣).

هذه الآيات يقولُ -تعالى- في السورة نفسِها، وهذا موضعُ الشاهد: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]، دلت هذه الآيةُ على أنَّ مِن تمامِ العبادة ولوازمِها ألا يتخذَ المؤمنُ الكافرَ وليًّا.

والموالاةُ معناها: المحبةُ والنصح[1]، وأما المناصرةُ فتسمى: التولِّيَ.

والأصل في موالاة المشركين والكفار أنها عظيمةٌ من العظائم، لكنها ليست صورةً واحدة، ولذلك ضبَطها أهلُ العلم فقسموها إلى قسمين:

أحدُهما: مكفِّر؛ وهو محبة الكفر، أو نصرةُ الكفار على المسلمين بقصد ظهور الكفر على الإسلام، ويسمى هذا القسمُ بالتولِّي، ودليلُه قولُ الله -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، وقولُ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-:

(١) الولاء والبراء والعداء في الإسلام (ص: ٣٢).

«... وكفرَ بما يعبدُ منْ دونِ اللهِ»، وقصةُ حاطب -رضيَ اللهُ عنهُ- لما أراد عمرُ بن الخطاب -رضيَ اللهُ عنهُ- أن يقتله وقال للنبي -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «دعني أضربْ عنقهُ؛ فإنّهُ قدْ نافقَ»[1]؛ لكنَّ النبيَّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- استفصل منه، وعلم أنه لم يقصدْ ظهورَ الكفر على الإيمان، ولم ينصرهم محبةً في الكفر، وإنما لقصدٍ دنيوي.

ومحبةُ المشركين لأجل الدنيا كبيرةٌ من الكبائر، وليست كفرًا، ومثالُها: محبةُ الكافر لأجل منصبه أو لأجل ماله؛ والدليل قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١]، فناداهم باسم

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨١).

الإيمان، وهذا دليل على ثبوته لهم، وأيضًا قصةُ حاطب بنِ أبي بلتعةً -رضيَ اللهُ عنهُ- التي ذكرتُها.

والقسم الثاني: محبةُ المشرك لأجل منفعةٍ مباحة تحصُل منه؛ فهذا جائزٌ؛ كمحبة الرجل لولده المشركِ أو العكس، أو لزوجته الكتابيةِ، أو لجاره المُحسِنِ إليه، ودليلُ ذلك قولُه -تعالى-: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود:٤٥]، وقد أحلَّ الله لنا الزواجَ بالكتابية، وهي مشركةٌ، قال الله -تعالى-عنهم: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣]، والزواجُ لا ينفكُّ عن مودة ومحبة بين الزوجين؛ قد تزيدُ وقد تنقصُ، وسبب المحبة: الانتفاع الدنيوي.

وقد كان رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يحبُّ عمَّه أبا طالب، ولذلك قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص:٥٦]، وسببُ محبَّته -صلَّى

اللهُ عليهِ وسلّمَ- لعمِّه: منفعتُه له، والرابط الذي جمع بينهما.

فلا بدَّ أن يُفرَّقَ -عند الحكم في الولاء والبراء- بين المحبة الطبيعية وغيرِها؛ فمحبةُ الجائع للطعام ومحبةُ الأب لابنه الصغير ومحبةُ أصحاب الصناعة الواحدة، وأصحابِ التجارة الواحدة وما أشبَهَ ذلك؛ إنما هي محبةٌ طبيعية، والنفوسُ جُبلت على أن تُحبَّ من تعوَّدت رؤيتَه ومحادثتَه والانتفاع به ومشاركته في عمل ونحوه، فتفرحُ برؤيته أحيانًا، وتحزنُ لمرضه وفقده وما أشبَهَ ذلك[١]؛ قال الشيخُ عبدُ الرحمن السعدي -رحمهُ اللهُ-: «والحبُّ الطبيعيُّ تابعٌ لبعض مُرادات النفس، والشهواتِ المتباينةِ التي تبقى ببقاء ذلك المراد وتزولُ بزواله»[٢].

فهذه المحبة لم يذكرْها المؤلفُ، إنما ذكر ما يدلُّ على جواز برِّ الوالد المشرك ونحوه، والبرُّ تعاملٌ ظاهرٌ محسوس، وأمَّا المحبَّةُ فقلبية، وذكرُ المحبة القلبيةِ الجائزةِ

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٤٦٧- ٤٦٨).

(٢) «الفتاوى السعدية» لعبد الرحمن السعدي (ص٢٧).

للمشركِ مهمٌّ للمتلقِّين والناشئةِ؛ لأنها تُقرِّب المناطَ المقصود، وتضبطُ الذِّهنَ.

مسألة النصرة:

قال –تعالى–: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٢].

قال الشيخُ عبدُ الرحمن السعديُّ: «﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: لأجل قتالِ مَن قاتلهم لأجل دينهم، ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ والقتالُ معهم، وأما مَن قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرُهم، وقولُه –تعالى–: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: عهدٌ بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالَهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعلمُ ما أنتم عليه من الأحوال، فيَشرَعُ لكم من الأحكام ما يليقُ بكم»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» لعبد الرحمن السعدي (ص٣٢٧).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُه -تَعَالَى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

.....

قولُه: «والدليلُ: قولُه -تعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾»، استدلَّ الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هنا بهذه الآية الكريمة على مسألةِ الولاء والبراء، فذكر فيها سبعةَ أمور في حقِّ مَن لم يتخذِ الكافرَ وليًّا، ولو كان أقربَ قريب؛ فينبغي تدبرُها، والتنبهُ لها:

الأمرُ الأول: قولُه -تعالى-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾، الإشارةُ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى مَن لم يتخذِ الكافرين أولياءَ؛ ولو كانوا أقربَ قريب؛ فهؤلاء أمرُهم كما قال -تعالى-: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: رسَّخ في

قلوبهم الإيمانَ وثبَّته، فهو إيمان ثابت وراسخ في القلوب.

الأمرُ الثاني: قولُه: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾، أي قوَّاهم، وقولُه: ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، أي: بوحي منه، وعونٍ، ومَدَدٍ، وقد سمَّى اللهُ -سبحانهُ وتعالَى- وحيَه في غيرِ موضعٍ من القرآن رُوحًا، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]؛ وذلك لأن القلوبَ تحيا به.

الأمرُ الثالث: قولُه: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي أن هؤلاء قد أعدَّ الله -عزَّ وجلَّ- لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمِعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: دائمين فيها أبدَ الآباد.

الأمرُ الرابع: قولُه: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ أي أن الله -عزَّ وجلَّ- قد أنزلَ عليهم رضوانَه، فلا يسخَطُ عليهم بعدها أبدًا، ولا شك أنَّ هذا من أعظم الكرامات، وأجَلِّ النعم؛ التي يمُنُّ بها الربُّ على عباده؛ كما قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢].

وفيه إثباتُ صفة الرضا لله -جل وعلا- على ما يليقُ به.

الأمرُ الخامس: قولُه: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾، أي بما أكرمهم الله -عزَّ وجلَّ- به، وأنعمَ عليهم.

الأمرُ السادس: قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾، وصَفهم الله -جل وعلا- بأنهم حزبُه، وليس في الوجود إلا حزبان: حزبُ الله، وحزبُ الشيطان، والناسُ إمَّا أن يكونوا في حزب الله، وإما أن يكونوا في حزب الشيطان، والضابطُ المميِّز بين الحزبين: هو هذه الأوصافُ العظيمة، والخِلالُ المُنِيفة، فمَن لم يكنْ من أهل هذه الأوصافِ فهو من حزب الشيطان.

الأمرُ السابع: قولُه: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، أي: هم أهلُ الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، والفلاحُ: هو حيازةُ الخير بمَجامِعِه، ولهذا قال بعضُ أهل العلم: إنَّ أكملَ كلمةٍ قيلت في حيازة الخير والظَّفَر به هي كلمةُ (الفلاح).

وكلُّ أمرٍ من هذه الأمور التي ذكرها الله -سبحانهُ وتعالَى- كافٍ أن يحرِّكَ القلوبَ

إلى بغض الكفار، فعلى المسلمين أن يحرصوا على العناية بترسيخِ هذه المعاني في نفوس أبنائهم، وتربيتِهم عليها، وتحصينِهم بهذه الأصول العظيمة من الأفكار الضالَّة.

فعُلم من خلال ما سبق: أنَّ الولاءَ لأهل التوحيد والإيمان، والبراءَ من أهل الشرك والكفر.

والموالاةُ والولاءُ: بمعنًى واحدٍ، فالولاءُ يُراد به: المحبةُ بالقلب، ويُراد به: المناصرةُ والمعاونة، وقد يُراد به معنًى آخرُ، وهو: الإرثُ والعَقْل في الديات[1].

قال الشيخُ سليمانُ بْنُ عبد الله بنِ محمد بن عبد الوهَّاب -رحمهُ اللهُ-: «فهل يتمُّ الدينُ، أو يُقام عَلَمُ الجهاد، وعَلَمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إلا بالحب في الله، والبغضِ في الله، والمعاداةِ في الله، والموالاةِ في الله؟! ولو كان الناسُ متفقِين على طريقة واحدة، ومحبةٍ من غير عداوة ولا بغضاءَ، لم يكنْ

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٦٠).

فُرقانٌ بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياءِ الشيطان»[١].

وقال الشيخُ حمد بن علي بن عتيق -رحمهُ اللهُ-: «فأما معاداةُ الكفار والمشركين: فاعلمْ أن الله -سبحانهُ وتعالَى- قد أوجبَ ذلك، وأكَّد إيجابَه، وحرَّم موالاتَهم، وشدَّد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله -تعالى- حكمٌ فيه من الأدلة أكثرُ ولا أبيَنُ من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد، وتحريمِ ضدِّه»[٢].

وعَودًا إلى بيان الآية التي استدلَّ بها المصنفُ -رحمهُ اللهُ-؛ أقولُ: إنها بدأت بخطابٍ موجَّهٍ إلى النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- خاصةً، وإلى الأمةِ عامةً؛ قال -تعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [المجادلة:٢٢]، أي: لا يقعُ هذا ولا يكونُ أبدًا؛ أن يوجدَ مؤمنٌ بالله ورسوله، يحبُّ الكفار؛ لأنه إن أحبَّهم

---

(١) «أوثق عرى الإيمان» (ص٣٨).

(٢) من كتاب (سبيل النجاة والفكاك) ضمن «مجموعة التوحيد» (ص٣٦٣).

فليس بمؤمن، ولو كان يدَّعي ذلك، قال ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-:

أتُحِـبُّ أعـداءَ الحبيـبِ وتدَّعـي حبًّـا لـه مـا ذاك في إمـكان

وكـذا تُعـادي جاهـدًا أحبابَـه أيـن المحبةُ يـا أخـا الشـيطانِ؟![1]

فالإيمانُ لا يجتمعُ هو وموالاةُ الكفار في قلب مؤمن؛ فمَن ادعى ذلك وقال: أنا أحبُّ الله ورسولَه، وهو يحبُّ الكفارَ ويُواليهم، فهو كاذبٌ في ادعائه! قال -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، إلى قوله -تعالى-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾

---

(١) «الكافية الشافية (نونية ابن القيم)» (ص٢٢١).

[التوبة:١١٤]، فهذه ملةُ إبراهيمَ -عليهِ السلامُ- الذي تبرَّأ من أبيه -أقربِ الناس إليه- لمَّا تبيَّن له أنه عدوٌّ لله، وعن أبي هريرةَ -رضيَ اللهُ عنهُ- عن النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة، وعلى وجه آزرَ قترةٌ وغبرةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أقلْ لك: لا تعصني، فيقولُ أبوه: فاليومَ لا أعصيك، فيقولُ إبراهيمُ: يا ربِّ إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأيُّ خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقولُ الله -تعالى-: إني حرّمتُ الجنةَ على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيمُ، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخٍ ملتطخ، فيؤخذُ بقوائمه فيلقى في النار»[1].

ودلَّت الآيةُ أيضًا على أن محبة الكافر تُنافي الإيمانَ بالله واليوم الآخر، إما في أصله، وإما في كماله، فإن اجتمعَ مع محبتهم تأييدٌ لمذهبهم وكفرِهم، كان ذلك خروجًا من الإسلام، أما إن كانت محبةً مجردةً من غير مناصرة لهم؛ فهذا يُعَدُّ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٠)، والذيخ: هو الذكر من الضباع، الكثير الشعر.

فسقًا، ينقصُ الإيمانَ ويُضعِفه، لكنه لا يُزيلُه.

ودلت أيضًا على أنه لا نصيبَ لهم في اليوم الآخِر، لأنهم لم يُعِدُّوا له شيئًا، ففقدوا الاستعدادَ لذلك اليوم، لكونهم والَوُا الكفارَ.

وقوله -تعالى-: ﴿مَنْ حَآدَّ﴾، المحادَّةُ: أصلُها من الحدِّ؛ وعليه فمعناها: أن يكونَ اللهُ ورسولُه في حَدٍّ، والمحادُّ لهما في حدٍّ آخرَ[1]، وتظهرُ المحادةُ في أن يأمرَ اللهُ بشيء أو ينهى عن شيء، فيقومَ المرءُ بفعل ما نَهَى عنه وترك ما أمَر به.

«تنبيهاتٌ وضوابطُ في معاملة الكفار»:

قال فضيلةُ شيخنا صالح الفوزان: «عدمُ الموالاة لا تقتضي أننا نقاطعُ الكفارَ في الأمور والمنافعِ الدنيوية، بل يُستثنى من ذلك أمورٌ:

الأولُ: أنه -مع بُغضنا لهم وعداوتِنا لهم- يجبُ أن ندعُوَهم إلى الله -سبحانهُ وتعالَى-، يجبُ أن ندعُوَهم إلى الله ولا نتركَهم، ونقول: هؤلاء أعداءُ الله

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٢٣).

وأعداؤنا، يجبُ علينا أن ندعوَهم إلى الله؛ لعل الله يهديهم، فإنْ لم يستجيبوا فإنا نقاتلُهم مع القدرة، فإما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يَبذُلوا الجزيةَ -إن كانوا من اليهود والنصارى أو المجوس- وهم صاغرون، ويخضعون لحكم الإسلام، ويُتركون على ما هم عليه، لكن بشرطِ دفعِ الجزية، وخضوعِهم لحكم الإسلام، وأما إن كانوا غيرَ كتابيِّين وغيرَ مجوس؛ ففي أخذ الجزية منهم خلافٌ بين العلماء.

الثاني: لا مانعَ من مُهادَنةِ الكفار عند الحاجة، إذا احتاج المسلمون لمهادنتهم؛ لكونِ المسلمين لا يقدرون على قتالهم، ويُخشَى على المسلمين من شرِّهم، لا بأس بالمهادنة إلى أن يَقوى المسلمون على قتالهم، أو إذا طلبوا هم المهادنةَ؛ ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١]، فيُهادَنون، لكنْ ليس هدنةً دائمة، إنما هدنةٌ مؤقتة مؤجَّلةٌ إلى أجَلٍ، حسَبَ رأيِ إمامِ المسلمين؛ لما فيه من المصلحة.

الثالثُ: لا مانعَ من مكافأتهم على الإحسان إذا أحسنوا للمسلمين، لا مانعَ أنهم يُكافَؤون على إحسانهم، قال الله -تعالى-: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ

يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

رابعًا: الوالدُ الكافر يجبُ على ولده المسلم أن يبرَّ به، لكنه لا يُطيعُه في الكفر؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان:١٤-١٥]، فالوالدُ له حقٌّ وإن كان كافرًا، لكنْ لا تحبُّه المحبةَ القلبية، بل تكافئُه على تربيته لك، وأنه والدٌ، وله حقٌّ، تكافئُه على ذلك.

خامسًا: تبادلُ التجارة معهم، وشراءُ الحاجات منهم، واستيرادُ البضائعِ والأسلحةِ منهم بالثمن، لا بأس بذلك، وقد كان النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يتعاملُ مع الكفار، وكذلك عاملَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- أهلَ خيبر -وهم يهود- على أن يزرعوا الأرضَ بجزء ممَّا يخرجُ منها، ليس هذا من الموالاة والمحبة، وإنما هو

تبادُلُ مصالحَ، يجب أن نعرفَ هذه الأمورَ، وأنها لا تدخلُ في الموالاة، وليس منهيًّا عنها.

كذلك الاستدانةُ منهم؛ النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: استدان من اليهودي طعامًا ورهَن درعَه عنده، ومات -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ودرعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ بطعام اشتراه لأهله.

فلا مانعَ من هذا؛ لأن هذه أمورٌ دنيوية ومصالحُ، ولا تدلُّ على المحبة والمودة في القلوب، فلا بد أن نفرِّقَ بين هذه وهذه، لأن بعضَ الناس إذا سمِع نصوصَ العداوةِ للكفار والنهي عن محبتهم، قد يَفهمُ أنه لا يَتعاملُ معهم، ولا يتصلُ بهم نهائيًّا، وأن تكونَ مقاطعةً نهائية، لا، هذا محددٌ بأحكام وبحدود وبشروط معروفةٍ عند أهل العلم، مأخوذةٍ من كتاب الله، ومن سنة رسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

سادسًا: أباحَ الله التزوُّجَ من نساء أهل الكتاب؛ بشرطِ أن يكُنَّ عفيفاتٍ في أعراضهن، وأباحَ الله لنا أكلَ ذبائحهم.

سابعًا: لا بأس بإجابة دعوتهم، وأكلِ طعامهم المباحِ، كما فعل النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

ثامنًا: الإحسانُ إلى الجيران من الكفار، لأن لهم حقَّ الجوار.

تاسعًا: لا يجوزُ ظلمُهم؛ قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]»، انتهى كلامُه[1] -حفظه الله-.

والناسُ، في الولاء والبراء، وفي الحب والبغض، ينقسمون إلى أقسامٍ ثلاثة:

القسمُ الأول: أهلُ الإيمان والصلاحِ والاستقامةِ على طاعة الله؛ فهؤلاء لهم ولاءٌ وحبٌّ؛ فإذا كان الرجلُ مؤمنًا، مطيعًا لله، محافظًا على أوامرِ الله، مبتعِدًا عما حرَّم الله؛ فهذا يُحَبُّ.

القسمُ الثاني: أهلُ الكفر بالله -تبارك وتعالى-؛ فإذا كان الرجلُ كافرًا، أيًّا كان نوعُ

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص٤٧ - ٤٨).

كفره؛ فهذا يُبغَضُ.

القسمُ الثالث: مَن يُحَبُّ باعتبارٍ ويُبغَضُ باعتبارٍ آخرَ؛ يُحَبُّ باعتبارِ إيمانِه وما عنده من صلاحٍ وطاعة، ويُبغَضُ باعتبارِ ما عنده من فسوقٍ وعصيان، وهؤلاء هم عصاةُ الموحِّدين؛ الذين لديهم أصلُ الإيمان والتوحيد، لكنْ عندهم مَعاصٍ لا تصلُ إلى حد الكفر بالله، فمَن كان كذلك فإنه يُحَبُّ بحسَبِ ما عنده من إيمان، ويُبغَضُ بحسَبِ ما عنده من فسوق وعصيان.

ومن مظاهر الموالاة للكافرين: الرضا بكفر الكافرين، والامتناعُ من تكفيرهم، أو الشكُّ في كفرهم.

* * *

اعْلَمْ – أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ – أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ[١] إِبْرَاهِيمَ...

.....

قولُه –رحمهُ اللهُ–: «اعلَمْ»، سبَق نظيرُه، وبيانُ ما فيه من الفائدة.

قولُه: «أرشَدَكَ اللهُ لطاعتِهِ»، هذا دعاءٌ من الشيخ –رحمهُ اللهُ– لكلِّ مَن يقرأُ هذه الرسالةَ؛ بأن يُرشدَه الله للعلم النافع، والعملِ الصالح، والمقصودُ بالرُّشْد هنا: الهدايةُ إلى الحق، وضدُّه: الغَيُّ[٢]، قال –تعالى–: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٦٥]، والمسلمُ إذا أرشده الله لطاعته، فقد سعِد في الدنيا والآخرة.

والمقصودُ بقوله: «لِطاعتِهِ» أن تطيعَ الله في أوامره فتفعلَها، وفي نواهيه فتجتنبَها، امتثالًا لأمر الله –سبحانه– وابتغاءَ وجهه –عزَّ وجلَّ– ترجو ثوابَه وتخافُ عقابَه[٣].

---

(١) قوله (ملة إبراهيم) يجوز فيه الرفع على الخبرية، ويكون ما بعدها بدلاً، ويجوز فيه النصب على البدلية، ويكون ما بعدها هو الخبر.

(٢) تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (٥/ ٤١٦).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص ٧٠).

قولُه: «أنَّ الحنيفيَّةَ ملةَ إبراهيمَ»، أي أن قولَنا: (الحنيفية) وقولنا: (ملة إبراهيم -عليهِ السلامُ-) كلاهما بمعنًى واحد؛ كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، وقال -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، وقال -تعالى-: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

والحنيفية لغةً: نسبة إلى الحَنِيف؛ وأصلُه من الحَنَف، وهو الميل.، فمعنى الحنيفية الملةُ المائلة عن الشرك إلى التوحيد.

والحنيفُ: هو المُقبِلُ على الله -سبحانهُ وتعالَى- المُعرِض عن كلِّ ما سواه[1].

وعليه فجميعُ أديان الرسل حنيفية مائلةٌ عن الشرك إلى الحق، وهذه دعوةُ كل الرسل -عليهمُ السلامُ- كما قال ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-:

---

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص ٤٢).

فالديـنُ في التوحيـد ديـنٌ واحـدٌ لـم يختلـفْ منهـم عليـه اثنـانِ

ديـــنُ الإلـهِ اختـــارَه لعبـادِه ولنفسِـه؛ هـو قيِّـمُ الأديـانِ

فمِـنَ المُحـالِ بـأن يكـونَ لرُسْـلِه في وصفِـه خـبرانِ مختلفـانِ[1]

(١) «الكافية الشافية» (ص٨٥).

أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ[١]، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

.....

قولُه: «أَنْ تعبُدَ اللهَ...» إلخ، هذا تعريفٌ بملة نبيِّ الله إبراهيمَ -عليهِ السلامُ- وذلك: «أنْ تعبُدَ اللهَ وحدَه، مُخلِصًا لَهُ الدينَ»، فملةُ إبراهيمَ -عليهِ السلامُ- تجمعُ أمرَين: «العبادةَ، والإخلاصَ»، فمَن عبَد الله ولم يكنْ مخلصًا لم تكنْ عبادتُه شيئًا.

فملةُ إبراهيم هي التوحيدُ؛ والأدلة على ذلك كثيرةٌ؛ فمن ذلك قولُه -تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١]، ومن ذلك أيضًا إعلانُه -عليهِ السلامُ- البراءةَ من عبادةِ كلِّ ما سوى الله، والتزامُه القيامَ بعبادة الله، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، وهذه الآيةُ نظيرُ كلمة التوحيد؛ لأنَّ قولَه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، نفيٌ، وقولَه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ إثباتٌ، أي أن إبراهيمَ -عليهِ السلامُ- تبرَّأ مما يعبدُه قومُه من معبودات مختلفة، وأقرَّ أنه عابدٌ للذي فطَره وحده، وهذا هو معنى كلمة التوحيد

(١) قولُه: (وحده) زيادة في أكثر الطبعات، وليس في حاشية ابن قاسم.

«لا إله إلا الله»، ولهذا قال -جل وعلا- بعدها: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨]، يعني: لعلهم يرجعون إليها ويُخلصون لله- جل وعلا- العبادةَ.

والإخلاصُ هو: أن يُقصَد بالفعل التقرُّبُ إلى الله -عزَّ وجلَّ- وامتثالُ أمره، دون أن يَشتمِلَ على ما ينافي التقرُّبَ من المقاصد المذمومة؛ كالرياء والعُجْب ونحوِهما، قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، وقال ابنُ القيِّم: «الإخلاصُ هو: ما لا يَعلمُه ملَك فيكتبُه، ولا عدوٌّ فيُفسدُه، ولا يُعجَبُ به صاحبُه فيُبطلُه»(١).

والذي ينقضُ الإخلاصَ أحدُ أمرين: إما الرياء والسمعة، وإما أن يُشرِكَ مع الله في عبادته أحدًا، وتجدُ اليوم كثيرًا ممَّن ينتسبون إلى الإسلام، يقعون في بعض أنواع الشرك؛ كدعاء غيرِ الله، وعبادةِ القبور والضرائح، والذبحِ لها، والنذرِ لها،

(١) «الفوائد» (ص٩٩).

والطوافِ بها تقرُّبًا إلى أصحابها، والتبركِ بها، والاستغاثةِ بالأموات، وغير ذلك.

قال فضيلةُ شيخنا صالح الفوزان: «الحنيفيةُ: التي أعرضت عن الشرك بالكلية، وأقبلت على التوحيد بكُلِّيتها: أن تعبدَ الله مخلصًا له الدين»[1].

والإخلاصُ له فوائدُ كثيرة؛ فمنها:

أ- أن الإنسانَ به يحقِّقُ التوحيدَ لربه، ويُكمل له الطاعةَ، ويُخرجُ من قلبه تألُّهَ ما يهواه.

ب- أن الإخلاصَ يَصرفُ عن العبد المعاصيَ والذنوبَ، كما قال -تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

ج- أن الله يَصرفُ به عن العبد كيدَ الشياطين، فلا تكونُ لهم سلطةٌ عليه، قال -تعالى- حاكيًا على لسان هذا العدو الرجيم: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص٥٨).

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ...

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «وبذلك أمرَ اللهُ جميعَ الناس»، أي: بعبادته وحده دون مَن سواه؛ مخلصين له الدينَ حنفاءَ؛ قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

والعبادةُ نوعان[1]:

أ- **عبادةٌ كونية**: ومعناها الخضوعُ لأمر الله -تعالى- الكونيِّ، وهي شاملةٌ لجميع الخلق مؤمنِهم وكافرِهم، لا يخرجُ عنها منهم أحدٌ، وهذا النوعُ من العبادة لا يُحمَد أحدٌ عليها؛ لأنها بغير فعله، كما في قوله -تعالى-: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٢٥).

ب- **عبادةٌ شرعية**: ومعناها الخضوعُ لأمر الله -تعالى- الشرعيِّ، وهي خاصةٌ بمن أطاع الله -تعالى- اختيارًا، واتبعَ ما جاءت به الرسلُ، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان:٦٣].

وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ **[الذاريات:٥٦].**

.....

قولُه: «وخلَقَهم لَهَا»، أي: لعبادته؛ فالغايةُ من خلق الخلق هي: عبادةُ الله وحده لا شريك له[١].

و «الإنسُ» المذكورون في الآية هم بنو آدمَ، وسُمُّوا بالإنس لأن بعضَهم يأنَس ببعض، ويجتمعون ويتآلفون[٢].

ولفظ «الجنُّ» مأخوذٌ من الاجتنان؛ وهو في اللغة: الاستتار، تقول: جَنَّه الليلُ: إذا ستَرَه؛ فسُمُّوا جنًّا لأنهم مستتِرون عن الأعيُن[٣]؛ كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]، ومن ذلك: الجنينُ في البطن، لأنه مستتِرٌ عن الأعين.

---

(١) شرح الرسالة التدمرية للخميس (ص: ٤٤١).

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٧٤).

(٣) تصحيح الفصيح وشرحه (ص: ٣٣٠)، بدائع الفوائد (٢/ ٢٦٣).

والإنس والجن جميعُهم مكلَّفون بالعبادة، وإخلاصِ الدين لله -سبحانه-، ولأجل ذلك خُلقوا، قال -تعالى-: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ * ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:١-٣].

فالحكمةُ من خلق الله -عزَّ وجلَّ- هذه الخلائقَ؛ هي: عبادتُه وحده لا شريكَ له، كما هو نصُّ الآية الكريمة.

قال الفُضَيل في قوله -تعالى-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾، أي: «أخلَصُه وأصوَبُه»، وقال: «إن العملَ إذا كان خالصًا ولم يكنْ صوابًا لم يُقبَلْ، وإذا كان صوابًا ولم يكنْ خالصًا لم يُقبَلْ، حتى يكونَ خالصًا صوابًا؛ فالخالصُ: أن يكونَ لله، والصوابُ: أن يكونَ على السنة»، ثم قرأ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠][1].

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

وَمَعْنَى (يَعْبُدُونِ): يُوَحِّدُونِ.

.....

قولُه: «ومعنَى (يعبدونِ): يُوحِّدونِ»[١]، أي: يُفردوني بالعبادة؛ فالعبادةُ هي التوحيد، والتوحيدُ هو العبادة، ولذلك يُفسَّرُ التوحيدُ بالعبادة، كما تُفسَّرُ العبادةُ بالتوحيد.

عن أبي هريرةَ -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: قال رسولُ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «قال الله -عزَّ وجلَّ-: ابنَ آدم: تفرّغْ لعبادتي، أملأْ صدرك غنًى، وأسدَّ فقرك، وإلا تفعلْ، ملأتُ صدرك شغلًا، ولم أسدَّ فقرك»[٢].

في هذا الحديث بيانُ أن الله -عزَّ وجلَّ- إنما خلَق الخلقَ من أجل توحيدِ العبادة؛ وهو توحيدُ الألوهية، وفيه ردٌّ على مَن فسَّر التوحيدَ بأنه: مجرَّدُ الإقرار بأن الله هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميت المدبِّر فحسْبُ، وقد فسَّر حبرُ الأمة وتَرْجُمانُ

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٦) تفسير الطبري (١/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢٦٦).

القرآن عبدُ الله بن عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- قولَه -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ بقوله: «وحِّدوا ربكم»[1]؛ وكلُّ ما في القرآن من ذكر العبادة فمعناه التوحيدُ.

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٢).

وَأَعْظَمُ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ؛ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

.....

قولُه: «التَّوْحِيدُ» هو في اللغة: مصدرٌ قياسي للفعل «وحَّد»؛ تقول: وَحَّدَ الشيءَ يُوحِّدُه توحيدًا، أي: جعَله واحدًا لا ثانيَ له، وهذا لا يتحققُ إلا بنفيٍ وإثباتٍ؛ أي نفيِ الحكم عمَّا سوى الموحَّد، وإثباتِه له وحده، ولذلك يقولُ العلماءُ: إنه لا يتمُّ للإنسان التوحيدُ حتى يشهدَ أن لا إله إلا الله؛ فينفي بذلك الألوهيةَ عمَّا سوى الله -تعالى-، ويُثبتُها لله وحده[1].

وأنواعُ التوحيد ثلاثةٌ[2]:

أ- **توحيدُ الربوبية**: وهو إفرادُ الله -عزَّ وجلَّ- في أفعاله؛ بأن تعتقدَ أن الله -عزَّ وجلَّ- واحدٌ فيما يفعلُه، لا شريكَ له فيه؛ وأفعالُه: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وتدبيرِ الكون، فليس هناك ربٌّ سواه -سبحانهُ وتعالَى- كما قال الله

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ العثيمين (ص٣٩).

(٢) شرح الطحاوية تحقيق الأرناؤوط (١/ ٢٤).

-تعالى-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال -تعالى-: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

ب- **توحيدُ الألوهية** أو **توحيد العبادة**: وهو إفرادُ الله -عزَّ وجلَّ- بأمور العبادة التي شرَعها، ويُسمى توحيدَ القصد والطلب؛ وذلك بأن يُفرِدَ العبدُ ربَّه -عزَّ وجلَّ- في إنابته، وخضوعه، ومحبته، ورجائه، وسائرِ العبادات؛ قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

ج- **توحيدُ الأسماء والصفات**: وهو إفرادُ الله -تعالى- بما سمَّى به نفسَه، أو وصف به نفسه، في كتابه، أو على لسان رسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ وذلك بإثبات ما أثبته، ونفيِ ما نفاه؛ من غير تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تعطيل؛ قال -تعالى-: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقد عرَّف الشيخُ -رحمهُ اللهُ- التوحيدَ بقوله: «إِفْرَادُ اللهِ بِالعبادَة»، أي: إفراد الله بالألوهية، لأن هذا هو الذي ضلَّ فيه المشركون الذين قاتلهم النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- واستباح دماءَهم وأموالَهم وأرضَهم وديارَهم، وسبَى نساءَهم؛ لأنهم لم يحققوا هذا النوعَ من التوحيد؛ قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

فالعبادةُ لا تصحُّ إلا لله -عزَّ وجلَّ- ومَن أخلَّ بهذا النوع من التوحيد؛ فهو مشركٌ كافر، وإن أقرَّ بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات[١].

و«إِفْرَادُ اللهِ بِالعبادَة» لا بد أن يكونَ إفرادًا كاملًا؛ قولًا، وقصدًا، وفعلًا، فيجبُ على العبد أن يُفردَ الله في عبادته بالأقوال، وبالأفعال، وبالمقاصد[٢].

---

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» للعثيمين (ص٤٠).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص٤٦).

وهذا يبينُ لنا أن التوحيد أعظمُ ما أمَر اللهُ به، وكلُّ أوامرِ الدين التي أمَر اللهُ بها تكونُ بعد التوحيد، والدليلُ على ذلك قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]، إذْ بدأ –سبحانه– بحقه، ولم يقتصرْ على قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، بل قال بعده: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾، وذلك لأن العبادةَ لا تصحُّ مع الشرك، ولهذا تجدُ كثيرًا من الآيات تبدأُ بالعبادة لله –سبحانه– وحدَه، ثم تُتبع ذلك بالنهي عن الشرك؛ كقوله –تعالى– أيضًا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:٦٤].

فإذا كان أعظمُ ما أمَر اللهُ به التوحيدَ؛ فإنه يجبُ أن يَبدأ الإنسانُ بتعلُّم العقيدة قبل كلِّ شيء؛ لأنها أساسُ هذا الدين، ولا تصحُّ أيُّ عبادة بغيرها؛ كما سبق بيانُ ذلك.

وَأَعْظَمُ ما نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ.

.....

لو ذهبتَ تسألُ الناسَ اليومَ عن أعظمِ ما نهَى اللهُ عنه؟ فقد تجدُ مَن يذكر الربا، أو الزنا، أو القتلَ... إلخ، ولا شكَّ أن هذا من الجهل العظيم بحقيقة الدين، وشريعةِ رب العالمين -سبحانهُ وتعالَى-.

فأعظمُ ما نهى الله عنه هو الشركُ؛ كما قال -تعالى-: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٢]، فبدأ -سبحانه جل وعلا- قبل باقي المحرمات بالشرك في قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ

شَيْـًٔا﴾؛ فدلَّ على أن الشركَ هو أعظمُ ما نهى الله عنه.

وهذا يتكرَّرُ في غير موضع من القرآن؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢]، فبدأ بالنهي عن الشرك؛ ثم ذكر بعضَ المنهيَّات، وختمها بالنهي عن الشرك أيضًا، فقال -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩]، وكما قال -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالشركُ أعظمُ ذنب عُصِي الله به؛ فعن عمرِو بنِ شُرَحْبِيلٍ، عن عبدِ الله، قال: سألتُ النبيَّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: «أن تجعلَ لله ندًّا وهو خلقك»، قلتُ: إن ذلك لعظيم[1].

والشركُ أيضًا من المُوبِقات السبع؛ فعن أبي هريرةَ -رضيَ اللهُ عنهُ- عن النبي -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ»، قالوا: يا رسول الله وما

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧).

هنَّ؟ قال: «الشركُ بالله، والسحر...» الحديثَ[١].

والمشركُ لا يَغفر الله له، بخلاف العاصي؛ فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عذَّبه بعَدْله، وإن شاء غفَر له بفَضْله، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وأيضًا فإن المشركَ تُحرَّمُ عليه الجنةُ، قال -تعالى-: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

قال شيخُنا صالح الفوزان: «فيجبُ التحذيرُ من الشرك، وبيانُه للناس حتى يجتنبوه، هذا الذي يجبُ، أما أن يُسكَتَ عن الشرك، ويُترَكَ الناسُ يَهِيمون في عبادة غير الله، وهم يدَّعون الإسلامَ، ولا أحدَ يَنهى، ولا أحدَ يحذِّر؛ الأمرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦).

خطيرٌ جدًّا، هناك ناسٌ يتجهون إلى النهي عن الربا والزنا وفسادِ الأخلاق، هذه أمورٌ؛ نعم محرمةٌ وفسادٌ؛ لكنَّ الشركَ أعظمُ، فلماذا لا يُهتمُّ بالنهي عن الشرك، والتحذيرِ من الشرك؛ وبيانِ ما يقعُ فيه كثيرٌ من الناس في الشرك الأكبر وهم يدَّعون الإسلام؟!

لماذا هذا التساهلُ في أمر الشرك، والتغافلُ عنه، وتركُ الناس يقعون فيه؟! والعلماءُ موجودون، بل يعيشون مع هؤلاء ويسكتون عنهم، الواجبُ أن يُتَّجهَ أولًا إلى النهي عن هذا الخطر العظيم الذي فتَك بالأمة فتكًا ذريعًا، كلُّ ذنب دونه فهو أهونُ منه، والواجبُ أن نبدأَ بالأهمِّ فالأهم»[1].

(١) «شرح الثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص٦٧).

وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِه مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُه -تَعَالَى-: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

.....

قولُه: «وَهُو: دَعوةُ غيرِه مَعَهُ»، هذا تعريفُ الشرك، وتوضيحُه: أن يَصرِفَ المرءُ شيئًا من العبادة لغير الله؛ إلى ملَك من الملائكة، أو نبيٍّ من الأنبياء، أو صالحٍ من الصالحين، أو حجرٍ من الأحجار، مبنيٍّ على هيئة صنم، أو غيرِ ذلك من سائر المخلوقات.

تنبيهٌ: من أهل الضلال والبدع مَن يقولُ: إن الشركَ المنهيَّ عنه هو الشركُ في الحاكميَّة (أي: الحكم بغير ما أنزل الله)؛ لأن في ذلك إشراكًا لطاعة المخلوق بطاعة الله، ويَقصُرُ الشركَ على ذلك. وهذا القولُ انتشر في هذا الزمان[1].

والردُّ على ذلك أن يُقال: لا شكَّ أن طاعةَ المخلوق (في تحليلِ ما حرَّم الله أو تحريمِ ما أحلَّ الله؛ أو باعتقادِ أن لهم حقَّ التحليل والتحريم) شركٌ، لكن هناك

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٨٨).

ما هو أعظمُ منه؛ وهو عبادةُ غير الله -عزَّ وجلَّ- أو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغيره -سبحانه-؛ من ذبح أو نذر، أو طواف، أو استغاثة، فالواجبُ أن يُحذَّرَ من الشرك كله، لا أن يؤخذَ شيءٌ منه ويُتركَ ما هو أعظمُ وأخطرُ منه، فلا يُفسَّرُ الشركُ بأنه شركُ الحاكمية فقط (أو الشركُ السياسي كما يقولون)، ثم يُقال: إن عبادة القبور ليست بشرك، أو ليست بأعظمَ من الشرك في الحاكمية، فأنواعُ الشرك واضحةٌ كما سبق ذكرُها في أول هذا الشرح[١].

على أن مجرَّدَ الحكمِ بغير ما أنزلَ الله، لا يُعَدُّ كفرًا بإطلاق، بل فيه تفصيلٌ معروف، ينقلُه العلماءُ عن ابن عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- وغيرِه[٢].

---

(١) مقتبسة من شرح فضيلة الشيخ عبد الله القصير.

(٢) انظر: فتاوي اللجنة الدائمة رقم (٦٣١٠)، و(٥٧٤١)، وكذلك القول بما يسمى بـ (توحيد الحاكمية) لا يعرف في كلام العلماء المتقدمين، وإنما أحدثه بعض الكتاب من المعاصرين، وقد جعله الشيخ ابن عثيمين محدثًا، مبتدعًا، منكرًا، انظر: لقاء الباب المفتوح، الشريط رقم (١٥٠٢).

وأما الدليلُ الذي استدلَّ به المصنفُ؛ وهو قولُه -تعالى-: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ففيه البدءُ بالأمر بالتوحيد والنهيِ عن الشرك؛ وهذا هو وجهُ الدلالة؛ لأن هذا الأمرَ هو حقُّ الله -عزَّ وجلَّ- على عبيده؛ فعن معاذٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: كنتُ رديفَ النبيِّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- فقال: «يا معاذُ»، قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثًا، ثم قال: «هل تدري ما حقُّ الله على العباد؟» قلتُ: لا، قال: «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»، ثم سار ساعة، فقال: «يا معاذُ» قلتُ: لبيك وسعديك، قال: «هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم»[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٧).

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأصولُ الثَّلاثةُ»، سبق الحديثُ عن ذلك في أول الكتاب، مع بيان أهمية تلك الأصول.

وطريقةُ السؤال والجواب هو أسلوبٌ سلَكه الشيخُ -رحمهُ اللهُ- في كثير من رسائله، وهو منهج نافعٌ في تقرير المعلومات، وسرعة فهمِها واستيعابِها.

و «الأصلُ» لغةً: ما يُبنَى عليه غيرُه[1]، وشرعًا: كذلك أيضًا، لكن في أمور الدين، وكلُّ الدين يدورُ على هذه الأصول الثلاثة.

---

(١) تاج العروس، مادة (أصل)، (٢٧/ ٤٤٧).

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ.

.....

هذا هو الأصلُ الأول؛ وهو معرفةُ العبد ربَّه.

قولُه: «فَإِذَا قيلَ لك: مَن ربُّك؟»، أي: إذا سُئلت: مَن ربُّك؟ وهذا الأمر ستُسألُ عنه في الدنيا والآخرة.

والربوبيةُ في قوله: «مَنْ رَبُّكَ؟» يُقصَدُ بها: العبودية؛ لأن توحيدَ الربوبية عند الإطلاق يدخل في توحيد الألوهية، والعكس، بل إن توحيدَ الربوبية يُستدلُّ به على توحيد العبودية؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٥-١٦]، فاستدل إبراهيمُ الخليلُ -صلواتُ الله وسلامُه عليه- بأن الله، كما تفرَّد بالربوبية؛ من الخلق والرزق ونحوهما؛ فحقُّه أن يُفردَ بالألوهية؛ فكما أن لا ربَّ سواه،

فكذلك لا إله إلا غيرُه، لذلك لمَّا سأل فرعونُ موسى -عليهِ السلامُ-: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، أجابه -عليهِ السلامُ- بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٤].

والمشركون أقرُّوا بتوحيد الربوبية، والأدلةُ على هذا في كتاب الله كثيرةٌ، فمن ذلك قولُه -تعالى-: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، فأقروا بالرزق، والخلق، والتدبير؛ لله -سبحانهُ وتعالَى-؛ إذ كان جوابُهم لرسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾.

فإذا سُئلت: «مَنْ رَبُّكَ؟»، فقل: «رَبِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميعَ العَالَمِينَ بنِعَمِه»، فهذا هو الذي أعبدُه وأتذلَّلُ له؛ خضوعًا، ومحبةً، وتعظيمًا، وأفعلُ ما يأمرني به، وأتركُ ما ينهاني عنه، فليس لي أحدٌ أعبدُه سواه -عزَّ وجلَّ-.

فكلمةُ «الرب» معناها: ذو الربوبية على خلقه أجمعين؛ خلقًا، وملكًا، وتصرُّفًا، وتدبيرًا، لأن اسم «الرب» من الأسماء الدالَّة على جملة معانٍ، لا على معنًى واحدٍ[١].

قال ابنُ جرير الطبري -رحمهُ اللهُ-: «فإن الربَّ في كلام العرب متصرِّفٌ على معانٍ؛ فالسيدُ المطاع فيها يُدعى ربًّا، والرجلُ المصلح للشيء يُدعَى ربًّا، والمالكُ للشيء يُدعَى ربَّه، وقد يَتصرَّف أيضًا معنى الرب في وجوهٍ غيرِ ذلك، غيرَ أنها تعودُ إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة. فربُّنا -جل ثناؤه- السيدُ الذي لا شِبهَ له ولا مثلَ في سُؤدَدِه، والمصلحُ أمرَ خلقه بما أسبغَ عليهم من نعمه، والمالكُ الذي له الخلقُ والأمر»[٢].

فهو -سبحانهُ وتعالَى- الذي يربِّي جميعَ عباده بنعمه، ويطعمُهم برزقه وهم في

---

(١) «فقه الأسماء الحسنى» (ص٧٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٤١) بتصرف.

أرحام أمهاتهم؛ ففي الحديث: «إنَّ أحدَكم يُجمَعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكونُ عَلَقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغةً مثلَ ذلك، ثم يَبعثُ الله ملَكًا، فيُؤمَرُ بأربع كلمات، ويُقالُ له: اكتبْ عملَه، ورزقَه، وأجلَه، وشقيٌّ أو سعيد»[١].

فكلُّ ما على الأرض من الأمم، وأصنافِ المخلوقات، في البر أو في البحر أو في الجو، تتنعَّمُ بنعم الله وبفضله؛ قال -تعالى-: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١]، وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦].

فائدةٌ: قولُ المصنف: «الَّذِي رَبَّاني» يشيرُ إلى معنًى من معاني الربوبية؛ وهو «التربية»، وتربيةُ الله لعباده تنقسمُ إلى قسمين: عامةٍ وخاصةٍ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨).

(٢) التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية (ص: ٢٩).

فالتربيةُ العامة: تكونُ لجميع المخلوقات؛ بالإنعام، وبالصحة والعافية، وبالطعام والشراب والغذاء، وغيرِ ذلك، فالله -جل وعلا- ربُّ العالمين، فكلُّ ما يكونُ في المخلوقات من إنعام ورزق وغير ذلك؛ كلُّه من الله -سبحانهُ وتعالَى- كما قال -تعالى-: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

والتربية الخاصة: تختصُّ بأنبيائه وأوليائه وعبادِه الصالحين؛ بأن يربِّيَهم على الإيمان، ويوفِّقَهم لهذا الدين القويم، ويهديَهم إلى صراط مستقيم، فهذه التربيةُ من أعظمِ مِنَنِ الله عليهم، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:٢٣]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧]،

وقال -تعالى-: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]. فالتوفيقُ للإيمان، والهدايةُ للإسلام، والإعانةُ على طاعةِ الله تبارك وتعالى والسيرِ على صراطه المستقيم؛ هذه كلُّها من تربية الله الخاصةِ التي يتفضَّلُ بها -سبحانهُ وتعالَى- على مَن يشاءُ من عباده، والفضلُ بيد الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «وَهُوَ مَعْبُودِي»، أي أن الإلهَ الذي هذا شأنُه هو الذي يَستحقُّ العبادةَ منك ومن الخلق أجمعين، ولا يكفي أن تُقرَّ له بالربوبية فتقولَ: «رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّاني ورَبَّى جميعَ العَالمينَ بِنِعَمِهِ»، بل لا بد أن تتوجَّهَ له بالعبودية، والألوهية، وأن تُخلِصَ له العبادةَ، فهذا هو الفيصلُ بينك وبين مشركي قريش، الذين أقرُّوا بتوحيد الربوبية، وأنكروا توحيدَ الألوهية، كما قال -تعالى- مخبِرًا عن حالهم لمَّا جاءهم نبيُّنا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يدعوهم إلى التوحيد وإلى عبادة العزيز الحميد دون ما سواه: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۞ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۞ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۞ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص:٣-٨].

وقولُه: «لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ»، أي: مطلقًا؛ لا ملَك مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسل، وإذا كانت الألوهيةُ منفيةً عن هؤلاء؛ فمن بابِ أولى نفيُها عن الأولياء الصالحين، فضلًا عمَّن دونهم؛ من الأحجار والأشجار والقبور، وغير ذلك.

وهذا دليلٌ من الأدلة العقلية على كونِ الله -تعالى- مستحِقًّا للعبادة دون ما سواه، وهو الذي أشار إليه المصنفُ -رحمهُ اللهُ- بقوله: «الَّذِي رَبَّانِي ورَبَّى جميعَ العَالمينَ بِنِعَمِهِ».

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

.....

الحمدُ في اللغة هو: الثناءُ على المحمود، مع محبَّته وإجلالِه[1].

و «أل» في «الحمد» للاستغراق، أي: جميعُ المحامد ثابتةٌ لله؛ ملكًا واستحقاقًا؛ فهو -سبحانه- المستحقُّ للحمد المطلق، وأما غيرُ الله -سبحانه- فيُحمَدُ على قدر ما يَفعلُ من الجميل، ومن الخير، وأما الحمدُ المطلقُ الكاملُ فهو لله -عزَّ وجلَّ- وحده؛ لأن النعمَ كلَّها منه.

فائدةٌ: تكلم شيخُ الإسلام ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ- في «بدائع الفوائد» عن الفرق بين الحمد والمدح، فقال: «الفرقُ بين الحمد والمدح أن يُقال: الإخبارُ عن محاسنِ الغير إما أن يكون إخبارًا مجرَّدًا من حُبٍّ وإرادةٍ، أو مقرونًا بحبه وإرادته، فإن كان الأولَ؛ فهو المدحُ، وإن كان الثاني فهو الحمدُ، فالحمدُ إخبارٌ عن محاسنِ المحمودِ مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمَّنُ الإنشاءَ، بخلاف

---

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٢٥١).

المدح؛ فإنه خبرٌ مجردٌ، فالقائل إذا قال: «الحمدُ لله»، أو قال: «ربنا لك الحمد» تضمَّن كلامُه الخبرَ عن كل ما يُحمَد عليه -تعالى- باسمٍ جامعٍ مُحيطٍ متضمِّنٍ لكل فردٍ من أفراد الحمد المحقَّقةِ والمقدَّرةِ، وذلك يَستلزمُ إثباتَ كلِّ كمالٍ يُحمَدُ عليه الربُّ -تعالى-، ولهذا لا تصلحُ هذه اللفظةُ على هذا الوجه ولا ينبغي إلا لمن هذا شأنُه، وهو الحميدُ المجيد»[1].

قولُه -تعالى-: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: جميعِ العوالم: عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الحيوان، والأشجار، والبحار، والأنهار، والكواكب، والنجوم والفلك، وغيرها ممَّا لا يُحصيه ولا يعلمُه إلا الله -سبحانهُ وتعالَى- وحده، ولهذا لا يُقال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلا على الله -سبحانه عزَّ وجلَّ- وحده.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٩٣).

وَكُلُّ مَنْ[1] سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

.....

قولُه: «وَكُلُّ مَن سوى الله عالَم، وَأَنَا وَاحدٌ مِن ذَلِكَ العَالَم»، أي: كلُّ شيء غير الله -عزَّ وجلَّ- من الأجناس المختلفة؛ من عالم الإنسِ، والجنِّ، والحيوانِ، والبحارِ، والسماواتِ، والنجومِ؛ مخلوقٌ، وأنا واحدٌ من هذه المخلوقات.

فهذا دليلُ ربوبيته -سبحانه-، وإذا كان كذلك؛ فهو -سبحانه- المستحِقُّ للعبادة وحده، ولذلك تجدُ بعد قولِه -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] قولَه -سبحانه-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال ابنُ كثير -رحمهُ اللهُ- في تفسير هذه الآية: «قُدِّم المفعولُ، وهو «إياك»، وكُرِّر للاهتمام والحَصْر، أي: لا نعبدُ إلا إياك، ولا نتوكلُ إلا عليك، وهذا هو كمالُ

---

(١) في بعض النسخ (ما).

الطاعةِ، والدينُ يرجعُ إلى هذين المعنيين»[١]، ومعنى كلامِ الإمامِ ابنِ كثير: أن تقديمَ المعمول «إِيَّاكَ» وتأخيرَ العامل «نَعْبُدُ» يدل على الحصر، فمعنى قولِك: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» يختلفُ عن معنى قولِك: «نعبُدُك»؛ لأن قولك: «نعبُدُك» فيه إثباتُ العبادة فقط، لكن قولك: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» يتضمَّنُ النفيَ والإثباتَ، أي: نعبدُك ولا نعبدُ غيرَك، والعبادةُ لا تصحُّ إلا مع النفي والإثبات، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله».

قولُه: «بِمَ عرفتَ ربَّك؟»، أي: إذا قيل لك: بأي شيء عرفتَ ربَّك الذي ربَّاك بنعمه؛ أي: ما الدليلُ على ذلك؛ لأن مَنِ ادَّعى شيئًا فعليه أن يقيمَ الدليلَ على دعواه، والربوبيةُ تحتاجُ إلى معرفة، وتحتاجُ إلى علم؛ فالجوابُ: أن الدليلَ على ذلك نوعان؛ عقليٌّ وشرعي، ولذلك أجاب الشيخُ -رحمهُ اللهُ- بقوله: «فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ».

والآياتُ: جمع آية، ومعنى الآيةِ في اللغة: العلامةُ أو الأَمارة[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٤).

(٢) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (ص: ٢٠٣).

والآياتُ في الشرع تنقسمُ إلى قسمين[١]:

أ- **آياتٌ شرعية**: والقرآنُ مليءٌ بالآيات الدالَّة على أن الواحدَ -سبحانه- هو الخالقُ، الرازقُ، المدبرُ لهذا الكون؛ قال -تعالى-: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت:٥٣]، وقال -تعالى-: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [غافر:٦٢]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، وقال -تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٠-٢١]، وقال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام:٢]، وقال -تعالى-:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٢٤).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦] وقال -تعالى-: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

ب- **آياتٌ كونية**: وهي مخلوقاته -سبحانهُ وتعالَى-؛ كما قال الشيخ حافظ الحكمي -رحمهُ اللهُ-: «فإن هذه العوالمَ العُلْوياتِ والسُّفْلياتِ؛ لا بد لها من مُوجِد أوجَدَها، ويتصرَّفُ فيها ويدبِّرُها، ومُحالٌ أن تُوجَدَ بدون مُوجِد، ومحالٌ أن تُوجِدَ أنفُسَها. قال الله تبارك وتعالى في مقامِ إثباتِ الربوبية وتوحيدِ الألوهية: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٦]، قال ابنُ عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا-: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾، أي: من غير رب، ومعناه: أَخُلِقوا من غير شيء خَلَقَهم فوُجدوا بلا خالق؟ وذلك ممَّا لا يجوزُ أن يكونَ؛ لأن تعلُّقَ الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالقَ لم يَجُزْ أن يُوجَدوا بلا خالق، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ لأنفُسِهم؛ وذلك في البطلان أشدُّ؛ لأن ما لا وجودَ

له كيف يَخلُق؟ فإذا بطَل الوجهان قامت الحُجةُ عليهم بأنَّ لهم خالقًا؛ فليؤمنوا به، ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وهذا في البطلان أشدُّ وأشدُّ؛ فإن المسبوقَ بالعدم يستحيلُ أن يُوجَد بنفسه فضلًا عن أن يكون مُوجِدًا لغيره، وهذا إنكارٌ عليهم في شركهم بالله -عزَّ وجلَّ- وهم يعلمون أنه الخالقُ لا شريك له، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي: ولكنْ عدمُ إيقانهم هو الذي يَحمِلُهم على ذلك.

وعن جُبَيرِ بنِ مُطعِم -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: سمعتُ رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقرأُ في المغرب بالطور، فلمَّا بلغَ هذه الآيةَ: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٧]، كاد قلبي أن يطيرَ»[1].

ومن الإشارة إلى الآيات الكونية قولُه -تعالى-: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، وقولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥].

---

(١) «معارج القبول» (١/ ٩٩).

قال بعض العلماء: انظرْ إلى السماء مَن رَفَعها، وإلى الأرض مَن بسَطها، وإلى النجوم والكواكبِ، وإلى الرياح كيف تقودُ تلك القواربَ، هذا الخلقُ كلُّه إنما يدلُّ على خالقٍ مُبدعٍ له -سبحانهُ وتعالَى-. قيل لبعض الأعراب: بِمَ عرَفتَ ربَّك؟ فقال: البَعْرةُ تدلُّ على البعير، وآثارُ الخُطَى تدلُّ على المسير؛ فسماءٌ ذاتُ أبراج وأرضٌ ذات فِجَاج، كيف لا تدلُّ على العلي الكبير؟ وقد أشارت الرسلُ -عليهمُ السلامُ- إلى هذا المعنى في قوله -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

وقد خطب قسُّ بنُ ساعدةَ في سوقِ عُكاظٍ ذاتَ يوم؛ فقال: «آياتٌ محكماتْ؛ ومطرٌ ونباتْ، وآباءٌ وأمهاتْ، وذاهبٌ وآتْ، وضوءٌ وظلامْ، وبِرٌّ وآثامْ، ولباسٌ ومركبْ، ومطعم ومشربْ، ونجومٌ تمورْ، وبحورٌ لا تغورْ، وسقف مرفوعْ، ومهاد موضوعْ، وليلٌ داجْ، وسماء ذاتُ أبراجْ، ما لي أرى الناسَ يموتون ولا يرجعون؟ أرَضُوا فأقاموا، أم حُبِسوا فناموا؟»[1].

(١) انظر: «البيان والتبيين» (ص٢٥٣- ٢٥٤).

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -سبحانهُ وتعالَى-:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

.....

المصنف -رحمهُ اللهُ- يستدلُّ هنا على الآيات الكونية بذكرها في الآيات القرآنية، ولذلك قال -رحمهُ اللهُ-: «ومن آياتِه: الليلُ والنهارُ...» إلخ.

فهذه آياتٌ مشاهَدة بالعين المجرَّدة: «الليلُ والنهار، والشمسُ والقمر، والسماءُ والأرض، والجبالُ والبحار» وإنما سُمِّيت آياتٍ لأنَّ بها دلالاتٍ على خالقها -سبحانهُ وتعالَى-.

قال أبو العَتاهِية[1]:

فيا عجبًا كيف يُعصَى الإلَـ ـهُ أم كيف يَجحَدُه الجاحِدُ؟

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١/ ١٤١).

ولله في كل تحريكةٍ وفي كلِّ تسكينةٍ شاهدُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

فيا لَلْعجبِ! كيف يَجحَدُ المخلوقُ الضعيفُ ربه -عزَّ وجلَّ-؟! تجدُ المُلحِدَ يقولُ: لا يوجدُ إلهٌ، وهذا الكونُ وُجد وحدَه من دون خالق!

سبحان الله! ألم يسمعوا قولَ الله -سبحانهُ وتعالَى- وهو يخاطبُ العقولَ: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦].

قال العلَّامةُ السعديُّ -رحمهُ اللهُ-: «فإن كان عندهم شكٌّ واشتباهٌ، وجعلوا له شركاءَ زعَموا أنهم خلَقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزِلْ عنهم هذا الاشتباهَ واللَّبْسَ بالبرهان الدالِّ على توحُّدِ الإلهِ بالوَحْدانية، فقل لهم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ فإنه من المحال أن يَخلُقَ شيءٌ من الأشياء نفسَه، ومن المحال أيضًا أن يُوجَدَ من دون خالق، فتعيَّن أنَّ لها إلهًا خالقًا لا شريكَ له في خلقه؛ لأنه الواحدُ القهار، فإنه

لا توجد الوحدةُ والقهرُ إلا لله وحده، فالمخلوقاتُ وكلُّ مخلوق فوقه مخلوقٌ يَقهَرُه، ثم فوق ذلك القاهرِ قاهرٌ أعلى منه، حتى ينتهيَ القهرُ للواحد القهَّارِ، فالقهرُ والتوحيدُ مُتلازِمانِ متعيِّنان لله وحده، فتبيَّن بالدليل العقلي القاهرِ أنَّ ما يُدعَى من دون الله ليس له شيءٌ من خلقِ المخلوقات؛ وبذلك كانت عبادتُه باطلةً»[1].

وقوله: «الليلُ والنهارُ» فيه إشارةٌ إلى أعظمِ مخلوقات الله -سبحانهُ وتعالَى- وإلى آلتَيْهما: الشمسِ والقمر؛ فالليلُ ظلامٌ دامس يَحُلُّ في سماء الأفق، والنهارُ فجرٌ ساطع، يكسو السماءَ بنوره، قال -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٠-٧٣]

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٤١٥- ٤١٦).

قال ابنُ كثير -رحمهُ اللهُ- في تفسير هذه الآية: «يقولُ -تعالى- ممتنًّا على عباده بما سخَّر لهم من الليل والنهار، اللذَيْن لا قِوَامَ لهم بدونهما، وبيَّن أنه لو جعَل الليلَ دائمًا عليهم سرمدًا إلى يوم القيامة؛ لأضرَّ ذلك بهم، ولسئِمَتْه النفوسُ وانحصَرَت منه، ولهذا قال -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١]؛ أي: تُبصرون به، وتستأنسون بسببه، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، ثم أخبر أنه لو جعَلَ النهارَ سرمدًا دائمًا مستمرًّا إلى يوم القيامة؛ لأضرَّ ذلك بهم، وَلَتَعِبتِ الأبدانُ وكلَّت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:٧٢]، أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالِكم، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ * ومن رحمته﴾ أي: بكم ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: خلَق هذا وهذا، ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾، أي: في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾، أي: في النهار؛ بالأسفار والتَّرْحال، والحركاتِ والأشغالِ، وهذا من بابِ اللَّفِّ والنَّشْرِ[1]. وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: تشكرون اللهَ بأنواع

(١) اللف والنشر: مصطلح بلاغي، معناه: أن تذكر شيئين، ثم تتبعهما ما يتعلق بكل واحد منهما من =

العبادات في الليل والنهار، ومَن فاته شيءٌ بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل؛ كما قال -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [الفرقان:٦٢]، والآياتُ في هذا كثيرة»[١].

وجعلُ اللهِ الليلَ والنهارَ يتعاقبان منتظِمَينِ لا يتخلَّفُ واحدٌ منهما ولا يتغيرُ، على نظام واحد؛ سنةٌ كونية، حتى يأتيَ أمرُ الله يوم القيامة؛ فعن أبي ذَرٍّ -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: قال النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- لأبي ذر حين غرَبت الشمسُ: «أتدري أين تذهبُ؟»، قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «فإنها تذهبُ حتى تسجُدَ تحت العرش، فتستأذنَ فيؤذنَ لها، ويُوشكُ أن تسجدَ، فلا يُقبلَ منها، وتَستأذنَ فلا يؤذنَ لها، يُقال لها: ارجعي من حيث جئتِ، فتطلُعُ من مغربها، فذلك قولُه -تعالى-:﴿وَالشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨][٢].

=غير تعيين، ثقةً بأن السامع يرد كلًّا منهما إلى ما هو له، ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ص٦٦٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٩).

فاقتضت حكمةُ الحكيم -سبحانهُ وتعالَى- أن يكون الليلُ والنهارُ مستمرَّيْن لا يتعطلُ واحدٌ منهما ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، إذ لو تعطلَ أحدُهما لحظةً واحدة لتعطلت مصالحُ الخلق كلهم.

قولُه: «وَالشَّمْس»، وهو: كوكبٌ مضيءٌ نَهاريٌّ.

وقولُه: «وَالقَمَر»، وهو: كوكبٌ عاكسٌ لضوء الشمس.

فكلاهما كوكبٌ، وكلاهما يُوصلُ الضوءَ للناس في طرقهم.

فالشمسُ نعمة عظيمة من نعم الله، ونورُها وضياؤها من أسباب استمرار الحياة ومصالحِ الناس، من نماءٍ ومعاشٍ.

والقمرُ أيضًا له فوائدُه، ومن أهمِّها معرفةُ حساب الأيام والشهور والسنين؛ كما قال -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥]، وقال -تعالى-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ

لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، ففي الأهلَّة مصلحةٌ عظيمة؛ لمعرفة المواقيتِ والآجال، ولا سيما ما يتعلقُ بالعبادات؛ من حسابِ دخول الشهر، والصيامِ، والحجِّ، والعِدَد للنساء، وغير ذلك.

ثم قال المصنفُ -رحمهُ اللهُ-: «ومِن مخلوقاتِه: السماواتُ السبعُ، والأرَضونَ السبعُ، وما فيهنَّ، وما بينهما»، والآياتُ في القرآن الكريم عن خلق السماوات والأرض كثيرةٌ جدًّا؛ فمن ذلك قولُه -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وغيرُ ذلك.

فالله -سبحانهُ وتعالَى- خلقَ هذا الكونَ، وجعله سبعَ سماوات، لكل سماءٍ

سُكَّانٌ وعُمَّارٌ لا يعلمُهم إلا الله -سبحانهُ وتعالَى-، وكذلك خلقَ -سبحانه- الأرَضِينَ السَّبعَ، وما فيها من أنهار وأشجارٍ وبحار، وخلقٍ كثير لا يعلمُهم إلا هو -سبحانه-.

فما ذكره المصنفُ -رحمهُ اللهُ- من الآيات ومن المخلوقات؛ كلُّه دلائلُ عقليةٌ -كما ذكرنا- تدلُّ على أنَّ هناك خالقًا -سبحانهُ وتعالَى-، وتدل أيضًا على صفات الخالق -سبحانهُ وتعالَى-؛ من كمال القدرة، وكمالِ الحكمة، وكمالِ الرحمة.

وهذا هو وجهُ المناسبة في الآية التي ذكرها المصنفُ -رحمهُ اللهُ- بعد ذلك، وهو قولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، والمقصودُ بذلك إبطالُ الشركِ والنهيُ عنه؛ لأن المشركين منهم مَن كان يعبدُ الشمسَ، ومنهم مَن كان يعبدُ النجومَ والكواكبَ، وغيرَ ذلك من المخلوقات العظيمة؛ فإذا كانت هذه المخلوقاتُ العظيمةُ في وصفها الكبيرةُ في

حجمها؛ قد نهى الله عن السجود لها، فما بالُ الوليِّ والقبر والحجر وغيرِ ذلك؟

ألا يكونُ النهيُ عن السجود والعبادة لهذه الأشياء من بابِ أولى؟

فائدةٌ: قال الشيخُ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: «والشيخ -رحمهُ اللهُ- هاهنا فرَّق بين الآيات والمخلوقات، مع أنه في القرآن ما يُثبت أن السماواتِ والأرضَ من الآيات، فلماذا فرَّق؟

فالجوابُ: أن تفريقَ الشيخ -رحمهُ اللهُ- بينهما دقيقٌ جدًّا؛ وذلك أن الآياتِ جمعُ آية، والآية هي البينةُ الواضحة الدالة على المراد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٨] يعني: دلالةً بيِّنةً واضحةً على المراد منها، وهنا ننظرُ إلى أنه بالنسبة لمن سُئل هذا السؤالَ: كونُ الليل والنهار والشمس والقمر آيةً أظهرُ منه عند هذا المسؤول أو المجيبِ من السماوات والأرض، لماذا؟ لأنَّ تِلكُمُ الأشياءَ التي وُصفت بأنها آياتٌ؛ متغيرةٌ متقلِّبة، تذهبُ وتجيءُ، أما السماءُ؛ فهو يُصبح ويرى السماءَ، ويصبح ويرى الأرضَ، فإلْفُه للسماء والأرض يحجُبُ

عنه كونَ هذه آياتٍ، لكنَّ الأشياءَ المتغيرةَ التي تذهب وتجيء، هذه أظهرُ في كونها آيةً، ولهذا طلب إبراهيمُ الخليل -عليهِ السلامُ- الاستدلالَ بالمتغيرات؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٥-٧٧]، لماذا؟ لأنه استدل بهذه الحركة على الحدوث، واستدل بهذا التنقُّل على أنه آية لغيره»[1].

وقد يُقال أيضًا: إنَّ عطفَ المخلوقات على الآيات، في قوله -رحمهُ اللهُ-: «بآياته ومخلوقاته»؛ من بابِ عطف الخاصِّ على العامِّ؛ لأن المخلوقاتِ من الآيات.

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ صالح آل الشيخ، (ص ٦١- ٦٢).

وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

.....

بعدما ذكَر المصنفُ -رحمهُ اللهُ- النهيَ عن الشرك، ذكر إثباتَ الربوبية والعبادةِ للمولى -سبحانهُ وتعالَى-؛ لأنَّ قولَه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، لا يوجدُ له مخالفٌ ولا معارضٌ ولا شاكٌّ.

﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ﴾، أي أنَّ المولى -عزَّ وجلَّ- خلقَ هذه المخلوقاتِ العظيمةَ الهائلةَ في ستة أيام، مع أنه قادرٌ على أن يخلقَها في لحظة، ولكنه فعل ذلك لحكمةٍ يعلمُها هو -سبحانهُ وتعالَى-.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، أي أنه بعدما تُشرق الشمسُ، ويحلُّ النورُ، وينتشرُ النهارُ، وتكونُ السماءُ مضيئةً؛ يأتي الليلُ فيغطي ذلك النهارَ بظلامه، ويُذهب ضياءَه سريعًا، وهكذا يتعاقبُ الليل والنهارُ في تنظيمٍ وقتيٍّ مُتقَن من لدنه

-عزَّ وجلَّ- لا تجدُ فيه اختلافًا ولا تقدُّمًا ولا تأخرًا، فلكلٍّ منهما ميعادُه الذي قدَّره الله له؛ ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾؛ الخلقُ: هو الإيجادُ من عدم؛ والله -عزَّ وجلَّ- هو المتفردُ بالخلق، فهو -سبحانهُ وتعالَى- يخلقُ ما يشاء في أي وقت يشاء، وإذا تفرَّد -سبحانهُ وتعالَى- بالخلق، فهو أيضًا المتفرِّدُ بالأمر.

والأمرُ نوعان: كَوْني وشرعي[1].

فالكَوْني: هو الأمرُ القدري الذي يقولُ الله فيه للشيء: كن فيكون؛ مثلُ قوله -تعالى-: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١].

والشرعي: هو الوحيُ المنزلُ من السماء على نبيه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- الذي يأمرُ فيه عبادَه بطاعته، واجتنابِ ما نهى عنه.

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٦٥)، شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١١٦).

وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١:٢٢] **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رحمهُ اللهُ تَعَالَى-: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.**

.....

قولُه: «والربُّ هو المعبودُ»، أي: هو المستحِقُّ -سبحانهُ وتعالَى- لأن يُعبَدَ دون ما سواه، فلا يكفي الإنسانَ أن يُقِرَّ لله بالربوبية، بل لا بد أن يتوجَّهَ بالعبودية له -سبحانهُ وتعالَى-، ويعمَلَ بمقتضاها مخلصًا له -سبحانه- وَفْقَ ما أنزله المولى -سبحانه- من شرعٍ على نبيِّه محمدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ...﴾ الآيةَ، جمعت هذه الآيةُ -بعدما بيَّنت عظمةَ الله في خلقه السماواتِ والأرضَ- بين الأمرِ بعبادة الله وحده والنهيِ عن عبادةِ ما سواه؛ فقال -سبحانه-: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، فـ«اعْبُدُوا» فعلُ

أمرٍ، أي: أخلِصوا له العبادةَ؛ لأنه ربُّكم.

قال إمامُ المفسِّرين ابنُ جرير الطبري -رحمهُ اللهُ- في هذه الآية بعد أن ذكرَ تفسيرَ ابنِ عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- لها: «والذي أرادَ ابنُ عباس -إن شاء الله- بقوله في تأويل قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وحِّدوه، أي: أفرِدوا الطاعةَ والعبادةَ لربكم دون سائرِ خلقه»[1].

ثم نقل المصنفُ قولَ ابنِ كثير[2] -رحمهُ اللهُ-: «الخالقُ لهذه الأشياءِ هو المستحِقُّ للعبادةِ».

ونقل ابنُ كثير: «عن ابن عباس: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أي: لا تُشركوا بالله غيرَه من الأنداد التي لا تنفعُ ولا تضرُّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم يرزقُكم غيرُه، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسولُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٣).

(٢) لم أجد هذا الكلام في تفسير ابن كثير بهذا النص، ولكن بالمعنى.

من توحيده؛ هو الحقُّ الذي لا شك فيه»[١].

وهذا أولُ أمر وأولُ نهيٍ في كتاب الله؛ فقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- عبادَه بالتوحيد؛ لأنه أعظمُ واجب، ونهاهم عن الشرك؛ لأنه أعظمُ ذنب؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: سألتُ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: «أن تجعلَ لله ندًّا وهو خلقك»[٢].

فهذه الآيةُ التي استدلَّ بها المصنفُ -رحمهُ اللهُ- فيها إشارةٌ إلى البراهينِ العقلية التي تنقضُ الشركَ والإلحادَ معًا، ففيها تقريرُ أن اللهَ هو الخالقُ الرازق المدبِّر لهذا الكون، ومَن كانت هذه صفتَه فهو المستحقُّ للعبادة.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٦١).

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا...

.....

بعد أن بيَّن المصنفُ -رحمهُ اللهُ- أن الربَّ هو المعبودُ؛ كان من المناسب أن يذكُرَ أنواعَ العبادة التي يُعبَدُ الله -عزَّ وجلَّ- بها، ويجبُ إفرادُه بها.

قولُه: «وأنواعُ العبادةِ التي أمَرَ اللهُ بِهَا» تنبيهٌ على أن هذه الأمورَ الثلاثةَ «التي سيأتي ذكرُها؛ وهي: الإسلام والإيمان والإحسان» هي أعظمُ مراتبِ الدين، وأعظمُ أنواعِ العبادة؛ كما هو مبيَّن في حديثِ جبريلَ -عليهِ السلامُ- المشهورِ.

والعباداتُ ثلاثةُ أنواع[1]:

الأولُ: عباداتٌ قلبية؛ أي التي تكونُ بالقلب؛ كالخوف، والرجاء، والتوكُّل، والمحبَّة، وأكثرُ العبادات من هذا النوع.

الثاني: عباداتٌ قولية؛ أي التي تكونُ باللسان؛ كالذكر، والدعاء.

الثالثُ: عباداتٌ بدنية؛ أي التي تكونُ بسائر الجوارح؛ كالصيام، والحج، والزكاة.

---

(١) المفيد في مهمات التوحيد (ص: ٩٥).

مِثْلُ: الإِسْلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ.

.....

شرَع الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هنا في ذكر أمثلةٍ على العبادة، فقال: «مثلُ: الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسان»، وهذه الثلاثة هي أعظمُ العبادات، وسيأتي شرحُها في كلام الشيخ -رحمهُ اللهُ- في الأصل الثاني، عند قوله: «وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَةِ».

وهذه النماذجُ من العبادات التي أوردها الشيخُ -رحمهُ اللهُ- من باب التمثيل لا الحصر؛ لأن العباداتِ أكثرُ مما ذكره، ولا يُمكن استيعابُها في رسالة مختصرة كهذه، ولشيخ الإسلام ابنِ تيميَّةَ رسالةٌ مستقلة موسومةٌ بـ«العبودية»، تكلم فيها عن العبادة، وأنواعِها، وبيانِ الانحرافات التي تحصلُ فيها من الصوفية أو غيرِهم، وهي رسالة نفيسة ينبغي لطالب العلم أن يقرأَها ويحرصَ على ضبط مسائلها.

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ كُلُّهَا لله -سبحانهُ وتعالَى-، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

.....

العباداتُ التي ذكرها المصنفُ -رحمهُ اللهُ- هنا، بعضُها من الأقوال، وبعضُها من الأفعال، وبعضُها ظاهرٌ، وبعضُها باطن، وبعضُها لسانيٌّ، وبعضُها قلبيٌّ، وبعضُها فِعْليٌّ قلبيٌّ، وبعضُها من عمل الجوارح؛ فهي نماذجُ متنوِّعة من العبادات، وسيأتي إن شاء الله -تعالى- تفصيلُها بأدلتها ومعانيها؛ لأن المؤلفَ ذكرها أولًا مجملةً، ثم أورد على كل عبادةٍ دليلَها مفصَّلًا.

قولُه: «كُلُّهَا للهِ»، أي: كلُّ أنواع العبادة -مما ذُكر هاهنا، وما لم يُذكر- لله وحده لا شريك له، ولا يَحلُّ صرفُ شيء منها لغيره -سبحانهُ وتعالَى-.

وقولُه -تعالى-: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾، استدلَّ به الشيخُ -رحمهُ اللهُ- على كون

العبادةِ حقًّا لله -تعالى-، ولا يجوزُ صرفُها لغيره. والشيخُ -رحمهُ اللهُ- في هذا جارٍ على طريقة أهل العلم، وعلى جادَّةِ السلف الصالح، يذكرون المسألةَ مضمومًا إليها دليلُها؛ إما من كتاب الله -جل وعلا- وإما من سنة نبيِّه -صلواتُ الله وسلامه عليه- فهم لا يأتون بشيء من عند أنفُسِهم، ولا يخترعون الأدلةَ، وحاشاهم من ذلك.

قولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾، قيل: المرادُ بها أماكنُ السجود، وهي البِقاعُ التي تُقام الصلاةُ بها، وعليه؛ فالمعنى: أنها إنما بُنيت لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيرَه.

وقيل: المرادُ بالمساجد أعضاءُ السجود: الجبهةُ، والأنفُ، واليدانِ، والركبتان، وأطرافُ القدمين، كما في حديث ابنِ عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- قال: قال النبيُّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظمٍ: على الجبهة -وأشار

بيده على أنفه- واليدين، والركبتين، وأطرافِ القدمين»[١]، وعليه؛ فالمعنى: فلا يسجدْ لغيره[٢].

﴿لِلَّهِ﴾ وحده -سبحانه- لا شريك له.

﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وهذا يشملُ النهيَ عن دعاء المسألة ودعاءِ العبادة؛ إذ إن الدعاءَ عبادةٌ.

﴿أَحَدًا﴾ نكرةٌ في سياق النهي؛ فتعُمُّ كلَّ أحد، ولا يُستثنى شيءٌ من هذا العموم؛ لا ملَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسل، ولا صنمٌ، ولا وثنٌ، ولا قبرٌ، ولا شيخٌ، ولا وليٌّ، ولا حيٌّ، ولا ميتٌ، كائنًا مَن كان؛ لأنها تعمُّ كلَّ مَن دُعي مِن دون الله. ففي الآية دليلٌ على أن العبادةَ لا تنفعُ إلا مع التوحيد، وأنها إذا خالطها الشركُ تبطلُ وتكونُ وبالًا على صاحبها.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٩).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٧٢).

فلا يجوزُ أن تُتخَذَ المساجدُ للشرك ودعوةِ غير الله؛ بأن تُقامَ على القبور، بل يجبُ النهيُ عن ذلك، ويجب أن تُطهَّر أيضًا من بدع الروافضِ الغُلاة، والصوفيةِ المبتدِعة، ومن كل أنواعِ البدع والشرك والمعاصي؛ لأنها لله وحده -سبحانه-.

«**فائدةٌ**» الدعاءُ يأتي في القرآن على معنيين[1]:

الأولُ: دعاءُ المسألة والطلب؛ أي طلبِ ما ينفعُ الداعيَ؛ من جلبِ نفعٍ أو دفع ضرٍّ.

الثاني: دعاءُ العبادة؛ أي بأيِّ نوعٍ من أنواعها التي ليس فيها سؤالٌ ولا طلبٌ؛ كأن يتعبدَ للمدعوِّ طلبًا لثوابه أو خوفًا من عقابه، وهذا لا يصحُّ صرفُه لغير الله؛ لأن ذلك شركٌ أكبرُ مخرجٌ من الملة.

والدعاءُ في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ شاملٌ للمعنيين: دعاءِ العبادة، ودعاءِ المسألة؛ فلا يصحُّ قَصْرُ النهي في الآية على دعاء المسألة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠).

والطلبِ فقط دون دعاء العبادة، أو العكسُ، بل النهيُ في الآية يشملُ النوعين؛ ويدلُّ على ذلك قولُه -تعالى-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، وجهُ الدلالة أنه فسَّر الدعاءَ بأنه عبادةٌ، وكذلك قولُه -تعالى- على لسان الخليلِ إبراهيمَ -عليهِ السلامُ-: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم:٤٨]، ثم قال -جل وعلا- بعد ذلك، ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٩].

ففي الآية الأولى أخبرَ عن إبراهيمَ -عليهِ السلامُ- أنه قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾؛ فدل ذلك على أن إبراهيمَ -عليهِ السلامُ- حين قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ قَصَدَ: وما تعبدون.

والحاصلُ: أن المولى -سبحانهُ وتعالَى- أمر عبادَه بإخلاص الدعاءِ له وحده في العبادة، والإخلاصُ عملٌ قلبي لا يصلحُ إلا لله -جل وعلا- كما قال -تعالى-:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:١-٣]، وكما قال -تعالى-: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

.....

قولُه: «فمَن صرَفَ مِنْهَا شيئًا»، أي: مَن توجَّه بشيء من أنواع تلك العباداتِ لغير الله «فَهُو مُشرِكٌ كافرٌ»، والمقصودُ بالشرك هنا هو الأكبرُ، ومنه قولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥]، وقولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]؛ فجعلَ الشركَ بالله -تبارك وتعالى- مُبطِلًا للأعمال، محبِطًا لها، وهذه قاعدةٌ كبرى في التفريق بين أنواع الشرك؛ يَتميَّزُ بها الشركُ الأكبرُ عن غيره، فالأكبرُ أن تصرفَ أيَّ عبادةٍ لغير الله -عزَّ وجلَّ-.

وقد سبق بيانُ أقسامِ الشرك، والكلامُ عنها بالتفصيل، ولكن لا بأسَ من ذكر تقسيمٍ آخرَ للشرك ذكره الشيخُ صالح آل الشيخ -حفظه الله- فقال:

«والشركُ أقسامٌ، والعلماءُ يقسِّمون الشركَ باعتبارات مختلفةٍ:

فتارةً يُقسَّم الشركُ إلى: شرك ظاهرٍ، وشركٍ خفي.

وتارةً يُقسَّم الشركُ إلى: شرك أكبرَ، وشركٍ أصغرَ.

وتارةً يُقسَّم الشركُ إلى: شرك أكبرَ، وشركٍ أصغرَ، وخفيٍّ.

وهذه تقسيماتٌ معروفة عند العلماء، وكلُّ تقسيم باعتبار، وهي تلتقي في نتيجةِ كلِّ قِسْم والتعريفِ، لكنه اختلافٌ في التقسيم باعتبارات مختلفة.

فمثلًا مَن يقسِّمون الشركَ إلى: ظاهر وخفي، إلى: جلي وخفي؛ فيكونُ الجليُّ منه ما هو أصغرُ، ومنه ما هو أكبرُ؛ الجلي: الظاهرُ الذي يُحَسُّ؛ مثل الذبح لغير الله والنذرِ لغير الله، هذا جلي، هذا من نوع الشرك الأكبر، هو جلي أكبرُ، كذلك مثلُ الاستغاثة بغير الله فيما لا يَقدِرُ عليه إلا اللهُ، كذلك هذه من أنواع الشركِ الجلي الأكبر. الحلفُ بغير الله –تعالى– شركٌ جلي، ولكنه أصغرُ. هذا قسمٌ: شركٌ جلي، قَسِيمُه: الشركُ الخفي؛ منه ما هو أكبرُ كشرك المنافقين؛ فإن شركَهم خفي لم يُظهروه، وإنما أظهروا الإسلامَ، فما قام في قلوبهم من التنديد والشرك صار خفيًّا؛ لأنهم لم يُظهروه، فهو شرك خفي، ولكنه أكبرُ.

وهناك شركٌ خفيٌّ أصغرُ؛ مثلُ يسيرِ الرياء؛ فإن كان الرياءُ كاملًا، كان ذلك شركًا أكبرَ؛ كشرك المنافقين، وإن كان يسيرًا كتصنُّع المرء للعبادة لمخلوقٍ مثلِه لغير الله؛ فهذا إذا كان يسيرًا؛ فإنه شركٌ أصغرُ خفي.

هذا نوعٌ من أنواع التقاسيمِ.

بعضُ العلماء يقولُ: الشركُ قسمان: أكبرُ وأصغر؛ فإذا كان أكبرَ؛ قسَّم الأكبرَ إلى: جلي وخفي، وقسَّم الأصغرَ إلى: جلي وخفي.

والأوضحُ أن يُقسَّم إلى ثلاثة: إلى أكبرَ، وأصغرَ، وخفيٍّ؛ ويكونُ الخفيُّ مثلَ يسير الرياء، والأصغرُ مثلَ الحلف بغير الله، وتعليقِ التمائم، ونحوِ ذلك، والأكبرُ مثلَ الذبح، والنذرِ، والاستغاثةِ، ودعاء غيرِ الله -جل وعلا-»[1].

فمَن صرَف شيئًا من العبادة لغير الله -عزَّ وجلَّ- فإنه يكونُ بذلك مشركًا؛ إذِ العبادةُ حقُّ اللهِ -تعالى-، فمَن جعل شيئًا من هذا الحق الخالصِ لله -عزَّ وجلَّ- لغيره؛ فقد وقع في الشرك -والعياذُ بالله!-.

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٧٥-٧٦).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

.....

قولُه -تعالى-: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ...﴾ استدلَّ به المصنفُ على أن مَن دعا غيرَ الله، أو صرفَ شيئًا من أنواع العبادة لغيره -عزَّ وجلَّ- فهو مشركٌ كافر، وقولُه -تعالى-: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ بيانٌ لحقيقةِ مَن دعا مع الله -جل وعلا- غيرَه؛ أنه لا برهانَ له على ذلك أصلًا؛ و**البرهانُ**: هو الدليلُ الذي لا يتركُ في الحق لَبْسًا عند السامع، وهو أقوى من **الدليل** و**الحُجَّة**؛ لأن الدليلَ قد يكون ظنيًّا، أما البرهانُ فهو دليلٌ قطعي؛ ولهذا يُطلق عليه برهانٌ[(١)]؛ لأنه مأخوذ من الفعل «أَبْرَهَ»؛ يقال: أبرهَ الرجلُ؛ إذا غلَب وأتى بالعجائب[(٢)]، والدليلُ على كفر مَن دعا أحدًا مع الله قولُه -جل وعلا- في الآية نفسِها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص٧٣).

(٢) لسان العرب، (مادة: بره)، (١٣/ ٤٧٦).

وقولُه –سبحانه–: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون:١١٧]، هذه صفةٌ كاشفة مبيِّنة للأمر، وليست صفةً مقيِّدة تُخرِجُ ما عليه برهان؛ لأنه لا يمكنُ أن يكون برهانٌ أصلًا على أن مع الله إلهًا آخرَ.

ومَن دعا غيرَ الله –عزَّ وجلَّ– فإن جزاءَه جهنمُ خالدًا فيها، فلا فلاحَ له، ولا توفيقَ؛ قال –تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨]، وقال –تعالى–: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

.....

قولُه: «وفي الحديث: «الدُّعاءُ مُخُّ العِبادةِ»؛ هذا شروعٌ من المصنف -رحمهُ اللهُ- في تفصيل الأدلة على أنواع العبادة التي سبَق عَدُّها مجملةً؛ وأما الإسلامُ والإيمان والإحسان فستأتي أدلتُها مفصلةً في الأصل الثاني.

وإنما بدأ المصنفُ بالدعاء لأنه أهمُّها.

والدعاءُ -كما قلنا سابقًا- على قسمين: دعاءِ عبادة، ودعاءِ مسألة.

فدعاءُ العبادة: هو توجُّهُ العبدِ إلى الله -تعالى- بأنواع العبادات؛ من الصلاة، والذبحِ، والنذر، والصيامِ، والحج وغيرِها، خوفًا وطمعًا، يرجو رحمتَه، ويخافُ عذابَه، وإن لم يكنْ في ذلك صيغةُ سؤالٍ وطلبٍ؛ فالعابدُ: هو الذي يريدُ الجنةَ، ويهرُبُ من النار، وهو سائلٌ راغب راهب، يرغبُ في حصول مُرادِه، ويَرْهَبُ من فَوَاته، وهو سائلٌ لما يطلبُه بامتثال الأمرِ في فعل العبادة[1].

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص١٨٦).

ودعاءُ المسألة: هو طلبُ شيءٍ من الله -عزَّ وجلَّ-؛ كطلب الهدايةِ، وطلبِ الرزق، وطلبِ العلم، وطلبِ التوفيق، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٥-٧].

وهذان النوعان من الدعاء متلازمان؛ كما بيَّن شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ، فقال -رحمهُ اللهُ-: «الدعاءُ في القرآن يُرادُ به هذا تارةً، وهذا تارةً، ويُرادُ به مجموعُهما؛ وهما متلازمان؛ فإن دعاءَ المسألة: هو طلبُ ما يَنفَعُ الداعيَ، وطلبُ كَشْفِ ما يضرُّه ودفعِه، وكلُّ مَن يَملِكُ الضرَّ والنفعَ فإنه هو المعبودُ، لا بد أن يكونَ مالكًا للنفع والضر، ولهذا أنكر -تعالى- على مَن عبَد مِن دونه ما لا يملِكُ ضرًّا ولا نفعًا، وذلك كثير في القرآن؛ كقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ [يونس:١٨]، فنفى -سبحانه- عن هؤلاء المعبودِينَ الضرَّ والنفعَ

القاصرَ والمتعدِّيَ، فلا يملِكون لأنفسهم ولا لعابديهم.

وهذا كثيرٌ في القرآن، يبيِّنُ -تعالى- أن المعبودَ لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر؛ فهو يدعو للنفع والضر دعاءَ المسألة، ويدعو خوفًا ورجاءً دعاءَ العبادة؛ فعُلم أن النوعين متلازمان، فكلُّ دعاءِ عبادةٍ مُستلزِمٌ لدعاء المسألة، وكلُّ دعاءِ مسألةٍ مُتضمِّنٌ لدعاء العبادة. وعلى هذا فقولُه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، يتناولُ نوعَيِ الدعاء، وبكلٍّ منهما فُسِّرت الآيةُ؛ قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثِيبُه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظِ المشترَكِ في معنَيْه كليهما، أو استعمالِ اللفظ في حقيقته ومجازِه؛ بل هذا استعمالُه في حقيقته المتضمِّنةِ للأمرين جميعًا، فتأمَّلْه؛ فإنه موضوعٌ عظيمُ النفع، وقلَّ ما يُفطَنُ له»[1].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٠١١).

والحديثُ الذي استدلَّ به المصنفُ -وإن كان فيه ضعفٌ من جهة السند- صحيحُ المعنى، وله شواهدُ يَعتضِدُ بها؛ منها: حديثُ النعمانِ بنِ بشيرٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- عن النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، قال: «الدعاءُ هو العبادةُ»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾[1].

فقوله: «مُخُّ العِبادةِ»، أي: لُبُّها؛ ومخُّ كل شيء: لُبُّه وخُلاصتُه، فإذا كان الإنسانُ لا يقومُ إلا بمخه، فكذلك العبادةُ لا تقوم إلا بمُخِّها، وهو الدعاءُ[2].

والمقصودُ من الحديث: أن الدعاءَ هو ركنُ العبادة الأعظمُ، وليس المقصودُ حصرَ العبادة فيه دون سواه، ونظيرُه حديثُ: «الحجُّ عرفةُ»؛ فعن عبد الرحمن بنِ يَعمَرَ أن ناسًا من أهل نجدٍ أتَوْا رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وهو بعرفةَ، فسألوه،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٢٧).

فأمر مناديًا فنادى: «الحجُّ عرفةُ»[١]، فظاهرُ هذا اللفظ أن أعمالَ الحج مقصورةٌ على الوقوف بعرفة، وأنه هو الحجُّ كله؛ لأن تعريف الخبر يدلُّ على حصر المبتدأ فيه كما هو مقرَّر في علم المعاني، ولكن هذا ليس مرادًا؛ وإنما المقصودُ: أن عرفةَ ركنُ الحج الأعظمُ والأهمُّ فيه، فكذلك حديثُ «الدعاء هو العبادة[٢]»، معناه أن الدعاءَ هو ركنُ العبادة الأعظم؛ ولذلك جاء الحديثُ بهذه الصيغة مع ضمير الفصل «هو»؛ لأن في هذا دلالةً على عِظَمِ مكانة الدعاء بين العبادات.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

.....

استدل المصنفُ -رحمهُ اللهُ- بهذه الآية الكريمةِ على تلك العبادة العظيمةِ «الدعاءِ»، ووجهُ الدلالة: أن الله -جل وعلا- سمَّى الدعاءَ عبادةً، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، أي: عن دعائي.

وقولُه: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أي: أذلاءَ صاغرين؛ جزاءً لاستكبارهم عن عبادة الله رب العالمين.

فالدعاءُ من أجلِّ العبادات التي يُتقرَّبُ بها إلى الله -سبحانهُ وتعالَى- ولا يجوزُ صرفُه لغير الله؛ فمَن دعا غيرَ الله؛ من ميت، أو غائبٍ، أو شجرٍ، أو حجرٍ؛ أو سأَله، وطلبَه، وعرَض عليه حاجاتِه؛ فقد أشركَ بالله العظيم؛ لأن الدعاءَ عبادةٌ، والعبادةُ لا تُصرَفُ إلا لله، ولا يُتوجَّهُ فيها إلا إلى الله -سبحانهُ وتعالَى-.

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

.....

انتقل الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هنا إلى نوعٍ آخرَ من أنواع العبادة، وهو الخوفُ.

والخوفُ: انفعالٌ يحصلُ بتوقُّعِ حلولِ مكروهٍ، أو فَواتِ محبوبٍ[١].

وهو ثلاثةُ أنواع[٢]:

النوعُ الأول: خوفُ السِّرِّ؛ وذلك بأن يَخافَ غيرَ الله فيما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ، كأن يخافَ أن يُمرِضَه أحدٌ أو أن يقبضَ رُوحَه، أو يُميتَ ولدَه، كما يحصلُ لكثير من الجُهَّال حينما يتوعَّدُهم الدجَّالون والمُشعوِذون؛ ويَغفُلُون أن الرزقَ، والحياةَ، والمماتَ، والشفاءَ، والأمراضَ؛ كلها من المولى -عزَّ وجلَّ-.

وضابطُ هذا النوع ما قاله الشيخُ سليمانُ بنُ عبد الله -رحمهُ اللهُ-: «هو أن يخافَ

---

(١) التعريفات (ص: (١٠١).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٧٦).

العبدُ من غير الله –تعالى– أن يصيبَه مكروهٌ، بمشيئته وقدرته، وإن لم يُباشرْه، فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنه اعتقادٌ للنفع والضر في غير الله؛ قال الله –تعالى–: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، وقال –تعالى–: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِى﴾ [البقرة:١٥٠] وقال –تعالى–: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]»[1].

وهذا النوعُ شركٌ أكبرُ؛ وهو ما يقصدُ المصنفُ –رحمهُ اللهُ– التحذيرَ منه.

قال الشيخُ عبد العزيز بنُ باز –رحمهُ اللهُ–: «فالواجبُ خشيةُ الله وخوفُه؛ لأنه مصرِّفُ القلوب ومقلِّبُها، والقادرُ على كل شيء، وهو الذي ينفعُ ويضُرُّ، ويعطي ويمنعُ، فالواجبُ تخصيصُه بالخوف، وألا يُخافَ هذا الخوفَ إلا اللهُ في كل الأمور، ولكن خوف السرِّ يختصُّ به –سبحانه–؛ وهو كونُ الإنسان يخافُ من

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٣).

أجل قدرةٍ خاصة سرِّية ليست حسَبَ الحسِّ، ولذلك يعتقدُ عبادُ القبور أن بعضَ الناس له القدرةُ على التصرف في الكون مع الله -جل وعلا-، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرِها، وهذا هو الشركُ الأكبرُ، ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرةَ على العطاء والمنعِ، وزيغِ القلوب، وموتِ النفوس؛ دون أسبابٍ حسية»[1].

فيجبُ على المؤمن أن يصرفَ هذا النوعَ من الخوف إلى الله ربِّ العالمين دون مَن سواه؛ إذ إنَّ تعلُّقَه به -سبحانه- من أعظمِ واجبات الدين ومقتضياتِ الإيمان، وتعليقُه بغير الله -تعالى- من الشرك الأكبر؛ لأن الخوفَ من أعظم عباداتِ القلب.

انظرْ إلى نبيِّ الله هودٍ -عليهِ السلامُ- بعدما نصَح قومَه ودعاهم إلى نبذِ الشرك، قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ﴾ [هود:٥٤]؛ يخوِّفونه -

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للعلامة ابن باز (٥١-٥٢).

بزعمهم- آلهتَهم من الأحجار والأصنام؛ فقال لهم نبيُّ الله المؤمنُ الموحِّدُ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٣-٥٦].

فلا يَهُولَنَّك فعلُ البشر، وإن كثُر عددُهم وعظُم مكرُهم؛ فأقصى ما يستطيعون فعلَه هو تنفيذُ إرادة الله -عزَّ وجلَّ- فالذي يخافُ غيرَ الله فيما لا يقدرُ عليه إلا الله؛ مشركٌ الشركَ الأكبرَ، وهذا يُسمَّى «خوفَ عبادةٍ»، وهو كثيرٌ في الناس، كما قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾ [النساء:٧٧].

النوعُ الثاني: الخوفُ الطبيعي، وهو جائز؛ لأنه خوفٌ من شيء ظاهرٍ، كالخوف من عدو، أو سبُع، أو دابة ضارة، أو نحوِ ذلك؛ فهذا الخوفُ لا يُعَدُّ شركًا؛ لأنه خوف طبيعي من شيء ظاهر معروف، فالوقاية والحذر منه مطلوب، وهذا النوعُ من الخوف هو الذي وصَف اللهُ -عزَّ وجلَّ- به نبيَّه موسى -عليهِ السلامُ- بعدما قتل

رجلًا من قوم فرعون، وذلك في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢١]، فهذا الخوفُ لا يُلام عليه الإنسانُ إذا انعقدت أسبابُه، أما إذا كان وهمًا، أو له سببٌ ضعيف، فهو مذموم؛ لأن صاحبَه جبانٌ.

النوع الثالث: أن يتركَ الإنسانُ ما يَجِبُ عليه خوفًا من الناس؛ كأن يتركَ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر خوفًا من الناس، فهذا خوفٌ محرم ومذموم؛ انظرْ ماذا فعل الصحابةُ -رضوانُ الله عليهم- وكيف ثبَتوا وصدَقوا في توكُّلِهم على الله بعد غزوة أحد، عندما قيل لهم: إن المشركين أرادوا أن يُعيدوا عليكم الكَرَّةَ؛ ليستأصلوا شأفتكم؛ كما ذكر الله ذلك في كتابه العزيز في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وما كان منهم إلا أن وقفوا مثلَ الجبال وثبتوا؛ لأن هذا الخوفَ ليس بمأذون به في الشرع، وإنما هو من تسويل الشيطان، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

والخوفُ، والرجاء، والمحبة: هي أركانُ التعبد القلبي، وقد تكلم عنها ابنُ القيِّم كلامًا نفيسًا؛ فقال: «القلبُ في سيره إلى الله -عزَّ وجلَّ- بمنزلة الطائر؛ فالمحبةُ رأسُه، والخوفُ والرجاء جناحاه، فمتى سلِم الرأس والجناحان؛ فالطائرُ جيدُ الطيران، ومتى قُطع الرأسُ مات الطائرُ، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضةٌ لكل صائد وكاسرٍ، ولكنَّ السلفَ استحبُّوا أن يَقوَى في الصحة جناحُ الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يَقوَى جناحُ الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقةُ أبي سليمانَ وغيرِه؛ قال: ينبغي للقلب أن يكونَ الغالبُ عليه الخوفَ، فإن غلَب عليه الرجاءُ فسَد»[1].

فإذا قيل لك مثلًا: لماذا تصلي؟ لماذا تصومُ؟ لماذا تحجُّ؟ فينبغي أن تقولَ: أنا أؤدي هذه الطاعاتِ حبًّا لله، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه، كما قال الله -عزَّ

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥١٣).

وجلَّ-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء:٥٧].

فهذا شأنُ أهلِ الإيمان؛ يتقربون إلى الله -عزَّ وجلَّ- بأنواع القُرَب، وصُنوفِ العبادات؛ حبًّا لله، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه -سبحانهُ وتعالَى-.

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

.....

قولُه: «الرَّجَاء»، هو في اللغة: الأمل[١]، وربما عُبر عن الخوف بالرجاء؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]؛ أي: لا تخافون له عظمةً[٢].

والرجاءُ في الاصطلاح: «طمعُ الإنسان في أمر قريبِ المنال، وقد يكونُ بعيدَ المنال؛ تنزيلًا له منزلةَ القريب»[٣].

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «الرجاءُ حادٍ يحدو القلوبَ إلى بلاد المحبوب؛ وهو اللهُ والدارُ الآخرة، ويُطيِّبُ لها السيرَ، وقيل: هو الاستبشارُ بجودِ

---

(١) انظر: «الصحاح» (مادة: رجا)، و«مقاييس اللغة» (مادة: رجا).

(٢) انظر: «مشارق الأنوار» (مادة: ر ج و)، و«لسان العرب» (مادة: رجا).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول» للعلامة ابن عثيمين (ص٥٧-٥٨).

وفضلِ الرب -تبارك وتعالى- والارتياحُ لمطالعةِ كرمِه -سبحانه-، وقيل: هو الثقةُ بجود الرب -تعالى-»[١].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -رحمهُ اللهُ-: «فالرجاءُ ينبغي أن يتعلقَ بالله، ولا يتعلقَ بمخلوق، ولا بقوة العبدِ، ولا عملِه؛ فإن تعليقَ الرجاء بغير الله إشراكٌ، وإن كان اللهُ قد جعل لها أسبابًا؛ فالسببُ لا يَستقِلُّ بنفسه، بل لا بد له من مُعاونٍ، ولا بد أن يمنعَ المُعارِضَ المعوِّقَ له، وهو لا يحصلُ ويبقى إلا بمشيئة الله -تعالى-»[٢].

«**فائدةٌ**» في الفرق بين الرجاء والتمني:

قال الشيخُ ابنُ عثيمين -رحمهُ اللهُ-: «واعلمْ أن الرجاءَ المحمودَ لا يكونُ إلا لِمَن عمِل بطاعة الله، ورجا ثوابَها، أو تاب من معصيته ورجا قبولَ توبته، فأما الرجاءُ بلا عمل، فهو غرورٌ وتمَنٍّ مذمومٌ»[٣].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦-٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٥٦).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ ابن عثيمين (ص٥٨).

وقال العلَّامةُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «والفرقُ بينه [أي الرجاء] وبين التمني: أن التمنيَ يكونُ مع الكسل، ولا يسلكُ بصاحبه طريقَ الجد والاجتهاد، والرجاءُ يكونُ مع بذل الجهد وحسنِ التوكل.

فالأولُ: كحالِ مَن يتمنى أن يكونَ له أرضٌ يبذرُها ويأخذُ زرعَها.

والثاني: كحالِ مَن يشُقُّ أرضَه ويَفلَحُها ويبذرُها، ويرجو طلوعَ الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاءَ لا يصحُّ إلا مع العمل.

قال شاه الكرمانيُّ[(١)]: علامةُ صحة الرجاءِ حسنُ الطاعة.

والرجاءُ ثلاثةُ أنواع: نوعانِ محمودان، ونوعٌ غرورٌ مذمومٌ[(٢)].

فالأولان: رجاءُ رجلٍ عمِل بطاعة الله على نورٍ من الله؛ فهو راجٍ لثوابه، ورجلٍ

---

(١) شاه بن شجاع الكرماني: متصوف من أصحاب أبي تراب النخشبي، ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٧).

أذنَبَ ذنوبًا ثم تاب منها؛ فهو راجٍ لمغفرة الله -تعالى- وعفوِه، وإحسانِه، وجوده، وحلمِه، وكرمه.

والثالثُ: رجل مُتمادٍ في التفريط والخطايا؛ يرجو رحمةَ الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرورُ والتمني، والرجاءُ الكاذب.

وللسالك نظران: نظرٌ إلى نفسه وعيوبه وآفاتِ عمله؛ يَفتحُ عليه بابَ الخوف إلى سَعَة فضلِ ربه، وكرمه، وبرِّه، ونظرٌ يَفتحُ عليه بابَ الرجاء؛ ولهذا قيل في حدِّ الرجاء: هو النظرُ إلى سَعة رحمة الله.

وقال أبو علي الرُّوذْباري[1]: الخوفُ والرجاءُ كجَناحَيِ الطائر؛ إذا استَوَيا استوى الطيرُ وتمَّ طيرانُه، وإذا نقَص أحدُهما وقَع فيه النقصُ، وإذا ذهَبَا صار الطائرُ في حد الموت»[2].

---

(١) أبو علي محمد بن أحمد بن القاسم بن منصور بن شهريار، ويمتدُّ نسبه للأمراء الفارسيين، من المتصوفة. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦-٣٥٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٧).

وقولُه -تعالى-: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، أي: يطمعُ في ثواب الله -عزَّ وجلَّ- ورؤيتِه عِيانًا يوم القيامة.

﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، أي: فليأتِ بالسبب الذي يؤهِّلُه لحصول المطلوب؛ فيعمل العملَ الصالح؛ لأجل أن ينالَ الثوابَ من الله، ودخولَ الجنة، والنجاةَ من النار، والنظرَ إلى وجه الله -عزَّ وجلَّ-.

ولا يُعَدُّ العملُ صالحًا إلا إذا توفَّر فيه شرطان[1]:

١- الإخلاصُ لله -سبحانه- كما قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، فلا بد أن يكونَ العملُ خالصًا لوجه الله، خاليًا من الشرك.

٢- المتابعةُ للرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ قال -تعالى-: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ

(١) تقريب التدمرية (ص: ١١٣).

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[آل عمران:٣١].

وإن اختلَّ شرطٌ منهما؛ فإنه يكونُ عملًا فاسدًا لا ينفعُ صاحبَه.

فالعملُ الذي فيه شركٌ؛ لا يُقبلُ من صاحبه، والعملُ الذي فيه بدعةٌ؛ يُرَدُّ على صاحبه؛ قال -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[1].

والآيةُ التي ذكرها المصنفُ أشارت إلى أن الرجاءَ عبادةٌ لله -عزَّ وجلَّ-، وأشارت أيضًا إلى أن الرجاءَ لا يصحُّ إلا مع العمل الصالح.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧).

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]،

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥ﴾ [الطلاق:٣].

.....

قولُه: «ودليلُ التَّوَكُّلِ»، التوكلُ لغةً: إظهارُ العجزِ والاعتمادِ على غيرك، والاسم: التُّكْلان، ويُقال: وَكِلَ بالله، وتوَكَّل عليه، واتَّكَل: أي استَسْلم إليه[1].

والتوكلُ شرعًا: الاعتمادُ على الله -عزَّ وجلَّ-، وتفويضُ الأمور إليه -سبحانهُ وتعالَى-[2].

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «التوكلُ على الله نوعانِ:

أحدهما: توكلٌ عليه في تحصيل حظِّ العبد من الرزق والعافيةِ، وغيرِهما.

والثاني: توكلٌ عليه في تحصيل مرضاته.

---

(١) «الصحاح» (مادة: وكل)، و«لسان العرب» (مادة: وكل).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» فضيلة الشيخ ابن الفوزان (ص١٣٨).

فأما **النوعُ الأول**؛ فغايتُه المطلوبةُ وإن لم تكن عبادةً -لأنها محضُ حظ العبد- فالتوكلُ على الله في حصوله عبادة، فهو منشأٌ لمصلحة دينه ودنياه.

وأما **النوعُ الثاني**؛ فغايتُه عبادة، وهو في نفسه عبادة؛ فلا علَّةَ فيه بوَجْهٍ؛ فإنه استعانةٌ بالله على ما يُرضيه، فصاحبُه متحقِّق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فتركُه تركٌ لشطر الإيمان، والعلةُ إنما هي في ضعفِ هذا التوكلِ»[1].

فالتوكلُ ثلاثة أمور: اعتقادٌ، واعتمادٌ، وعملٌ.

فالاعتقاد؛ فهو أن يعلمَ العبدُ أن الأمرَ كلَّه لله، فإنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، والله -جل وعلا- هو النافعُ الضارُّ، المعطي المانع.

ثم بعد هذا الاعتقاد يعتمدُ بقلبه على ربه -سبحانهُ وتعالَى- ويثقُ به غايةَ الوثوق.

ثم بعد هذا يأتي الأمرُ الثالث، وهو أن يفعلَ الأسبابَ المأذونَ فيها شرعًا.

وفي الحديث عن أنسِ بنِ مالك -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: قال رسولُ الله -صلَّى اللهُ

---

(١) «طريق الهجرتين» طبعة المجمع (ص٥٧٠).

عليهِ وسلّمَ-: «إذا خرج الرجلُ من بيته فقال: بسم الله، توكلتُ على الله، لا حولَ ولا قوة إلا بالله؛ يقال له: كفيتَ ووقيتَ، وتنحّى عنه الشيطانُ»[١].

والتوكلُ من أعظم أنواع العبادة، فلا يتوجَّه به العبدُ إلا للمولى -عزَّ وجلَّ- ولا يجوزُ أن يقولَ: توكلتُ على فلان[٢]؛ لأن التوكلَ عبادةٌ لله -سبحانه- لا يجوزُ أن تُصرَفَ لغيره -سبحانه-، وعلى العبد أن يعتقدَ أن الذي يُعطي ويمنعُ، ويضرُّ وينفعُ، هو الله -عزَّ وجلَّ-؛ فمَن اعتمد على غير الله -عزَّ وجلَّ- في جَلْب المنافع أو دفعِ المضارِّ، فيما لا يقدرُ عليه إلا الله -عزَّ وجلَّ-؛ فقد أشرك شركًا أكبرَ.

لكن إذا أسندتَ إلى أحدٍ من الخلق تصرُّفًا، فهذا لا يُسمَّى توكُّلًا، إنما يسمى توكيلًا، مثلَ أن تقولَ: وكَّلتُ فلانًا ببيع تلك الأرض، فهذا ليس توكُّلًا، بل هو توكيل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥).

(٢) سيأتي ذكر أنواع التوكل، بعد عدة صفحات.

وقولُه –تعالى–: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾؛ قُدم فيه الجارُّ والمجرورُ على العامل؛ ليفيدَ الحصرَ، أي: حصرَ التوكل في الله وحده لا شريك له، ثم قال –تعالى–: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فقرَن الإيمانَ بالتوكل، فدلَّ ذلك على أن حصولَ الإيمان مشروطٌ بالتوكل عليه –سبحانه–، فإخلاصُ التوكل على الله شرطٌ في صحة الإيمان؛ يَنتفي عند انتفائه.

ومن أسماء الله –عزَّ وجلَّ–: الوكيلُ؛ أي: الموكولُ إليه أمورُ عباده –سبحانهُ وتعالَى–؛ وعلى هذا فهو فعيل بمعنى مفعول، أو: هو القائمُ على أمور عباده، أو الحافظُ الكافي؛ وعلى هذا فهو فعيل بمعنى فاعل.

ثم ساق المصنفُ قولَه –تعالى–: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾، مع أنه لا يسوقُ في الغالب إلا دليلًا واحدًا لكل نوعٍ من أنواع العبادات؛ لكون الكتابِ مختصرًا قُصِد به المبتدئون، ولكنه هنا ساقَ دليلين لهذه العبادة العظيمة؛ فلعله قصَد من الدليل الأولِ: بيانَ وجوب التوكل على الله، وأما الدليلُ الثاني فقصد به بيانَ جزاءِ مَن

توكل على الله، وهو قوله -تعالى-: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، أي: كافِيهِ.

قال الإمامُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «قال بعضُ السلف: جعَل الله -تعالى- لكل عملٍ جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التوكل عليه نفسَ كفايتِه لعبده؛ فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ولم يقل: نُؤتِه كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعَل نفسَه -سبحانه- كافيَ عبدِه المتوكلِ عليه، وحَسْبَه وواقِيَه، فلو توكلَ العبدُ على الله -تعالى- حقَّ توكُّلِه، وكادَتْه السماواتُ والأرض ومَن فيهن، لجعَل له مخرجًا من ذلك وكفاه ونصَره»[1].

وعن عمرَ بنِ الخطاب -رضيَ اللهُ عنهُ- أن رسولَ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «لو أنكم توكّلتم على الله حقَّ توكّله، لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ؛ تغدو خماصًا، وتروحُ بطانًا»[2].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٣٩٢٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤).

والطيرُ لا تجلسُ في أوكارها تنتظرُ الطعامَ، بل تذهبُ يَمْنةً ويَسْرةً باحثةً عنه، متوكلةً على ربها، فالتوكلُ لا بد فيه من فعلِ الأسباب.

فائدةٌ: قال شيخُنا صالح الفوزان: «التوكلُ لا يُنافي الأخذَ بالأسباب، بل يجمعُ المسلمُ بين التوكل على الله والأخذِ بالأسباب، ولا تَنافيَ بينهما؛ فأنت تَعملُ الأسبابَ التي أُمِرتَ بعملها، ولكن لا تعتمدْ على الأسباب، وإنما تعتمدُ على الله؛ أنت تزرعُ الزرعَ في الأرض، هذا سببٌ، ولكن لا تعتمدْ على زرعك وفعلِك، بل اعتمدْ على الله في نمو هذا الزرع، وتثميرِه، وحمايته، وإصلاحِه، ولهذا يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤].

فالزارعُ الحقيقي هو الله، أما أنت فقد فعلتَ سببًا فقط، قد يُنتجُ هذا الزرعُ ويُنبت، وقد لا يُنتجُ، وإذا نبَت؛ قد يصلحُ، وقد لا يصلحُ، قد يصابُ بآفة فيَذهَبُ»[1].

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص١٣٩-١٤٠).

وإذا تقرَّر ما سبق، فاعلم أن التوكلَ على غير الله -عزَّ وجلَّ- ثلاثةُ أنواع[1]:

النوع الأولُ: التوكلُ على غير الله فيما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ؛ من جلب المنافع، ودفع المضارِّ؛ وهذا شركٌ أكبرُ.

النوع الثاني: أن يتوكلَ على حي حاضر؛ من ملِكٍ، أو وزير، أو مسؤولٍ، فيما أقدَرَه الله عليه من رزقٍ أو دفعِ أذًى، وهذا شركٌ أصغرُ؛ بسبب قوةِ تعلق القلب بهذا الإنسان، واعتمادِه عليه، أما إذا اعتقد أن هذا الإنسانَ سببٌ، وأن الله -تعالى- هو الذي أقدَرَه على هذا الشيء وأجراه على يديه؛ فهذا لا بأسَ به، إذا كان لهذا الإنسان أثرٌ صحيح في حصول المراد، لكنْ كثيرٌ من الناس ربما لا يخطُرُ على باله هذا المعنى، ويكادُ يعتمدُ اعتمادًا كليًّا على هذا الإنسان في حصول مراده.

النوع الثالث: أن يوكِّلَ غيرَه في فعل ما يقدرُ عليه نيابةً عنه؛ فهذا جائزٌ، دلَّ عليه الكتابُ والسنة والإجماع، لكن لا يعتمدْ عليه في حصول ما وُكِّل فيه، بل يتوكلُ على الله -سبحانهُ وتعالَى- في تيسير أمره الذي يطلبُه؛ إما بنفسه وإما بنائبه، ولهذا لا تقولُ: توكَّلتُ على فلان، إنما تقول: وكَّلتُ فلانًا.

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٨٤).

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالخُشُوعِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

.....

قولُه: «الرَّغبة» هي: السؤالُ والتضرعُ والابتهال، مع محبة الوصول إلى الشيء المحبوب، فإذا كان الإنسانُ يدعو، وعنده قوةُ إقبالٍ لحصول مطلوبه؛ فحينئذٍ يُقال: عنده رغبةٌ[١].

وقولُه: «والرَّهبة» هي: الخوف المؤدِّي للهرب من شيء مرهوبٍ؛ فهي خوفٌ مقرونٌ بعمل[٢].

وقولُه: «والخُشوع» هو: الخضوعُ والتذلُّل بين يدي الله، والتطامُن لعظمة الله -سبحانه- بحيث يَستسلمُ لقضائه الكوني والشرعي[٣]، ومعناه قريب من معنى

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٨٧).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٨٧).

(٣) «شرح ثلاثة الأصول» للعلامة ابن عثيمين (ص٥٩).

الخضوع؛ إلا أن الخضوعَ في البدن، والخُشوعَ في القلب والبصرِ والصوتِ[١].

وقولُه -تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ﴾؛ المقصودُ بالضمير هنا: الأنبياءُ الذين سمَّاهم الله -عزَّ وجلَّ- في هذه السورة؛ فهم يبادرون ويسابقون في الخيرات، وفي عمل القُرُبات والطاعات، ويسألون اللهَ ﴿رَغَبًا﴾، أي: يطمعون فيما عند الله -عزَّ وجلَّ- وحصول المطلوب، ﴿وَرَهَبًا﴾، أي: خوفًا من عذاب الله؛ فيدعونه -سبحانه- طمعًا في رحمته وخوفًا من عذابه، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، أي: خاضعين، متذلِّلين، متواضعين لله -عزَّ وجلَّ-.

وفي الآية ردٌّ على الصوفية الذين يقولون: «نحن لا نعبدُ الله رغبةً في ثوابه، ولا خوفًا من عقابه، وإنما نعبدُه محبةً له فقط[٢]».

فهذا كلام باطل؛ لأن الأنبياءَ -عليهمُ السلامُ- كانوا يدعون الله رغبًا ورهبًا؛ وهم أكملُ الخلق.

---

(١) «حاشية ثلاثة الأصول» للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (ص٦٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٤٢).

وفي الآية دليلٌ على أنه ينبغي للداعي أن يجمعَ بين الرَّغبةِ في رحمة الله -تعالى- والرَّهبةِ من عذابه، وفيها أيضًا دليلٌ على فضل الخُشوعِ في العبادات؛ ولا سيَّما الصلاة والدعاء[1].

فهذه الأمورُ الثلاثة «الرَّغبة والرَّهبة والخُشوع» دلت الآيةُ على أنها من أجلِّ أنواع العبادات؛ فمَن صرَف منها شيئًا لغير الله، فهو مشركٌ كافر.

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص٨٩).

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠].

.....

قولُه: «الخَشْية»، هي: مصدرُ الفعل خَشِيَ، وتأتي بمعنى: الخوف، لكنها أخصُّ منه، فهي الخوف المبنيُّ على العلم بعظمة مَن يُخشَى، وكمالِ سلطانه[1]؛ لذلك خُصَّ العلماءُ بها في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

فالرَّهبة، والخوف، والخشية؛ كلها بمعنًى واحدٍ، وإن كان بعضُها أخصَّ من بعض؛ إلا أنها يَجمعُها الخوفُ من الله -عزَّ وجلَّ-، وهذا من صفات الأنبياء وعبادِ الله الصالحين[2].

وقد نهى الله -سبحانهُ وتعالَى- المسلمين عن خشية الكافرين، وأمر بخشيته وحده لا شريك له؛ فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠].

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ العثيمين (ص٦٠).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٤٣).

قال العلَّامة السعديُّ: «الخوفُ، والخشيةُ، والخضوعُ، والإخباتُ، والوَجَلُ؛ معانيها متقاربةٌ؛ فالخوف يمنعُ العبدَ عن محارمِ الله، وتشاركُه الخشيةُ في ذلك، وتزيدُ أن خوفَه مقرونٌ بمعرفة الله، وأما الخضوعُ، والإخباتُ، والوجلُ؛ فإنها تنشأُ عن الخوف والخشية لله، فيَخضعُ العبدُ لله ويُخبتُ إلى ربه منيبًا إليه بقلبه، ويَحدُثُ له الوجلُ، وأما الخُشوعُ فهو حضورُ القلب وقت تلبُّسِه بطاعة الله، وسكونِ ظاهره وباطنه؛ فهذا خشوعٌ خاصٌّ، وأما الخُشوعُ الدائم الذي هو وَصْفُ خواصِّ المؤمنين فيَنشأُ من كمال معرفةِ العبد بربه ومراقبتِه، فيَستولي ذلك على القلب، كما تَستولي المحبةُ»[1].

(١) «فوائد قرآنية» (ص٩٦).

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُه -تَعَالَى-: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤].

.....

قولُه: «ودليلُ الإِنابةِ»، الإنابةُ في اللغة: مصدرٌ قياسي للفعل الرباعي «أنابَ» بمعنى رجَع إلى الطاعة[١]، وزِيدت التاءُ في المصدر عوضًا عن عين الكلمة؛ مثل: أقامَ إقامةً، وأعادَ إعادةً[٢].

والإنابةُ في الشرع: الرجوع إلى الحق، مع العمل الصالح. فالمنيبُ إلى الله: هو المُسرعُ إلى مرضاته، الراجعُ إليه كلَّ وقت، المتقدِّم إلى مَحابِّه[٣].

والإنابةُ جامعةٌ لمقام المحبة والخشية، لا يكونُ العبدُ منيبًا إلا باجتماعهما[٤].

قال أبو إسماعيلَ الهَرَويُّ -رحمهُ اللهُ-: «الإنابةُ ثلاثةُ أشياءَ: الرجوعُ إلى الحق

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص٣٠٣).

(٢) شرح ابن عقيل (٣/ ١٢٩)، باب أبنية المصادر.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٣٣).

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٥٦).

إصلاحًا، كما رجَع إليه اعتذارًا، والرجوعُ إليه وفاءً، كما رجَع إليه عهدًا، والرجوعُ إليه حالًا كما رجَع إليه إجابة»[١].

وقال ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ- في شرح ذلك: «لما كان التائبُ قد رجَع إلى الله بالاعتذار والإقلاعِ عن معصيته، كان من تَتِمَّةِ ذلك رجوعُه إليه بالاجتهاد والنصحِ في طاعته، كما قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان:٧٠]، وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ﴾ [البقرة:١٦٠].

فلا تنفعُ توبةٌ وبَطالةٌ، فلا بد من توبة وعملٍ صالح؛ تركٍ لما يَكرَهُ، وفعلٍ لما يُحِبُّ، وتَخَلٍّ عن معصيته، وتَحَلٍّ بطاعته»[٢].

قال الشيخُ صالح الفوزان: «والتوبة والإنابة بمعنًى واحدٍ، ولكنَّ بعضَ العلماء يقولُ: الإنابةُ أخصُّ من التوبة؛ لأنها توبةٌ مع إقبالٍ إلى الله -عزَّ وجلَّ- أي: توبةٌ

---

(١) «منازل السائرين» (ص١٧).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٣٣-٤٣٤).

خاصة، والإنسانُ قد يتوبُ ويتركُ الذنبَ ولا يعودُ إليه، ويندمُ عليه، ولكن قد يكونُ في الإقبال على الله إقبالٌ ضعيف.

أما الإنابةُ فهي إقبالٌ على الله -عزَّ وجلَّ-؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]، أي: ارجعوا له، وأقبِلوا عليه -سبحانهُ وتعالَى- ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤] إذا جاء العذابُ المهلك الماحق؛ فإنها لا تُقبل توبةُ مَن تاب عند ذلك؛ ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ [يونس:٩٨]، هذا مستثنًى، وإلا فإنه إذا نزل العذابُ المُهلِكُ فإنها لا تُقبَلُ التوبةُ، ولهذا قال: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾»[1].

والإنابةُ والتوبة لهما أجلٌ، ولهما حدٌّ؛ يتضحُ بما يلي:

١- لا تُقبل توبةُ مَن غرغر، أو مَن حضره الموتُ.

٢- لا تُقبلُ توبةُ مَن نزل به العذابُ الماحق المهلك.

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (ص١٤٣-١٤٤).

٣- لا تُقبل التوبة إذا طلَعت الشمسُ من مغربها.

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم: «والإنابة إنابتان: إنابةٌ لربوبيته؛ وهي إنابةُ المخلوقات كلِّها؛ يشتركُ فيها المؤمنُ والكافر، والبَرُّ والفاجر، قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر:٨]، فهذا عامٌّ في حق كل داعٍ أصابه ضرٌّ، كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تَستلزِمُ الإسلامَ، بل تُجامِعُ الشركَ والكفرَ، كما قال -تعالى- في حق هؤلاء: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٣-٣٤]، فهذا حالُهم بعد إنابتهم.

والإنابةُ الثانية: إنابةُ أوليائه، وهي إنابةٌ لإلهيته، إنابةَ عبوديةٍ ومحبة، وهي تتضمَّنُ أربعةَ أمورٍ: محبتَه، والخضوعَ له، والإقبالَ عليه، والإعراضَ عمَّا سواه، فلا يَستحقُّ اسمَ المنيبِ إلا مَن اجتمعت فيه هذه الأربعُ، وتفسيرُ السلف لهذه اللفظة يدورُ على ذلك.

وفي اللفظة معنى الإسراعِ، والرجوعِ، والتقدُّم»[١].

وفي الآية الكريمة ما يدلُّ على أن الإنابةَ من العبادات، وأن الله -جل وعلا- أمرَ بها، ولهذا لم يذكر المصنفُ التوبةَ من أنواع العبادة، وإنما اقتصرَ على ذكر الإنابة؛ لأن صورةَ العبادة بالنسبة للإنابةِ أوضحُ من صورتها بالنسبة إلى التوبة؛ بسبب زيادةِ الإقبال على العبادة[٢].

وقال الشيخُ ابنُ عثيمين -رحمهُ اللهُ-: «والمرادُ بقوله -تعالى-: ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾، الإسلامُ الشرعي؛ وهو: الاستسلامُ لأحكام الله الشرعيةِ، وذلك أن الإسلامَ لله -تعالى- نوعان:

الأولُ: إسلامٌ كَوْني؛ وهو: الاستسلامُ لحكمه الكوني، وهذا عامٌّ لكل مَن في السماوات والأرض مِن مؤمن وكافر، وبَرٍّ وفاجر، لا يمكنُ لأحد أن يستكبرَ

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٣٣).

(٢) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص٩١).

عنه، ودليلُه قولُه -تعالى-: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

الثاني: إسلام شرعي؛ وهو: الاستسلامُ لحكمه الشرعي، وهذا خاصٌّ بمَن قام بطاعته مِن الرسل وأتباعِهم بإحسان، ودليلُه في القرآن كثيرٌ، ومنه هذه الآيةُ الكريمة التي ذكرها المؤلفُ -رحمهُ اللهُ-»[1].

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ العثيمين (ص٦١).

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، **وَفِي الحَدِيثِ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».**

.....

قولُه: «ودليلُ الاستعانةِ»، الاستعانةُ في اللغة: طلبُ العَوْن؛ لأن السينَ والتاءَ في اللغة للطلب، فإذا قيل: استعانَ؛ فمعناه: طلَبَ الإعانةَ، وإذا قيل: استغاثَ؛ فمعناه: طلَبَ الغَوْثَ، وإذا قيل: استخبرَ؛ فمعناه: طلَب الخبرَ، وهكذا[1].

والاستعانةُ في الشرع أربعة أنواع[2]:

النوعُ الأول: الاستعانة بالأموات أو الأحياء، على أمرٍ لا يَقدرُ عليه إلا اللهُ -عزَّ وجلَّ-؛ فهذا شركٌ.

النوعُ الثاني: الاستعانة بالمخلوق فيما يقدرُ عليه؛ كأن تستعينَ برجل ليحمل لك المتاعَ إلى البيت؛ فهذا جائز، والمُعِينُ مُثابٌ على ذلك إذا أخلص النيةَ؛ لأنه من

---

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص٩٢).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٩٢).

التعاون على البر، وقد أمر الله بذلك، ورغَّب فيه؛ قال -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

وعن أبي هريرة -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: قال رسولُ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «من نفّسَ عن مؤمن كربةً من كربِ الدنيا نفّسَ اللهُ عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عون أخيه»[1].

وإن كانت الاستعانةُ بالمخلوق على إثم؛ فهي حرامٌ؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

النوعُ الثالث: الاستعانةُ بالله، وهي الاستعانة المتضمِّنةُ لكمال الذلِّ من العبد لربِّه، مع الثقة به والاعتمادِ عليه، وهي تتضمَّنُ ثلاثةَ أشياء:

أ- الخضوع والتذلل لله -تعالى-.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

ب- الثقة بالله -جل وعلا-.

ج- الاعتماد على الله -عزَّ وجلَّ-.

وهذه الاستعانة لا تُصرَف إلا لله؛ ودليلُ ذلك قولُه -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، ووجهُ الدلالة أن الله -تعالى- قدَّم المعمولَ «إِيَّاكَ» على العامل «نَعْبُدُ»، وتقديمُ ما حقُّه التأخير -في مثل هذا السياق- يفيدُ الحصرَ والاختصاصَ، وعلى هذا: يكون صرفُ هذا النوع لغير الله -تعالى- شركًا مخرجًا من الملة.

النوعُ الرابع: الاستعانةُ بأعمال وأحوال محبوبةٍ شرعًا؛ فهذا النوع مشروعٌ؛ بدليل قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣][1].

وما ذكره المصنفُ -رحمهُ اللهُ- من قوله -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ العثيمين (٦٢٦٣).

[الفاتحة:٥]، وكذلك الحديث: «وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله»[١] فيه دليلٌ على أمور؛ منها:

أ- حصر الاستعانة في الله -عزَّ وجلَّ-؛ وذلك في الأمور التي لا يقدرُ عليها إلا اللهُ -عزَّ وجلَّ- كما سبق تفصيلُه.

ب- البراءة من الحول والقوة؛ لأن الإنسانَ لا قوةَ له إلا بالله، ولا يقدرُ على شيء إلا بالله -عزَّ وجلَّ- وهذا غايةُ التعبد لله؛ إذا تبرَّأ العبدُ من الشرك، وتبرَّأ من الحول ومن القوة[٢].

قال العلَّامةُ ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «ثم إن القلبَ يَعرِضُ له مَرَضانِ عظيمان، إن لم يتداركْهما العبدُ، تَرامَيَا به إلى التَّلَف ولا بد، وهما الرياءُ والكِبْر؛ فدواءُ الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودواءُ الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (ص١٤٦).

وكثيرًا ما كنتُ أسمعُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّةَ قدَّس الله رُوحَه يقولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] تدفعُ الرياءَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] تدفعُ الكبرياءَ. فإذا عُوفي من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، ومِن مرض الكبرياء والعُجب بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، ومِن مرض الضلالِ والجهل بـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ عُوفي من أمراضه وأسقامه، ورفَلَ في أثواب العافية، وتمَّت عليه النعمةُ، وكان من المُنعَمِ عليهم، غيرِ المغضوب عليهم؛ وهم أهلُ فساد القصد، الذين عرَفوا الحقَّ وعدَلوا عنه، والضالين؛ وهم أهلُ فساد العلم، الذين جهِلوا الحقَّ ولم يعرفوه»[1].

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٨).

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١].

.....

قولُه: «الاسْتِعاذة»، هي: طلبُ اللجوء إلى مَن تعتقدُ أنه يُعيذُك ويُلجِئُك[١].

وحقيقتُها: الهربُ من شيء تخافُه إلى مَن يَعصِمُك منه[٢].

و«أعوذ» معناه: ألتجئُ وأعتصمُ وأتحرَّزُ[٣]؛ فإذا قلتَ: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم»، كان المعنى أنك تطلبُ الالتجاءَ إلى الله والاعتصامَ به والتحرُّزَ من الشيطان الرجيم.

وطلبُ العَوْذ يكونُ باللسان، ولكنه في الحقيقة عبادةٌ قلبية تقومُ بالقلب، ولو لم يُفصِحْ بها اللسانُ.

---

(١) «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول» (ص٩٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١٧٠).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠).

وقد فرَّق العلماءُ بين «عاذَ» و«لاذَ»[١]؛ فالعِياذُ: لدفع المكروه، واللِّياذُ: لطلب المحبوب، كما قال الشاعرُ:

يـا مَـــن ألـــوذُ بـه فيمـا أؤمِّلُـه ومَـن أعـوذُ بـه فيـمـا أحـاذرُه

لا يَجبُـرُ النـاسُ عظمًـا أنت كاسـرُه ولا يَهِيضـون عظمًـا أنـت جابـرُه

والاستعاذةُ نوع من أنواع العبادة؛ فلا يجوزُ أن تستعيذَ بغير الله -عزَّ وجلَّ-؛ فمَن استعاذ بقبر أو بوثن؛ فإنه يكونُ مشركًا شركًا أكبرَ، فلا تُصرَفُ الاستعاذةُ إلا لله، والدليلُ: قوله -تعالى-: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١].

والفلقُ: هو الصبح[٢]؛ قال -تعالى-: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام:٩٦]؛ فرَبُّ الفلق هو: الله -سبحانهُ وتعالَى.

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٢٢٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٠).

وتكملةُ السورة تدل على أن الاستعاذةَ من كل شيء لا تكونُ إلا بالله؛ فقولُه –تعالى–: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢] أي: من شر جميعِ المخلوقات، وقولُه: ﴿وَمِن شرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:٣]؛ أي من شر الليل إذا أقبل، والغسق: الظلام[١]، وإذا أظلم الليل تخرج الوحوش والسباع، وقولُه: ﴿وَمِن شَّرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤]، أي من السحر وأهلِه، وأما قولُه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]، فالحسدُ: تمنِّي زوالِ النعمة عن صاحبها[٢]، وهو من أعظم الخصال المذمومة؛ لأن فيه اعتراضًا على الله –عزَّ وجلَّ–، وفيه إساءةٌ إلى الخلق؛ فجاء الأمرُ في الآية بالاستعاذة من شر الحاسد؛ ويدخل فيه العائنُ أيضًا.

فأنت تستعيذُ بالله من كل هذه الشرور؛ فدل هذا على أن الاستعاذةَ لا يجوزُ أن تُصرفَ لغير الله –تعالى–.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١١١).

فائدةٌ: قال ابنُ كثير في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]: «أي: كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس؛ لأنهم كانوا يَعُوذون بنا -أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا مُوحِشًا من البَراريِّ وغيرِها؛ كما كان عادةَ العرب في جاهليتها- يعوذون بعظيمِ ذلك المكانِ من الجانِّ؛ أن يصيبَهم بشيء يسوءُهم، كما كان أحدُهم يدخل بلادَ أعدائه في جِوارِ رجل كبير وذِمامِه وخُفارتِه، فلما رأت الجنُّ أن الإنسَ يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿زَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى بَقُوا أشدَّ منهم مخافةً وأكثرَ تعوُّذًا بهم، كما قال قتادةُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: إثمًا، وازدادت الجنُّ عليهم بذلك جراءةً»[1].

ويدخلُ في عمومِ الاستعاذة بالله -جل وعلا-: الاستعاذةُ بصفاته، والاستعاذةُ بكلماته وبعزتِه، ونحو هذا، كما في حديث خَوْلةَ بنتِ حكيم -رضيَ اللهُ عنهَا- أن

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٣٩)

رسولَ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «من نزل منزلًا، ثم قال: أعوذُ بكلمات الله التامّات من شرِّ ما خلق، لم يضرُّهُ[1] شيءٌ حتى يرتحلَ من منزله ذلك»[2].

وأما قولُه -تعالى-: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]؛ فهذه السورةُ اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيدِ الربوبية، وتوحيدِ الألوهية، وتوحيدِ الأسماء والصفات.

فقولُه -تعالى-: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، أي: مُربِّي الناس بنعمه العظيمة؛ فهو المحيي، الرازقُ، الشافي، المعطي، جلَّ جلالهُ وتقدَّست أسماؤه.

وقولُه -تعالى- بعد هذه الآية: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٢]، أي: مالكهم والمتصرِّف فيهم -سبحانه-؛ فالخلقُ كلهم أجمعون تحت مشيئته وحكمِه؛ لأنه

---

(١) الفعل (يضره) مجزوم، ولكنه حرك لالتقاء الساكنين، وتحريكه بالضم هو الصواب عند البصريين، وجائز عند الكوفيين، ولكن المشهور في رواية الحديث هو التحريك بالفتح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

خالقُهم ومُوجِدُهم من عَدَم -سبحانهُ وتعالَى-.

وقولُه -تعالى-: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٣]، أي أنه -سبحانهُ وتعالَى- إلهُ الأولين والآخرين، لا إله إلا هو -سبحانه- ولا معبود سواه.

وقولُه -تعالى-: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس:٤]؛ الوَسواس بالفتح: هو الشيطان، وأما الوِسواس بالكسر فهو مصدرُ الفعل «وَسْوَسَ يُوسْوِسُ وِسواسًا»[1].

والوسواسُ: اسمٌ من أسماء الشيطان؛ لأنه يوسوسُ للإنسان ويُخيِّلُ إليه، ويَشغَلُه؛ من أجل أن يُلقيَ في قلبه الرعبَ، والتردد، والحيرةَ في أموره، وخصوصًا في أمر العبادة. ومعنى الخنَّاس: الذي يَخنِسُ ويبتعدُ، فهو يوسوسُ إذا غفَلتَ عن ذكر الله، ويخنس أي: يتأخر، إذا ذكرتَ الله -عزَّ وجلَّ-؛ فهو وسواسٌ مع الغفلة، وخناسٌ عند ذكر الله -عزَّ وجلَّ-.

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٢/ ٤٧٤).

لذا جاء في الحديث عن عقبةَ بنِ عامر -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: كنتُ أسيرُ مع رسول الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بين الجحفة والأبواءِ، إذ غشينا ريحٌ وظلمةٌ، فجعل رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يتعوَّذُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ويقولُ: «يا عقبةُ؛ تعوّذْ، فما تعوّذَ متعوّذٌ بمثلهما»، ثم سمعتُه يؤمّنا بهما في الصلاة[1].

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٣).

وَدَلِيلُ الِاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

.....

قولُه: «الاستغاثةُ»، هي: طلبُ الغَوْث عند الشدائد[١]، فإذا وقَع الإنسانُ في شدة؛ طلَبَ الغوثَ من الله، والنجاةَ من هذه الشدة.

والاستغاثةُ على نوعين:

النوعُ الأول: الاستغاثةُ بالمخلوق فيما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ -عزَّ وجلَّ-؛ وهذا شرك؛ فمَنِ استغاث بغير الله؛ من جنٍّ أو إنسٍ، أو غائبٍ أو ميتٍ؛ فقد وقع في الشرك بالله -عزَّ وجلَّ-.

النوعُ الثاني: الاستغاثةُ بالمخلوق الحاضر الحيِّ فيما يقدرُ عليه، وهذا جائزٌ؛ قال -تعالى- في قصة موسى ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي (٤/ ٧).

عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥][1].

فالاستغاثةُ عبادة، كما في الآية التي استدلَّ بها المصنفُ -رحمهُ اللهُ-، وهي قولُه -تعالى-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، ووجهُ الاستدلال: أنها أتت في مَعرِض الثناء عليهم، ورُتِّب عليها الإجابةُ، فدلَّ ذلك على أن الله يحبُّها ويرضاها.

والاستغاثةُ بغير الله -عزَّ وجلَّ- قد تكونُ جائزةً؛ وذلك إذا تحقَّق فيها ثلاثةُ شروط:

الأول: أن يكونَ المستغاثُ به حيًّا؛ إذ لو كان ميتًا لكانت الاستغاثةُ شركًا؛ لأن الميتَ لا يَتوجَّهُ له إلا مَن يَعتقدُ أن له تصرُّفًا خفيًّا في الكون، فيجعل له حظًّا من الربوبية؛ قال الله -تعالى-: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

---

(١) انظر «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ ابن الفوزان (١٤٦).

الثاني: أن يكونَ حاضرًا؛ فلا تجوزُ الاستغاثةُ بالغائب، والعلةُ في ذلك كما في الشرط الأول.

الثالثُ: أن يكونَ قادرًا على الغَوْث؛ لأن الاستغاثةَ بأحدٍ فيما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ -عزَّ وجلَّ-؛ شركٌ، والاستغاثةُ بعاجز فيما يقدرُ عليه غيرُه؛ لغوٌ وسخريَّة.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **[الأنعام:١٦١-١٦٣].**

.....

قولُه: «الذبح»، هو: إزهاقُ الرُّوح بإراقة الدم على وجهٍ مخصوصٍ(١).

وقال الشوكاني: «هو ما أنهرَ الدمَ، وفَرَى الأوداجَ، وذُكر اسمُ الله عليه، ولو بحجر أو نحوِه»(٢).

والفرقُ بين الذَّبْح والنحر: أن الذبحَ يكونُ في الحلق، والنَّحْرَ يكونُ في اللَّبَّة «وهي الوَهْدة التي في أصل العنق والصدر»(٣).

---

(١) انظر «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ العثيمين (ص٦٦)

(٢) الدراري المضيَّة (٢/ ٣٢٣) والشرح الممتع، لابن عثيمين (٧/ ٤٤١)

(٣) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٦٤٩)

فالنحرُ: «يكون في الإبل خاصة، والذبحُ: يكون في الغنم من الضأن والماعز، وأما البقرُ: فإنها تُذبح وتُنحر»[١].

و«الذبح» من العبادات الجامعة؛ قال العلماءُ: إن العبدَ -حالَ الذبح- يجتمعُ في قلبه أنواعٌ من العبوديَّات[٢]:

أ- الذُّل لربه -جل وعلا-.

ب- التعظيمُ له -جل وعلا-.

ج- الرجاءُ لما عنده حالَ ذبحه.

د- طلبُ البركة؛ لأنه ما ذَبَح إلا لله.

ووجهُ الاستدلال على عبادة «الذبح» من قوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، أنه قال: ﴿وَنُسُكِي﴾ والنُّسُكُ:

---

(١) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للبسام (٤/ ١١٩).

(٢) شرح الأصول الثلاثة الشيخ صالح آل الشيخ (٤٢).

فُسِّر بعدَّة تفسيرات عند السلف؛ منها: الذبحُ والنحرُ، وهذا كما قال -جل وعلا- في آية أخرى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:١:٢]؛ فقولُه -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ أمرٌ بأن يُوحَّد الله -جل وعلا- بالصلاة والنحرِ، ومِنْ ثَمَّ فالنسكُ هنا: هو الذبحُ.

قال الشيخُ عبدُ الرحمن بنُ حسن -رحمهُ اللهُ-: «**والمقصودُ أن هذه الآيةَ دلَّت على أن أقوالَ العبد وأعمالَه الباطنةَ والظاهرةَ؛ لا يجوزُ أن يُصرَفَ منها شيءٌ لغير الله كائنًا مَن كان، فمَن صرَف منها شيئًا لغير الله؛ فقد وقَع فيما نفاه -تعالى- من الشرك بقوله:** ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩]»[(١)].

والذبحُ له أربعةُ أحوال[(٢)]:

الأولُ: أن يقعَ عبادةً؛ بأن يُقصدَ به تعظيمُ المذبوح له، والتذلُّل له، والتقرب إليه،

---

(١) انظر: «قرة عيون الموحدين» للعلامة عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ (ص٦٨).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٥٤).

وهذا لا يجوزُ إلا لله -عزَّ وجلَّ- على الوجه الذي شرَعه الله -تعالى-؛ فصَرْفُه لغير الله شركٌ أكبر.

ودليلُ ذلك: ما ذكر الشيخُ -رحمهُ اللهُ-؛ وهو قولُه -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٠-١٦٣].

الثاني: الذبحُ من أجل أكل اللحم، وهذا لا بأسَ به، لأنه ما ذُبح تقرُّبًا لشيء، ولا تعظيمًا لأحد، وإنما ذُبح لحاجة مشروعة.

الثالثُ: الذبحُ على وجه الفرح والسرور؛ بمناسبةِ زواجٍ، أو انتقالٍ إلى مسكن جديد، أو قدومِ غائبٍ، أو ما شابَهَ ذلك، كأن يَجمعَ الأقاربَ ويذبحَ من باب إظهار الفرح والسرور بما حصل له؛ وهذا لا بأس به؛ لأنه ليس فيه تعظيمٌ ولا تقرُّب لأحد.

الرابعُ: الذبحُ من أجل التصدُّق باللحم على الفقراء والمساكين والمُعْوِزين، وهذا يُعَدُّ سنةً، وهو من العبادة.

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

.....

قولُه -عليه الصلاة والسلام-: «لعَنَ اللهُ مَن ذبَح لغيرِ اللهِ» دليلٌ على أن الذبحَ عبادةٌ؛ لأنه لعَن مَن صَرَفه لغير الله، فدلَّ على أنه يَختصُّ بالله، وهذا الاختصاصُ علامةُ العبادة، ومِنْ ثَمَّ فالذبحُ عبادة، فإذا صرَفه أحدٌ لغير الله؛ بأن ذبحَ للأصنام، أو للقبور المعبودةِ من دون الله التماسًا لشفاعة أربابها، أو للزُّهَرة، أو لقدوم سلطان، ونحو ذلك؛ فهو مشركٌ كافر[1].

واللَّعْنُ: هو الطردُ والإبعاد من رحمة الله -عزَّ وجلَّ-[2].

وقولُه: «لَعنَ اللهُ»، هذا يَحتمل أنه خبر، ويَحتمل أنه إنشاء.

فإن كان خبرًا؛ فمعناه: أن الرسولَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يُخبرنا أن الله -جل وعلا- أوقعَ اللعنَ بالفعل على مَن ذبح لغير الله.

---

(١) انظر: «حاشية ثلاثة الأصول» للشيخ ابن قاسم (ص٧٦)

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٠٠).

وإن كان إنشاءً؛ فمعناه: الدعاء؛ أي أن الرسولَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يدعو على مَن ذبح لغير الله أن يَطرُدَه الله من رحمته.

وكونُه خبراً أبلغُ في المعنى؛ لأنه يُفيدُ تحقُّقَ وقوعِ اللعن، بخلاف كونِه إنشاءً؛ لأن الدعاءَ قد يُستجاب، وربما لا يُستجاب[1].

(١) انظر: «القول المفيد» للشيخ العثيمين (١/ ٢٢٢).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ **[الإنسان:٧].**

.....

قولُه: «النَّذر»، هو: إلزامُ الإنسانِ نفسَه بشيء لم يَلزَمْه بأصل الشرع[١].

وقيل: هو: إيجابُ المرء على نفسه شيئًا لم يَجِبْ عليه.

وهو نوعان[٢]:

النوعُ الأول: النَّذرُ المُطلَق؛ وهو إلزامُ العبد نفسَه بطاعةٍ لله -جل وعلا- أو بعبادةٍ؛ كأن يقولَ: نذَرتُ أن أصومَ شهرًا لله، وهذا جائز مباحٌ؛ لحديثِ أم المؤمنين عائشةَ -رضيَ اللهُ عنهَا- عن النبي -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «من نذر أن يطيعَ الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[٣].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٥٤).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

النوعُ الثاني: النذرُ المقيَّد؛ وحقيقتُه: أن يُلزِمَ العبدُ نفسَه بطاعة الله -جل وعلا- مقابِلَ شيءٍ يحدثُه الله -جل وعلا- له ويقدِّرُه ويقضيه له؛ كأن يَنذِرَ أن يصومَ شهرًا إنْ شفاه اللهُ من المرض، فيُشفَى؛ فيُلزَمُ بوفاء نذره.

وهذا مكروهٌ؛ لحديثِ ابنِ عمرَ -رضيَ اللهُ عنهمَا- قال: «نهَى النبيُّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- عن النّذرِ»، وقال -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «إنه لا يردُّ شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل»[1]، لأن المؤمنَ المقبلَ على ربه لا يعبدُ الله -جل وعلا- بالمقايضة؛ وإنما يعبدُ الله -جل وعلا- ويتقرّبُ إليه؛ لأنه هو المستحقُّ لذلك، فهذا النوعُ مكروه لهذا.

قال المصنفُ -رحمهُ اللهُ-: «ودليلُ النَّذرِ: قولُه -تعالى-: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان:٧].

ووجهُ الاستدلال: أن اللهَ -جل وعلا- امتدَحَهم بأنهم يوفون بالنَّذرِ، وإذا امتدحهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٨).

بذلك دلَّ على أن هذا العملَ منهم -وهو الوفاء بالنَّذرِ- محبوبٌ له -جل وعلا- ؛ فثبت أنه عبادةٌ لله -تعالى-.

«**فائدةٌ**» في النَّذرِ المقيد؛ متى يكونُ شركًا؟

قال الشيخُ صالح آل الشيخ: «إنْ شفى الله -لاحِظْ- إن شفى الله مريضي؛ فللولي الفلاني عليَّ نذرٌ بكذا وكذا، فهذا على المقابلة، ولو كان على هذا النحو، فصرفُه لغير الله -جل وعلا- شركٌ؛ لأن القول الأولَ منه وهو قولُه: «إن شفى الله مريضي» - **هذا ربوبية، وقولُه**: «فللولي الفلاني عليَّ نذر» **هذا شركٌ في العبودية؛ هو أقرَّ بالربوبية، ولكنه أشرك بالعبودية، هذا جهةُ النَّذرِ، الوفاءُ لأصحاب القبور أو نحوِهم، أو الجنِّ، أو الملائكةِ؛ هذا كلُّه شركٌ**»[1].

(١) «شرح كتاب الثلاثة الأصول»، للشيخ صالح آل الشيخ (ص٤٢)

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

.....

لمَّا فرَغ الشيخُ -رحمهُ اللهُ- من بيانِ الأصل الأول، انتقلَ إلى بيانِ الأصلِ الثاني، وهو «مَعرفةُ دينِ الإسلامِ بِالأَدلَّةِ».

والدِّينُ يطلقُ ويُرادُ به معانٍ عدَّةٌ؛ منها[1]:

١- **الطاعةُ والانقياد**؛ يُقال: دانَ يَدِين دِينًا ودِيانةً، أي: خضَع، وذلَّ، وأطاع.

٢- **ما يَتديَّنُ به الإنسانُ**؛ يقالُ: دانَ بكذا، أي: اتخذَه دينًا وتعبَّد به، وهذا المعنى يشملُ المعنى الأولَ؛ لأن مَن دان بدِينٍ؛ خضَع لتعاليمِه، وانقادَ لها.

٣- **الحسابُ**؛ يقال: دانَه؛ إذا حاسَبَه، ومنه قولُه -تعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، وقولُه -تعالى-: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۞ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار:١٧-١٨]، أي: الحساب.

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٠٣).

قولُه: «دِين الإِسْلامِ»، الإسلامُ في اللغة: مصدرٌ قياسي للفعل الرباعي «أَسْلَمَ»؛ يقال: أسلمَ نفسَه للشيء؛ إذ انقادَ له، وأسلمَ نفسَه للقتل؛ أي: خضَع له.

والإسلامُ شرعًا: هو الدينُ الذي بعَث الله به محمدًا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وجعَله خاتمَ الأديان، وأكملَه لعباده، وأتمَّ به عليهم النعمةَ[1].

قولُه: «بِالأدلَّةِ»، أي أن معرفةَ دينِ الإسلام لا تكونُ بالتقليد أو بالآراء المجرَّدة، وإنما تكونُ بالأدلة من الكتاب والسنة؛ لأن الذي يبني دينَه على تقليد الناس؛ يكونُ إمَّعةً، وفي الحديث عن محمد بنِ المنكدِر قال: كانت أسماءُ تُحدِّثُ عن النبي -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، قال: «إذا دخلَ الإنسانُ قبرهُ، فإنْ كانَ مؤمنًا، أحفَّ بهِ عملُهُ، الصّلاةُ والصّيامُ، قالَ: فيأتيهِ الملكُ منْ نحوِ الصّلاةِ، فتردُّهُ، ومنْ نحوِ الصّيامِ، فيردُّهُ، قالَ: فيناديهِ: اجلسْ، قالَ: فيجلسُ، فيقولُ لهُ: ماذا تقولُ في هذا الرّجلِ؟ يعني النّبيَّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؟ قالَ: منْ؟ قالَ: محمّدٌ؟

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٠٣).

قالَ: أنا أشهدُ أنّهُ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قالَ: يقولُ: وما يدريكَ؟ أدركتهُ؟ قال: أشهدُ أنّهُ رسولُ اللّهِ، قالَ: يقولُ: على ذلكَ عشتَ، وعليهِ متَّ، وعليهِ تبعثُ، قالَ: وإنْ كانَ فاجرًا، أوْ كافرًا، قالَ: جاءَ الملكُ وليسَ بينهُ وبينهُ شيءٌ يردُّهُ، قالَ: فأجلسهُ، قالَ: يقولُ: اجلسْ، ماذا تقولُ في هذا الرّجلِ؟ قالَ: أيُّ رجلٍ؟ قالَ: محمّدٌ، قالَ: يقولُ: واللّهِ ما أدري، سمعتُ النّاسَ يقولونَ شيئًا، فقلتُهُ، قالَ: فيقولُ لهُ الملكُ: على ذلكَ عشتَ، وعليهِ متَّ، وعليهِ تبعثُ، قالَ: وتسلّطُ عليهِ دابّةٌ في قبرِهِ، معها سوطٌ، تمرتُهُ[1] جمرةٌ مثلُ غربِ البعيرِ، تضربُهُ ما شاءَ اللّهُ، صمّاءُ لا تسمعُ صوتهُ فترحمهُ»[2].

فالواجبُ على المسلم أن يحرصَ على معرفة دينه بالأدلة؛ من كتاب الله وسنةِ رسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ولا يتحققُ ذلك إلا بالتعلم والأخذِ عن أهل العلم.

---

(١) في نسخة من المسند (ثمرته) بالمثلثة، وفي أخرى (تمرته) بالمثناة، ولم يتضح لي معناه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٦٩٧٦).

قال الشيخُ صالح آل الشيخُ: «التقليدُ لا يسوغُ في أصول الدين؛ أي: هذه الأصول الثلاثة، فالتقليدُ في دين الإسلام، والتقليدُ في العبادة، والتقليدُ في الشهادة بأن محمدًا رسولُ الله؛ لا يكفي؛ فإذا قال قائلٌ: أنا مسلم بحُكمِ أني في بلدِ إسلامٍ، وهو لم يعتقدْ هذه الأمورَ اعتقادًا عن علم، ولو لمرةٍ في حياته، ولو كانت قبل البلوغ؛ فإنه لا يَخلُص من التَّبِعة، فلا بد أن يعتقدَ ما يجبُ اعتقادُه عن معرفةٍ، وهي هذه الأصولُ الثلاثة، وعن معرفة وعلم ودليل، ولهذا توسَّع الشيخُ -رحمهُ اللهُ- كما ترى في بيان مسألة الأدلة؛ فلذلك لكل مسألةٍ دليلُها؛ لأن المتعلمَ لهذا يخرجُ به عن رِبْقةِ التقليد لمن علَّمه، فيكونُ اعتقادُه حاصلًا عن دليل، ولهذا ينبغي تعليمُ الصغار المميِّزين هذه الرسالةَ، أو الكبار، يعلمونها بأدلتها»[1]، وقد سبَق التفصيلُ في هذا الأمر في بداية الشرح.

---

(١) «شرح الثلاثة الأصول» للشيخ صالح آل الشيخ (ص٤٤).

وَهُوَ: الِاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

.....

قولُه: «وَهُوَ: الِاسْتِسْلامُ»، يُطلَقُ الإسلامُ ويُراد به: المعنى العامُّ، كما يُطلَقُ ويُرادُ به المعنى الخاصُّ، وبيانُ ذلك فيما يلي:

١- أما المعنى العام: فهو الإسلامُ الذي يشملُ جميعَ الخلق والناسِ، كما قال -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

٢- وأما المعنى الخاص: فيُراد به ما بُعث به النبيُّ محمدٌ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، وطلَب من الناس أن يَدِينوا به، وأن يعتقدوه، وهذا هو مرادُ المصنف -رحمهُ اللهُ- بقوله: «وَهُوَ: الِاسْتِسْلامُ للهِ بالتَّوْحِيدِ، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءةُ من الشرك وأهلِه»؛ يعني: إسلامَ الوجهِ والقَصْدِ لله -عزَّ وجلَّ-؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، وقال -تعالى-: ﴿بَلَىٰ ۚ مَنْ

أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١١٢]، أي: أخلصَ عملَه لله -عزَّ وجلَّ-، وانقادَ لله عن طَوَاعِيَةٍ واختيارٍ، ورغبةٍ ومحبةٍ.

قال ابنُ كثير: «وقال سعيدُ بنُ جُبير: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلصَ، ﴿وَجْهَهُۥ﴾؛ قال: دينَه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: متبعٌ فيه الرسولَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ فإنَّ للعمل المتقبَّلِ شرطين:

أحدُهما: أن يكون خالصًا لله وحده، والآخَرُ: أن يكون صوابًا موافِقا للشريعة.

فمتى كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُتقبلْ؛ ولهذا قال رسول الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[1].

وعن أبي هريرة -رضيَ اللهُ عنهُ- عن رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أنه قال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ،

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٥)

ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أرسلتُ به؛ إلا كان من أصحاب النار»[١].

والمعنى: أن كلَّ مَن سمِع ببعثة النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وبرسالته، يجبُ عليه الإيمانُ به، فإنْ مات ولم يؤمنْ به كان من أصحاب النار، وهذا عامٌّ؛ يدخل فيه المشركُ، والبُوذيُّ، والنصرانيُّ، وغيرُ ذلك من الديانات الشركيةِ الأخرى، فكلُّ مَن كان على الإسلام العام، ولم يقبلِ الإسلامَ الخاصَّ، لم يكن مؤمنًا ولا مسلمًا.

قولُه: «الِاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوحيدِ»، أي: بإفراد الله -عزَّ وجلَّ- بالعبادة؛ فمَن عبَد الله وحدَه لا شريكَ له؛ فقد استسلم له، قال -تعالى-: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

وهذا يشملُ أنواعَ التوحيدِ الثلاثةَ[٢]:

١- توحيدَ الله -عزَّ وجلَّ- في ربوبيته.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠).

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٢٤).

٢- وتوحيدَه -عزَّ وجلَّ- في ألوهيته.

٣- وتوحيدَه -عزَّ وجلَّ- في أسمائه وصفاته.

والمقصودُ الأخصُّ من هذه الأنواع الثلاثة هو: توحيدُ الألوهية؛ أي: توحيد العبادة؛ لأن الخصومةَ إنما وقعت فيه، ومعلومٌ أن توحيدَ الألوهية متضمِّنٌ لتوحيد الربوبية، ولتوحيدِ الأسماء والصفات.

قولُه: «والانْقِيادُ لَهُ بِالطاعةِ»، المراد أن يكونَ الإنسانُ منقادًا لله -تعالى- غيرَ ممانِع، ولا متولٍّ عن طاعته، وإنما ينقادُ ويُذعنُ له -سبحانه- كما قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

والطاعةُ: اسمٌ جامعٌ للعمل بكل ما أمَر الله -سبحانهُ وتعالَى- به، والانتهاءِ عمَّا نهى عنه.

قولُه: «وَالبَراءةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ»، البراءةُ في اللغة معناها: الخروجُ من الشيء والمفارقةُ له[1]، والمرادُ بها هنا: التبرُّؤ من أهل الشرك وأهلِ الكفر، قال -تعالى-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، وسببُ ذلك أنهم أعداءٌ لله ولرسوله وللدين، فلا يُتخَذون أولياءَ، ولا يُناصَرون؛ لا بالقول ولا بالفعل، وعليه؛ فلا يكفي أن تَستسلِمَ لله وتنقادَ له بالطاعة، وأنت لا تتبرَّأُ من الشرك، ولا من المشركين.

فالمسلمُ يجبُ عليه أن يعملَ بما يلي:

١- الاستسلام لله بالتوحيد.

---

(١) انظر: الترجمان عن غريب القرآن (ص١٤٢) وفي مقاييس اللغة (١/ ٢٣٦): (التباعد من الشيء ومزايلته)، وفي الفروق اللغوية (ص١٣٨) (ومنه البراءة وهي قطع العلقة).

٢- الانقياد له بالطاعة.

٣- البراءة مما يضادُّ التوحيدَ ويضادُّ الطاعةَ، وهو الشرك.

٤- البراءة من أهل الشرك.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

.....

قولُه: «وَهُو ثلاثُ مَراتِبَ»، المراتب: جمع مَرْتَبة، ومعناها: الدرجةُ، فالمراتب: الدرجات[1]، ومعنى العبارة: أن الدين ثلاثُ درجات؛ بعضُها أعلى من بعض، أولُ هذه المراتبِ: الإسلامُ، ثم بعده: الإيمانُ ثم بعده الإحسانُ، وبيان ذلك فيما يلي:

المرتبةُ الأولى: مرتبةُ الإسلام، وهي أوسعُ المراتب؛ فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا، فدائرة الإسلام يدخلُ فيها المنافقون الذين يُظهرون الإسلامَ، ويلتزمون به التزامًا ظاهرًا، وحكمُهم: أنهم مسلمون في الظاهر، وتجري عليهم أحكامُ الإسلام في الدنيا، ولكنهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، كما قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]؛ وذلك لانتفاء حقيقة الإيمان عنهم؛ فغايةُ ما عندهم هو الإسلامُ الظاهريُّ فقط.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٥٩).

المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان؛ وهي أوسعُ من مرتبة الإحسان، فمرتبةُ الإحسان أخصُّ منها؛ أي أن كلَّ محسنٍ مؤمنٌ، دون العكس، والمؤمنون يتفاوتون في هذه المرتبة؛ فمنهم المقرَّبون، ومنهم الأبرار، ومنهم الظالم لنفسه، فالمقرَّبون: هم أصحاب أعلى الدرجات، والأبرارُ دونهم.

وأما الظالم لنفسه: فهو المرتكب للكبائر التي هي دون الشرك، فهو مؤمن فاسق، أو مؤمن ناقصُ الإيمان، قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

المرتبة الثالثة: مرتبة الإحسان؛ وهي: أن يُحسِنَ العبدُ العبادةَ ويُتقِنَها فيما بينه وبين الله، وقد عرَّفه النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- في الحديث بقوله: «أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكنْ تراه فإنه يراكَ»، والمعنى: أن يكونَ عندك علمٌ يقيني أن الله يراك أينما كنتَ[1].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٦٠).

ونُجمِلُ ما فصَّلناه سابقًا في تعريف الإسلام والإيمان والإحسان؛ فنقول[1]:

١- **الإسلامُ**: هو إقامةُ الأعمال الظاهرة، وذلك يشملُ: الشهادتين، وإقامةَ الصلاة، وإيتاءَ الزكاة، وصومَ رمضان، وحجَّ البيت، مع الإخلاصِ الذي يصحِّحُ هذه الأعمالَ، والاتباعِ وَفْقَ ما جاء به النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-.

٢- **الإيمانُ**: له أركانٌ ستة؛ وهي: الإيمانُ بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخر، وبالقدَرِ خيرِه وشرِّه، مع ما تيسَّرَ من العمل الظاهر الذي معه يصحُّ هذا الإيمانُ الباطن.

٣- **الإحسانُ**: هو مقامُ المراقبة لله -عزَّ وجلَّ-.

«**فائدةٌ**» الفرقُ بين الإسلام والإيمان من المسائل التي يتكررُ ذكرُها في كتب العقائد، وحاصلُ ما يقرِّرُه العلماءُ في هذا: أنه إذا ورد أحدُ هذين اللفظين مفردًا عن الآخر؛ فالمقصودُ به دينُ الإسلام كله، ولا فرقَ حينئذٍ بين الإسلام والإيمان، وأما إذا ورد

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٣٣).

هذان اللفظان معًا في سياق واحد؛ فيُرادُ بالإيمان: الأعمالُ الباطنة، وهي أعمالُ القلوب؛ كالإيمان بالله -تعالى- وحبِّه، وخوفه، ورجائه -سبحانهُ وتعالَى- والإخلاصِ له، ويُرادُ بالإسلام: الأعمالُ الظاهرة التي قد يَصحَبُها الإيمانُ القلبي، وربما لا يصحبُها؛ فيكون صاحبُها منافقًا، أو مسلمًا ضعيفَ الإيمان.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -رحمهُ اللهُ-: «اسمُ الإيمان: تارةً يُذكر مفردًا غيرَ مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما، وتارةً يُذكر مقرونًا؛ إما بالإسلام؛ كقوله في حديث جبريلَ: «ما الإسلامُ... وما الإيمان»؟ **وكقوله -تعالى-**: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، **وقوله -عزَّ وجلَّ-**: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]، **وقوله -تعالى-**: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦]،

فلما ذكَر الإيمانَ مع الإسلام؛ جعَل الإسلامَ هو الأعمالَ الظاهرة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج؛ وجعَل الإيمانَ ما في القلب من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وإذا ذُكر اسمُ الإيمان مجردًا؛ دخَل فيه الإسلامُ والأعمالُ الصالحة؛ كقوله في حديث الشُّعَب: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون شُعبةً، أعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق»، **وكذلك سائرُ الأحاديث التي يجعلُ فيها أعمالَ البر من الإيمان»**[1].

وقال الشيخُ ابنُ عثيمين -رحمهُ اللهُ-: «إذا اقترن أحدُهما بالآخر، فإن الإسلامَ يُفسَّرُ بالاسْتِسْلام الظاهر الذي هو: قولُ اللسان، وعملُ الجوارح، ويصدرُ من المؤمن كاملِ الإيمان، وضعيفِ الإيمان، قال الله -تعالى-: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣١- ٥١) باختصار.

[الحجرات:١٤]، ومِن المنافقِ، لكن يُسمى مسلمًا ظاهرًا، ولكنه كافرٌ باطنًا، ويُفسَّرُ الإيمانُ بالاسْتِسْلام الباطنِ الذي هو إقرارُ القلبِ وعملُه، ولا يَصدُر إلا من المؤمن حقًّا، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال:٢-٣]، وبهذا المعنى يكونُ الإيمانُ أعلى، فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، ولا عكسَ»[1].

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٤/ ٢٩).

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ، فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

.....

قولُه: «وَكُلَّ مَرْتَبَةٍ...»، أي أن كلَّ مرتبةٍ من مراتبِ الدين الثلاثِ لها أركانٌ، والأركانُ: جمع رُكْن؛ وهو: جانبُ الشيء الأقوى الذي لا يقومُ ولا يتمُّ إلا به، وسيُبيِّنُ المصنفُ كلَّ مرتبة، مع ذكر أركانها، والدليلِ على ذلك[1].

قولُه: «فأركانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ...»، هذه هي أركانُ المرتبة الأولى؛ مرتبةِ الإسلام، وتسمى الأصولَ الخمسة، والمبانيَ الخمسة، وهي الأساسُ الذي تقومُ عليه الأعمالُ الأخرى، والدليلُ عليها حديثُ جبريلَ -عليهِ السلامُ- المشهورُ الذي رواه الفاروقُ أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب -رضيَ اللهُ عنهُ- وسيأتي ذكرُه وشرحه.

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٠٥).

فهذه الأركانُ التي ذكرها المصنفُ -رحمهُ اللهُ- لا يقومُ الإسلامُ إلا بها، فإذا فُقدت كلُّها أو فُقد أحدُها؛ فإن الإسلامَ لا يستقيمُ، وأما ما لم يذكرْه من الطاعات الأخرى؛ فهي مكمِّلاتٌ لهذه الأركان.

ثم شرع الشيخُ -رحمهُ اللهُ- في بيان كل ركنٍ بدليله؛ فقال: «فَدَلِيلُ الشَّهَادَة»، أي: شهادةِ أنْ لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله؛ والشهادةُ: هي الاعتقادُ الجازم الذي يعبِّرُ عنه اللسانُ[1]، والشهادةُ تكونُ مقرونةً برؤية المشهود أو بسماعِه؛ لذا اختِير لفظُ الشهادة دون لفظ الاعتقاد؛ لأن لفظَ الشهادة يفيدُ التوكيدَ والجزم، فيكون هذا الذي تعتقدُه كأنك تشاهدُه، والذي تشاهدُه تَشهَدُ به.

قولُه -تعالى-: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، أي: حكَمَ، وقضى، وأعلَمَ، وبيَّن، وألزمَ؛ فلفظُ «الشهادة» من الله يدورُ على هذه المعاني الخمسة: الحُكْم، والقضاء،

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٠٦).

والإعلام، والبيان، والإلزام.

فقولُه –تعالى–: ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ ينفي جميعَ ما عُبد من دون الله.

وقولُه –تعالى–: ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يُثبت العبادةَ لله وحده.

فقولُه –تعالى–: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله –عزَّ وجلَّ–، ومَن عبَد غيرَ الله فعبادتُه باطلة، قال –تعالى–: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

فالله شهِد لنفسه –جلَّ جلالهُ وتقدَّست أسماؤه– بالوَحْدانية، وهو أصدقُ القائلين، وشهادتُه –سبحانه– أصدقُ الشهادات؛ لأنها صادرةٌ عن حكيم خبير، بكل شيء عليم.

قولُه –تعالى–: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أيضًا شهدوا بأنه لا إله إلا هو. والملائكة: عالَم خلقهم الله لعبادته، وسيأتي تفصيلُ الكلام عنهم بإذن الله.

وقال –تعالى–: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾؛ لأن أولي العلم هم أعلمُ الخلق بالله –سبحانه– وأخشى عبادِه له –سبحانه– كما قال –تعالى–: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، وأولو العلم لا يشهدون إلا بما هو حق، وكلُّ عالِم يشهدُ له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وهذا فيه تشريفٌ لأهل العلم؛ حيث قرَن شهادتَهم بشهادته وشهادةِ الملائكة.

ولا عبرةَ بقول غيرهم؛ من الملاحدة، والمشركين، والصابئين الذين يكفرون بالله –عزَّ وجلَّ–؛ لأن قولَهم مخالفٌ لشهادة الله، وشهادةِ ملائكته، وشهادةِ أولي العلم من خلقه.

وقولُه –تعالى–: ﴿قَآئِمًۢا﴾ منصوبٌ على الحال من فاعلِ ﴿شَهِدَ﴾ وهو الله –سبحانه– أي: حالَ كونِه قائمًا.

وقولُه –تعالى–: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، أي: بالعدل.

وقولُه –تعالى–: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيدٌ للجملة الأولى.

وقولُه –تعالى–: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ هما اسمان من أسماء الله –عزَّ وجلَّ– يتضمَّنان صفتين من صفاته؛ وهما: العزة والحكمة التي تليقُ بجلاله –سبحانه عزَّ وجلَّ–.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، «لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا العِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

.....

قولُه: «لَا مَعْبودَ بِحقٍّ إِلَّا الله»، ذكره الشيخُ تفسيرًا لقوله -تعالى-: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فليس معنى هذه العبارة: أنه لا خالقَ ولا رازقَ إلا الله؛ لأن هذا المعنى من قَبِيلِ توحيدِ الربوبية، وأهلُ الشرك يُقرُّون به، وإنما يُنكرون إفرادَ الله بالألوهية والعبادة؛ فلا يقولون: لا إله إلا الله؛ قال -تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، وحكى الله -تعالى- عنهم قولَهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وذلك لمَّا نهاهم -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- عن عبادة الأصنام.

فالمعنى الصحيحُ لهذه العبارة هو: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، ولو كان معناها: لا خالقَ ولا رازقَ إلا اللهُ، لَمَا امتنعوا من قول: لا إله إلا الله؛ لأنهم لما سُئلوا

عن المخلوقات أقرُّوا بأن خالقَها هو الله -تعالى-؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١].

قال الشيخُ صالح آل الشيخ: «معنى لا إله إلا الله؛ أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده، لا إله إلا الله، وهي أربعُ كلمات:

١- «لا»: وهو حرفٌ لنفي الجنس، وهي تعملُ عملَ «إنَّ»؛ قال ابنُ مالك في ألفيته:

عمـلَ (إنَّ) اجعَـلْ لــ «لا» في نكـرْه .....

ويكونُ اسمُها نكرةً؛ كما قال هنا: لا إلهَ.

٢- «إله»: على وزن «فِعَال» بمعنى «مفعول»؛ أي: إله بمعنى مألوه، يعني: معبود[1]؛ لأن الإلهةَ بمعنى العبادة، والألوهية بمعنى العبودية، وأصلُها من: أَلَهَ

(١) مختار الصحاح (ص: ٢١).

يَأْلَهُ إلهةً وأُلوهةً؛ إذا عبَد مع الحب والخوف والرجاء؛ أي: إذا عبَد عابدٌ ما يعبدُه خائفًا راجيًا محبًّا؛ فإنه يكونُ قد أَلَهَهُ، قال الراجزُ في رَجَزه المشهور:

للهِ دَرُّ الغـــانـيـاتِ الـمُـــدَّهِ سَـــبَّـحْنَ واستَرْجَعْنَ مِـن تألُّهِـي

أي: من عبادتي[1].

وجاء تفسيرُ «لا إله إلا الله» في القرآن الكريم في قوله -تعالى-: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود:١-٢]، وهو التفسيرُ الموافقُ للسُّنة وللغةِ العرب، وبه تَعلمُ أن مَن فسَّر الإلهَ بالربِّ -يعني بأنه القادرُ على الاختراع[2]؛ كما هو تفسيرُ أهلِ الكلام المذمومِ والأشاعرةِ والماتُريديةِ ونحوِهم- فإن هذا مِن أبطَلِ ما يكونُ؛ لأنه مناقضٌ للقرآن والسنة؛ فإن مادةَ «الإله» غيرُ مادة «الرب»، ولهذا

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ (ص: ٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١).

نجدُ هناك مَن لا يكفِّرُ مَن أشرك مع الله -عزَّ وجلَّ- إلهًا آخر في العبادة، ويقولُ: ما دام أنه مُقرٌّ بتوحيد الربوبية، وبأن الله هو المتوحِّد في أفعاله، وبرزقه، وإحيائه وإماتته، وفي تدبيره في الأمر، وفي مُلكه، وفيما يفعل؛ فإن هذا مؤمنٌ! وهذا باطل.

وبعضُهم يفسِّر الإلهَ بتفسيرٍ آخرَ يرجعُ إلى معنى الربوبيةِ، يقول أحدُ كبارِ وأئمةِ الأشاعرة، وهو السَّنُوسي في كتابه المعروف بـ «أم البراهين» في العقائد الأشعرية[1]؛ يقول: «فالإلهُ: هو المستغني عمَّا سواه، المفتقِرُ إليه كلُّ ما عداه».

يقول: فمعنى «لا إله إلا الله» لا مستغنِيًا عمَّا سواه، ولا مفتقِرًا إليه كلُّ ما عداه إلا الله، فصار معنى كلمةِ التوحيد عندهم: هو توحيد الله -جل وعلا- في ربوبيته فقط.

وهذا من أبطل الباطل؛ لأن المشركين قد أخبر الله -جل وعلا- في كتابه بأنهم مُقِرُّون بهذا الذي جعله معنى كلمةِ التوحيد؛ قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

(١) متن أم البراهين (ص٦).

[العنكبوت:٦١]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ [يونس:٣١]، وقال -تعالى-: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، وقال -تعالى-: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون:٨٦]، ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٨-٨٩]، إلى آخر ما جاء في هذه الآيات.

٣- «إلا» أداةُ استثناء، وعند بعضهم أداةُ حَصْر[١].

٤- «الله»، ومعنى العبارة: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، وخبرُ «لا» محذوفٌ؛ ذلك لأن العربَ ترى في لغتها أن «لا» النافيةَ للجنس يُحذفُ خبرُها إذا كان واضحًا[٢]،

---

(١) النحو الوافي (١/ ٥٧٢).

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/ ٢٥).

ومن الواضح أن المشركين لم يُنازعوا في وجود آلهة أخرى؛ فهم يعلمون أن هناك آلهةً كثيرة موجودة؛ لهذا لا يصحُّ أن يقالَ: إن خبرَ «لا إله»: موجودٌ؛ لأنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، لكنَّ الخبرَ معلومٌ؛ لأنه زبدة الرسالة، وهو ما قدَّره الشيخُ هنا «بحق»، أو يُقدر «حق» بدون الباء؛ لأن خبر «لا» إذا حذف قُدر بالمناسب الذي يُعلَم؛ قال ابنُ مالك في الألفية في آخر باب «لا» النافية للجنس[1]:

وشـاعَ في ذا البـابِ إسـقاطُ الخبَـرْ إذا المـرادُ مَـعْ سـقوطِه ظهَـرْ

إذًا؛ فصار معنى: «لا إله إلا الله»: لا أحدَ بحقٍّ يستحقُّ العبادةَ إلا اللهُ -سبحانهُ وتعالَى-، وهناك معبوداتٌ غيرُ الله -عزَّ وجلَّ- ولكنها معبوداتٌ بالباطل، والتقديرُ هذا من أنسَبِ ما يكونُ»[2].

إذا عرفتَ هذا؛ فاعلم أن قولَك مثلًا: «الله إلهٌ» لا يكفي؛ لأن اللاتَ إلهٌ، والعُزَّى

---

(١) ألفية ابن مالك (ص٢٣).

(٢) «شرح الثلاثة الأصول» صالح آل الشيخ (ص٤٧).

إلهٌ، ومناةَ إلهٌ، كل هذه الأصنام تُسمى آلهةً، فلا بد أن تقول: «لا إله إلا الله»، أي: تجمع بين النفي والإثبات، حتى يتحققَ لك التوحيدُ، وينتفيَ الشركُ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، **وَقَوْلُهُ –تَعَالَى–:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

.....

خيرُ ما يُفسِّر القرآنَ هو القرآنُ، لذا فسَّر المصنفُ –رحمهُ اللهُ– «لا إله إلا الله» من القرآن، وذلك في آيتين من كتاب الله –عزَّ وجلَّ–؛ أولُهما قولُه –تعالى– على لسان الخليلِ إبراهيمَ –عليه الصلاة والسلام–: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وهذا هو النفي «لا إله»، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾، وهذا هو الإثبات «إلا الله»؛ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، الكلمةُ الباقية هي: لا إله إلا الله.

الآيةُ الثانية قولُه –تعالى–: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ هذه الآيةُ نزلت في وفدِ نَجْرانَ، وهم نصارى بني تَغلِب من العرب، قدموا على النبي –صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– وناظروه في شأن عيسى ابنِ مريم –عليهِ السلامُ–، وعندما طلب النبي –صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– منهم المباهلةَ، خافوا ولم يباهلوا، ورضُوا بدفع الجزية له؛ لأنهم يعلمون أنهم على باطل، وأنه رسولُ الله –صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– حقًّا.

وقد اشتملت الآيةُ على معنى: «لا إله إلا الله»؛ لأن قولَه –تعالى–: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ هذا هو النفي «لا إله»، وقولَه –تعالى–: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هذا هو الإثبات.

وهذه الكلمةُ «لا إله إلا الله» هي العدلُ الذي قامت به السماواتُ والأرض، لأنها قامت على التوحيد وعلى ألا يُشرَكَ في عبادة الله أحدٌ، لا ملَكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسل.

وقولُه –تعالى–: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي كما فعل اليهودُ والنصارى، الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبانَ أربابًا من دون الله؛ كما قال –

تعالى-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

ومعنى اتخاذِ الأحبارِ والرهبانِ أربابًا من دون الله: هو طاعتُهم في تحليل ما حرَّم الله -تعالى- وتحريمِ ما أحلَّ الله -تعالى-؛ فعن عديِّ بنِ حاتمٍ -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: أتيتُ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- وفي عنقي صليبٌ من ذهب، فقال: «يا عديُّ! اطرَحْ عنك هذا الوثنَ»، قال: وسمعتُه يقرأُ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: «أمَا إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموه»[1].

وقد سبق الكلامُ على هذه المسألة.

وقولُه -تعالى-: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾، أي: لم يَقبَلوا دعوةَ التوحيد.

وقولُه -تعالى-: ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾، وذلك بأن تُشهدوهم على

(١) سبق تخريجه.

أنكم موحِّدون وأنهم كفار، ففي هذا: وجوبُ الجهر ببطلانِ ما عليه المشركون، وتركُ السكوت عن ذلك، فيجبُ إعلانُ بطلانِ الشرك، والردُّ على أهله.

إذا عرَفتَ هذا؛ فاعلم أن «لا إله إلا الله» لها سبعةُ شروط[١]، وهي:

١- العلمُ المنافي للجهل؛ أي أن تعلمَ انتفاءَ جميعِ أنواع العبادةِ عن كل ما سوى الله، وثبوتَ ذلك لله وحده، قال -تعالى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقال -تعالى-: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، وفي الحديث عن عثمانَ قال: قال رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «مَن مات وهو يعلمُ أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢].

٢- اليقينُ المنافي للشك والريب؛ أي أن يكونَ المسلمُ موقنًا بهذه الكلمة؛ يقينًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب؛ قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ

(١) كتاب عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان (ص٢٦- ٣١). معارج القبول (١/ ٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦).

وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

فقولُه: ﴿لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي: أيقنوا ولم يشكُّوا، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأني رسولُ الله، لا يَلقَى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنةَ»(١).

٣- الإخلاصُ المنافي للشرك والرياء؛ وذلك بتصفية العمل من جميع شوائبِ الشرك الظاهرةِ والخفية، ويحصلُ ذلك بإخلاص النية في جميع العبادات لله وحده؛ قال -تعالى-: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، وعن أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله، مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أنْ لا يَسألَني عن هذا الحديثِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

أحدٌ أولَ منك؛ لِمَا رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامةِ مَن قال: لا إله إلا اللهُ خالصًا من قلبه، أو نفسه»[١].

٤- الصدقُ المنافي للكذب؛ وذلك بأن يقولَ هذه الكلمةَ صادقًا من قلبه؛ يواطئُ قلبُه لسانَه، قال -تعالى- في ذم المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، لكذبهم في الشهادة، وعن أنسِ بنِ مالك أن النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل، قال: «يا معاذُ بنَ جبل»، قال: لبَّيْك يا رسول الله وسعدَيْك، قال: «يا معاذُ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك؛ ثلاثًا، قال: «ما مِن أحدٍ يشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، صدقًا من قلبه، إلا حرَّمه الله على النار»، وأخبرَ بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨).

٥- المحبةُ المنافية للبغض والكره؛ وذلك بأن يُحِبَّ قائلُها اللهَ ورسولَه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ودينَ الإسلام، والمسلمين القائمين بأوامر الله، الواقفين عند حدوده، وأن يُبغِضَ مَن خالف التوحيدَ وأتى بما يناقضُه من شرك أو كفر، أو يناقضُ كمالَه من بدع ومعاصٍ؛ عملًا بقوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «إن أوثقَ عُرَى الإيمانِ أن تحبَّ في الله، وتبغضَ في الله»[1]. ومما يدلُّ على اشتراط المحبة في الإيمان قولُه -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

٦- الانقيادُ المنافي للترك؛ فلا بد لقائلِ لا إله إلا الله أن ينقادَ لشرع الله، ويُذعنَ لحكمه، ويُسلمَ وجهَه لله؛ قال -تعالى-: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤].

٧- القَبولُ المنافي للرد؛ فلا بد من قبول هذه الكلمة، قبولًا حقًّا، بالقلب واللسان،

---

(١) سبق تخريجه.

وقد قصَّ الله في القرآن الكريم علينا أنباءَ مَن قد سبق ممَّن أنجاهم الله لقبولهم «لا إله إلا الله»، وذكرَ انتقامَه وإهلاكَه لمن ردَّها ولم يقبلْها؛ قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُه -تَعَالَى-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ **[التوبة:١٢٨].**

.....

قولُه: «ودَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، هذا هو الشطر الثاني من الشهادة، وهي: شهادةُ أن محمدًا رسولُ الله، ومعناها: الإيمانُ بأنه رسولُ الله حقًّا، وأن الله أرسله للثقلين الجنِّ والإنس؛ بشيرًا ونذيرًا، عليه الصلاة والسلام، وأنه خاتمُ الأنبياء؛ ليس بعده نبيٌّ، كما قال الله -جل وعلا-: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال-تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

ومن لوازمِ هذه الشهادةِ: متابعةُ الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- في كل ما أمر به أو نهى عنه، وأدلةُ شهادةِ أن محمدًا رسولُ الله كثيرةٌ، من الكتاب والسنة، ومن

المعجزاتِ الباهرات الدالَّةِ على نبوته ورسالته -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

واستدل الشيخُ -رحمهُ اللهُ- على هذا الشطر: الشهادةِ بأن محمدًا رسول الله، بقوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فقولُه -تعالى-: ﴿جَآءَكُمْ﴾؛ هذا خطابٌ لجميع الناس؛ لأن رسالتَه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- عامةٌ لجميع الثقلين: الإنس والجن.

وقولُه -تعالى-: ﴿رَسُولٌ﴾؛ هو: من أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِر بتبليغه، وسُمي رسولًا لأنه مُرسَل من قِبَل الله -عزَّ وجلَّ-.

وقولُه -تعالى-: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم؛ من البشر، وليس ملَكًا من الملائكة، وهذه سنةُ الله -عزَّ وجلَّ- أنه يُرسِلُ إلى البشر رسلًا منهم؛ من أجل البيان.

وقولُه -تعالى-: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أي: شاقٌّ عليه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

وقولُه –تعالى–: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: ما يشُقُّ عليكم، والعَنَتُ معناه: التعب والمشقة، والرسولُ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ– يشُقُّ عليه ما يشُقُّ على أمته؛ لأنه لا يريدُ لها المشقةَ، وإنما يريدُ لها اليسرَ والسهولةَ؛ لهذا جاءت الشريعةُ يسيرةً وسهلةً، قال –تعالى–: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ [المائدة:٦]، فشريعتُه سهلةٌ تناسبُ قدرةَ الناس واستطاعةَ المكلَّفين، ولا تحمِّلُهم ما لا يطيقون.

وقولُه –تعالى–: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾، أي: على هدايتكم وإخراجِكم من الظلمات إلى النور.

وقولُه –تعالى–: ﴿رَءُوفٞ﴾ من الرأفة؛ وهي الرفقُ، واللُّطف.

وقولُه –تعالى–: ﴿رَّحِيمٞ﴾، وصَفَه –سبحانه – برحمته للبشر؛ فليس هو بغليظ؛ كما قال –تعالى–: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقد كان -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- متواضِعًا ليِّنًا مع المؤمنين، يَخفِضُ لهم جَناحَه، ويستقبلُهم بالبِشْر، والمحبة، والعطف، والإحسان، وهذه من صفاته -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ ما نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

.....

قولُه: «ومعنَى شَهَادةِ أنَّ مُحَمَّدًا»، أي أن الشهادةَ بأن محمدًا رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ليست لفظًا يُقالُ باللسان فقط، ولكنها تشملُ أمورًا؛ أولُها وثانيها: أن تعترفَ بلسانك وبقلبك «أي: نطقًا واعتقادًا» أنه رسولُ الله، ثم لا يكفي النطقُ باللسان والاعترافُ بالقلب فقط؛ بل لا بد من أمر ثالث؛ وهو: الاتباعُ؛ قال الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ويتحققُ ذلك من خلال هذه الجمل الأربعِ التي ذكرها الشيخُ -رحمهُ اللهُ-؛ وهي:

١- طاعتُه فيما أمر؛ وفي ذلك يقولُ الله -سبحانهُ وتعالَى-: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]؛ ففي هذه الآية جعَل الله طاعتَه -سبحانه- في طاعة الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

٢- تصديقُه فيما أخبر؛ والرسولُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أخبر عن أمور كثيرة من الغيب؛ فأخبر عن الله، وعن الملائكة، وعن غير ذلك من الأمور الغائبة، وأخبر أيضًا عن أمور مستقبَليةٍ؛ من قيام الساعة، وأشراطِها، والجنة، والنار، وأخبر عن أمور ماضية؛ كأحوال الأمم السابقة؛ فلا بد من تصديقه في كل ما أخبر به؛ لأن أخبارَه كلَّها صدقٌ لا كذبَ فيها؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

٣- اجتنابُ ما نهى عنه وزجر؛ وقد نهى النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- عن أقوال وأفعال، وصفاتٍ كثيرة؛ وهو -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- لا ينهى إلا عمَّا فيه ضررٌ

وشرٌّ، ولا يأمرُ إلا بما فيه خير وبِرٌّ؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

٤- ألا يُعبَدَ اللهُ إلا بما شرَع؛ أي: لا بد من التقيُّد في العبادات بما شرَعه الله لرسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ فلا تجوزُ العبادةُ بما لم يَشرَعْه، وإن كان القصدُ حسنًا؛ لأن ما لم يأتِ به رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ليس من الدين، والنيةُ وحدها لا تكفي فيه، بل لا بد من الاتباع؛ لأن العباداتِ توقيفيةٌ؛ كما قال رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «مَن عمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»[1].

فائدةٌ: لماذا جُعلت الشهادتان ركنًا واحدًا، ولم تُجعلْ شهادةُ «أنْ لا إله إلا الله» ركنًا، وشهادةُ «أن محمدًا رسول الله» ركنًا؛ مع أن المشهودَ به متعدِّدٌ؟ الجوابُ من وجهين[2]:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ١٠٧).

الوجهُ الأول: أن هاتين الشهادتين أساسُ صحة الأعمال وقبولِها؛ إذ لا يُقبل العملُ ولا يكونُ صحيحًا إلا بأمرين:

١- الإخلاصِ لله -سبحانه-.

٢- والمتابعةِ للرسول.

الوجهُ الثاني: أن الرسولَ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- مبلِّغٌ عن الله، فالشهادةُ له بالرسالة والعبودية من تمام شهادةِ أن لا إله إلا الله، فكأن الثانيةَ تكملةٌ للأولى.

قال شيخ الإسلام محمدُ بنُ عبد الوهَّاب: «وأما متابعةُ الرسول؛ فواجبٌ على أمته متابعتُه في الاعتقادات والأقوال والأفعال، فتُوزَنُ الأقوالُ والأفعال بأقواله وأفعاله؛ فما وافقَ منها قُبِل، وما خالفَ رُدَّ على فاعله كائنًا مَن كان، فإن شهادةَ «أن محمدًا رسولُ الله» تتضمَّنُ تصديقَه فيما أخبرَ، وطاعتَه، ومتابعتَه في كل ما أمَر به، وقد روى البخاريُّ[1] من حديث أبي هريرةَ أن رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

وسلّمَ- قال: «كلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلا مَن أبَى»، قيل: ومَن يأبى يا رسول الله؟

قال: «مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبَى»[1].

(١) ينظر: الرسائل الشخصية لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق الفوزان (ص١٠٦).

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ **[البينة:٥].**

.....

الصلاةُ هي الركنُ الثاني من أركان الإسلام، والزكاةُ هي الركنُ الثالث، وهي قرينةُ الصلاةِ في كتاب الله، والصلاةُ عبادة بدنية، أما الزكاةُ فعبادة مالية.

ولمَّا امتنع أناسٌ من دفع الزكاة بعد وفاة الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال أبو بكرٍ الصديقُ -رضيَ اللهُ عنهُ-:«والله لأقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاةَ حقُّ المال، واللهِ لو منعوني عَناقًا كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- لقاتلتُهم على منعها»[1].

فالزكاةُ حق واجب في الأموال، وركنٌ من أركان الإسلام كالصلاة، وكثيرًا ما تجدُهما في كتاب الله -عزَّ وجلَّ- مقترِنتين في الآية الواحدة، مثالُ ذلك: قولُه

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠).

-تعالى-: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، وقولُه -تعالى-: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]، وغيرها كثير.

وفي الآية التي في المتنِ دليلٌ على التوحيد، وعلى الصلاة والزكاة.

فدليلُ التوحيد قولُه -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لأن التوحيدَ هو: عبادةُ الله مع الإخلاص له، وتركُ عبادةِ ما سواه، فالدينُ، والتوحيدُ، والعبادةُ؛ بمعنًى واحدٍ، ومعنى ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، أي: في العبادة.

وهذا من حرص الشيخ على التوحيد؛ حيث ذكره مع الصلاة والزكاة في دليل واحد.

ودليلُ الصلاة: قولُه -تعالى-: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، والمعنى: أن يأتوا بها كما أمر الله -عزَّ وجلَّ- بشروطها، وأركانها، وواجباتها.

ودليلُ الزكاة: قولُه –تعالى–: ﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أي أن يدفعوا الزكاةَ للمستحقِّين لها، وهم ثمانيةُ أصنافٍ، ذكرهم الله في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

ومجموعُ هذه الأمور الثلاثةِ «الإخلاصِ، والصلاةِ، والزكاة» هو: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ وهي صفةٌ لموصوف محذوف؛ والتقديرُ: دين الملة القيِّمة؛ أي: المستقيمة[1].

(١) التفسير البسيط (٢٤/ ٢١٨).

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

.....

قولُه: «وَدَلِيلُ الصِّيَامِ»، أي: هذا دليلُ وجوب الصيام من القرآن الكريم.

وقولُه -تعالى-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، أي فُرض عليكم.

وقولُه -تعالى-: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، أي: كما فُرض على مَن كان قبلكم من الأمم، وهذا يدلُّ على أن الصيامَ كان معروفًا عند الأمم السابقة، وفي الشرائعِ القديمة، ولم تختصَّ به شريعةُ محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

وقولُه -تعالى-: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فيه بيانٌ للحكمة من مشروعية الصيام، وهو أنه سببٌ للتقوى؛ لأن الصيام يربِّي الإنسانَ على تركِ ما أَلِفَتْه نفسُه من شهوات ورغبات؛ تقربًا إلى الله -عزَّ وجلَّ-؛ فيكسبُه هذا التقوى، كما أن الصيامَ يكسِرُ شهوةَ النفس وحِدَّتها؛ لأن الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مَجرى الدم؛ فمع تناولِ

الشهوات يتسلطُ الشيطانُ، ومع ترك الشهوات يضعفُ مجرى الدم، فيُطرَد الشيطانُ عن المسلم، ففي الصيام حصولُ التقوى التي هي جِمَاعُ الخير كله، والإنسانُ إذا ترك المباحاتِ طاعةً لله، كان تركُه للمحرمات من بابِ أولى، فالصيامُ يدرِّبُه على تجنُّب الحرام، ويدرِّبُه على التمكُّن من نفسه الأمَّارة بالسوء، ويَطردُ عنه الشيطانَ، ويُلينُ قلبَه للطاعة، ولذلك تجدُ الصائمَ أقربَ إلى الخير من المفطر؛ فتجدُه يحرصُ على تلاوة القرآن، وعلى الصلاة، ويذهبُ إلى المسجد مبكرًا؛ لأن الصيامَ قد ليَّنه وهذَّبه، وكل هذا داخلٌ في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

وَدَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُه -تَعَالَى-: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]

.....

لمَّا ادعى اليهودُ -عليهم لعنةُ الله- أنهم مسلمون، وأنهم على دين إبراهيم -عليهِ السلامُ-، امتحنهم الله -عزَّ وجلَّ- في هذه الآية بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]؛ أي: فإن كنتم مسلمين فحُجُّوا؛ لأن الله فرض حجَّ البيت على المسلمين؛ فإذا امتنعتم من الحج فهذا دليلٌ على أنكم لستم مسلمين، ولستم على ملة إبراهيم.

وقولُه -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أي: هذا فرضٌ وحقٌّ لله -عزَّ وجلَّ- على الناس.

وقولُه -تعالى-: ﴿حِجُّ﴾، الحج: بكسر الحاء وفتحها، وأصلُه في اللغة: القَصْد، والحجُّ شرعًا: قَصْدُ الكعبةِ المشرفةِ والمشاعرِ المقدسة في وقت مخصوصٍ لأداء عباداتٍ مخصوصة، وهي مناسكُ الحج[١].

وقولُه -تعالى-: ﴿ٱلْبَيْتِ﴾، أي: الكعبة، وما حولها من المشاعر تابعٌ لها.

وقولُه -تعالى-: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾، فيه بيانُ شرط الوجوب؛ وهو: الاستطاعة.

والاستطاعةُ نوعان[٢]:

أ- استطاعة بدنية؛ وهي: القدرة على المشي أو الانتقالِ إلى مكة.

ب- استطاعة مالية؛ وهي: القدرة على توفير المَركَب الذي ينقلُه، والزادِ الذي يأكلُه؛ ذهابًا وإيابًا.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٩٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٩٣).

ولا يجبُ الحجُّ على غير المستطيع؛ أي الذي ليس عنده زادٌ ولا راحلةٌ؛ لأن شرطَ وجوب الحج هو الاستطاعةُ.

وقولُه -تعالى-: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دليلٌ على أن مَنِ امتنع عن الحج مع القدرة عليه؛ فإنه كافرٌ كفرًا أصغرَ، وأما مَن تركه جاحدًا لوجوبه؛ فإنه كافرٌ كفرًا أكبرَ بإجماع المسلمين.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

.....

قولُه: «الإِيمَانُ»، هو في اللغة: التصديقُ الجازم[١]؛ قال -تعالى- على لسان إخوةِ يوسف -عليهِ السلامُ-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧] أي: بمصدِّق لنا.

ولشيخ الإسلام ابنِ تيميَّة -رحمهُ اللهُ- بحثٌ طويل عن المعنى اللغوي للإيمان، خلاصته في قوله: «فكان تفسيرُه - أي الإيمان - بلفظ الإقرار أقربَ من تفسيره بلفظ التصديق، مع أنَّ بينهما فرقًا»[٢].

وقال الشيخُ ابنُ عثيمين: «أكثرُ أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكنْ في هذا نظر... [إلى أن قال:] ولهذا لو فُسِّر الإيمانُ بالإقرار لكان أجودَ؛ فنقولُ: الإيمانُ: الإقرار، ولا إقرارَ إلا بالتصديق؛ فتقولُ: أقرَّ به، كما تقولُ: آمن به، وأقرَّ له، كما تقول: آمنَ له»[٣].

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٢٩)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٥٧٤).

والإيمانُ شرعًا: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية[١].

وقولُنا: «باللسان»، أي: لا بد فيه من النطق والاعترافِ باللسان.

وقولُنا: «اعتقاد بالقلب»، أي: لا بد أن يكونَ من يؤمنُ معتقِدًا في قلبه لِمَا ينطقُه بلسانه، وإلا كان مثلَ المنافقين الذين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧].

وقولُنا: «عمل بالجوارح»، أي: لا بد من أداء الفرائض، وتجنُّبِ المحرمات.

واعلم أن عملَ القلب يشملُ أنواعَ الاعتقادات، كما يشملُ أنواعَ العباداتِ القلبية؛ مثل: الخشية، والخوف، والرجاء.

وأما عملُ الجوارح فيشملُ الأعمالَ الظاهرةَ، كالصلاة وغيرها.

---

(١) الإيمان لابن تيمية (ص: ١٣٧).

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

.....

قولُه: «وَهُو بِضْعٌ وسبعون شُعبةً» مأخوذٌ من حديث أبي هريرة -رضيَ اللهُ عنهُ- الآتي، وهو من الأدلة على أن الإيمانَ: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

والحديثُ المشارُ إليه هو ما رواه أبو هريرة -رضيَ اللهُ عنهُ- أن رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: الإيمانُ بضعٌ وسبعون - أو: بضعٌ وستون- شعبةً، فأفضلها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[1].

وموضعُ الدلالة من هذا الحديث على أن القولَ من الإيمان: قولُه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «قولُ: لا إله إلا الله».

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

ويدلُّ على أن عملَ الجوارح من الإيمان: قولُه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «إماطةُ الأذى عن الطريق»، فهذا من أعمال الجوارح.

والدليلُ على أن اعتقادَ القلب من الإيمان: قولُه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «والحياءُ شعبةٌ من الإيمان».

فدل الحديثُ على أن الإيمانَ: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

وقد أوضحنا سابقًا أنه إذا ذُكر الإيمانُ والإسلامُ معًا؛ كان لكل منهما معنًى، فالمرادُ بالإسلام حالَ اجتماعِه مع الإيمان: الأعمالُ الظاهرة؛ أي: أركانُ الإسلام الخمسةُ المعروفة، والمرادُ بالإيمان: الأعمالُ الباطنة؛ أي: الأركانُ الستة المعروفة، التي محلُّها القلب.

وإذا ذُكر واحدٌ منهما فقط؛ دخل فيه الآخَرُ، ولذلك يُعبر أحيانًا عن المسلم بالمؤمن والعكس، والمعنى واحدٌ؛ لأنه لا بد أن يكونَ مسلمًا مؤمنًا؛ يقيمُ أركانَ الإسلام، ويقيمُ أركانَ الإيمان.

إذا عرَفتَ هذا؛ فاعلم أن الإيمانَ له أركانٌ، وله شُعَب، وقد بيَّنها النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في حديثين:

الحديثُ الأول: حديثُ جبريلَ المشهورُ[1]، وفيه ذكر أركان الإيمان، وسيأتي.

والحديثُ الثاني: هو هذا الحديثُ الذي ذكره المصنفُ، وذكر فيه شعبَ الإيمان.

والفرقُ بين الأركان والشعب[2]: أن الركنَ لا يطلقُ إلا على جزء الشيء الذي إذا انتفى؛ انتفى الشيءُ نفسه، كأركان الإيمان؛ فإنها إذا انتفى واحد منها؛ انتفى الإيمانُ كله وبطَل، وزال بزواله؛ لأن الشيءَ لا يقومُ إلا على أركانه؛ فإذا فُقد ركنٌ من أركان الشيء؛ لم يتحقَّقْ.

وأما الشُّعَب؛ فإنها مكمِّلاتٌ، لا يزولُ الإيمانُ بزوال شيء منها، إلا أن يكونَ من الأركان؛ فيزول الإيمان بزوالها.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٠٢).

قال الإمام ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: «ولما كان الإيمانُ أصلًا له شعب متعددة، وكلُّ شعبة منها تُسمى إيمانًا؛ فالصلاةُ من الإيمان، وكذلك الزكاةُ والحجُّ والصيامُ، والأعمالُ الباطنة؛ كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهيَ هذه الشعبُ إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان. وهذه الشعبُ منها ما يزولُ الإيمانُ بزوالها؛ كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزولُ بزوالها؛ كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعبٌ متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يُلحَقُ بشعبة الشهادة ويكونُ إليها أقربَ، ومنها ما يُلحَقُ بشعبة إماطة الأذى، ويكونُ إليها أقربَ»[1].

وهذه الشُّعَبُ نوعان:

أ- بعضُها واجباتٌ.

ب- وبعضُها مستحبات.

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها (ص ٥٥).

وحديثُنا هنا عن الشعب الواجبات، التي إذا ترك المسلمُ شيئًا منها، أو فعل شيئًا من المحرمات؛ فإنه لا يزولُ إيمانُه بالكلية عند أهل السنة والجماعة، ولكنْ يزولُ كمالُ الإيمانِ الواجبُ، فيكون مؤمنًا ناقصَ الإيمان، أو مؤمنًا فاسقًا، كما لو شرب الخمرَ، أو سرقَ، أو زنى، أو فعل شيئًا من الكبائر، فإنه يكونُ فاعلًا للمحرَّم، أو مرتكبًا لكبيرة من كبائر الذنوب، لكنه لا يكفرُ بذلك، ولا يخرجُ من الإيمان بالكلية.

فإذا عرَفتَ هذا؛ فاعلم أن قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣]، ليس المرادُ به الظاهرَ؛ لأن ظاهرَه كفرُ مَن أتى بمعصية مطلقًا، فالواجبُ رَدُّ هذه الآية إلى قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فيَتبيَّنُ الحقُّ؛ وهو: أن صاحبَ المعصية لا يخرجُ بفعلها من الدين، ولكنه يكونُ متوعَّدًا بالنار؛ إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، وقد يكونُ له مكفراتٌ في الدنيا بالمصائب والبَلاءات،

أو في القبر بالضَّغْطة أو فتنةِ الملَكين وعذابِ القبر؛ فهذه الأمور تكفرُ السيئاتِ، والمكفراتُ كثيرة.

وأما زيادةُ الإيمان ونقصانه؛ فإليك الأدلةَ عليها:

أولا: الدليلُ على زيادة الإيمان: قولُه -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، ففيه أن الإيمانَ يزيدُ بسماع القرآن، ومثلُه قولُه -تعالى-: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وقولُه -تعالى- ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، ففيه أن الإيمان يزيدُ باليقين وبالطاعات.

ثانيًا: الدليلُ على نقصان الإيمان: مأخوذ من النصوص السابقة، ووجهُ الدلالة: أن

كلَّ شيء قابلٍ للزيادة؛ فإنه قابلٌ للنقص، ويدلُّ على ذلك أيضًا الحديثُ الصحيح عن أبي سعيد الخُدْري -رضيَ اللهُ عنهُ- عن النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «يدخلُ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، وأهلُ النّارِ النّارَ، ثمَّ يقولُ اللهُ -تعالى-: أخرجوا منْ كانَ في قلبهِ مثقالُ حبّةٍ منْ خردلٍ منْ إيمانٍ...» الحديثَ[1]، ووجهُ الدلالة من هذا الحديث: أن الإيمانَ قد ينقصُ في القلب حتى يكون على وزن حبة خردل.

ومن الأدلة على ذلك أيضًا: قولُه -تعالى-: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران:١٦٧]، ففيه أن الإيمانَ ينقصُ حتى يكون أقربَ إلى الكفر.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٢).

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ.

.....

قولُه: «وأركانُه»، أي: الدعائمُ التي يقومُ عليها الإيمانُ، ويزولُ بزوالها، أو بزوالِ ركن منها «ستةٌ»؛ وهي[1]:

١- الإيمانُ بالله: أي: الإيمانُ بأن اللهَ -عزَّ وجلَّ- واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لا شريكَ له؛ لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وهذا يشملُ أنواعَ التوحيدِ الثلاثةَ؛ وقد سبق تبيينُ ذلك في أول الشرح.

٢- الإيمانُ بالملائكة: وهي: جمع ملَك، وأصله: «مَلْأَك» ثم حُذفت الهمزة، وقيل: أصله «ملك» على ظاهره[2]. والملائكة: خلقٌ من خلق الله في عالم الغيب، خلقهم الله لعبادته وتنفيذِ أوامره في ملكه، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٥٥).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٠٧).

يؤمرون، وهم أصنافٌ؛ كل صِنْف له عمل مُوكَل به:

فمنهم: الموكل بالوحي؛ وهو جبريلُ -عليهِ السلامُ-، أشرفُ الملائكة أجمعين، وهو الرُّوح الأمين.

ومنهم: الموكل بحمل العرش؛ قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [غافر:٧]، وقال -تعالى-: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧].

ومنهم: الموكل بالقَطْر والنبات، وهو ميكائيلُ[١].

ومنهم: الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيلُ، ينفخ في الصور؛ فيَهلِكُ كلُّ شيء[٢].

ومنهم: الموكل بقبض الأرواح عند نهاية آجالها، وهو ملك الموت؛ قال -تعالى-:

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٥٩).

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٤/ ٥٦١).

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، ومعه أعوانٌ من الملائكة؛ قال -تعالى-: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

ومنهم: الموكل بالأجِنَّة في الأرحام؛ قال رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «ثم يبعثُ الله ملكًا فيؤمرُ بأربعِ كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقيٌّ أو سعيد، ثم ينفخُ فيه الرّوحُ»(١).

ومنهم: الموكلون بحفظ أعمال بني آدم؛ قال -تعالى-: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠-١١]، يلازمونهم بالليل والنهار، قال -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «يَتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاةِ الفجر وصلاةِ العصر، ثم يعرجُ الذين باتوا فيكم، فيسألُهم -وهو أعلمُ بهم-: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»(٢)،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥).

أي أنهم يشهدون للمصلين عند الله -عزَّ وجلَّ-، ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨].

وهناك ملائكةٌ يحفظون بني آدم الذين يُحافظون على أذكار الصباح والمساء، وأذكارِ النوم، وغيرها، فيحفظونهم من الشرور والآفات بأمر الله -عزَّ وجلَّ-؛ كما لو نام الإنسانُ في البَرِّيَّة بين السباع والحيَّات والهوامِّ.

وقد قال الله -تعالى- في هؤلاء الملائكةِ الذين سخَّرهم الله -عزَّ وجلَّ- لذلك: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، أي: بأمر الله، فهؤلاء يحفظون بني آدم - بأمره -عزَّ وجلَّ- من المكارهِ والأخطار، إلى أن يحينَ الأجلُ، فإذا حان الأجلُ؛ تخلَّوا عنه، فوقع ما قدَّر الله له؛ من الموت أو الإصابة التي تُفضي إلى الموت.

والملائكة يختلفون في خَلْقهم أيضًا، كما يختلفون في وظائفهم؛ قال الله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ

وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر:١].

ولا يَعلمُ حقيقةَ الملائكة وأصنافَهم وأوصافَهم إلا اللهُ، ولكن يجبُ علينا إثباتُ ما جاء في النصوص القرآنية والأحاديثِ النبوية الصحيحة، كما يجبُ اعتقادُها والإيمانُ بها، وأما ما لم يردْ به نصٌّ صحيح؛ فإننا نُمسكُ عن الخوض فيه؛ لأن هذا من علم الغيب الذي استأثر الله به.

والخلاصةُ: أن الإيمانَ بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان؛ فمَن جحَد وجودَ الملائكة كان كافرًا؛ لأنه لم يؤمن بالغيب، وكذلك الذي يُؤوِّل الملائكةَ ويزعم أنها معانٍ وليست أجسامًا، أو يقول: هي الخواطرُ التي تعرضُ للإنسان وتدفعُه إلى فعل الخير، وأما إن كانت هواجسَ شرٍّ؛ فهي شياطينُ؛ فهذا قولٌ إلحادي، وهو كلامُ الفلاسفة؛ مَن اعتقده فقد كفر[1].

٣- الإيمانُ بالكتب؛ أي: الكتب التي أنزلها الله على الرسل لهداية البشر؛ نؤمنُ

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢١١).

بأنها كلامُ الله حقيقةً، ونؤمنُ بما سمَّى اللهُ منها؛ مثل: التوراة، والإنجيل، والقرآن العظيم، وصحف إبراهيم وموسى، والزبور، كما نؤمنُ بما لم يُسمِّه الله منها.

والإيمانُ بالكتب السابقة يكونُ إيمانًا مجملًا، وأما الإيمانُ بالقرآن فيكونُ إيمانًا مفصَّلًا؛ فنؤمنُ أن كلَّ ما فيه قد أنزله -سبحانه- على نبينا محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ فمَن جحد منه آيةً أو أنكر حرفًا من حروفه؛ فهو كافر مرتدٌّ عن الإسلام[1].

٤- الإيمانُ بالرسل: يجبُ الإيمانُ بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم؛ مَن سمَّى اللهُ منهم، ومَن لم يُسَمِّ؛ نؤمنُ بهم أنهم رسلُ الله حقًّا؛ جاءوا بالرسالة، وبلَّغوها لأُمَمِهم، فمَن كفر برسول واحدٍ فهو كافرٌ بجميع الرسل؛ لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢١٣).

هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٥٠-١٥٢].

وقد قال الله -تعالى-: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، مع أنهم كذبوا نوحًا فقط، إلا أن تكذيبَهم لنوح يُعَدُّ تكذيبًا لبقية المرسلين؛ لأن كلمتَهم واحدة، وكذلك مَن كفر بالنبيِّين: عيسى -عليهِ السلامُ- ونبيِّنا محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- كاليهود، أو كفر بنبيِّنا محمدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- كالنصارى، فإنه يُعَدُّ كافرًا بالجميع.

وقد ذكر الله جملةً من أسماء الرسل، كما في سورة الأنعام، فقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ * وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا

وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦].

وذكر غيرَهم في آيات أخرى، فهؤلاء نؤمنُ بهم تفصيلًا، وأما مَن لم يَذكُرِ الله اسمَه، فنؤمنُ به جملةً.

٥- الإيمانُ باليوم الآخِر: والمراد به يوم القيامة، وسُمي باليوم الآخِر لأنه بعد اليوم الأولِ الذي هو يومُ الدنيا، والإيمانُ باليوم الآخر يشملُ الإيمانَ بما بعد الموت؛ من عذاب القبر ونعيمِه، وسؤالِ الملَكين في القبر، وكلِّ ما يكون بعد القبر، وكذلك يشملُ الإيمانَ بالبعث والنشور، والحشرِ، والحسابِ، ووزنِ الأعمال، والصراطِ، والميزانِ (الذي توزنُ به الحسناتُ والسيئات)، والجنةِ والنار. فكلُّ ما ثبَت أنه يحصلُ في اليوم الآخِر؛ نؤمنُ به جملةً وتفصيلًا، ولا نشُكُّ في شيء منه، فمَن شك في شيء من ذلك فهو كافرٌ مرتد عن الإسلام.

وبعضُ الناس قد يحصلُ له شكٌّ في عذاب القبر أو البعثِ بعد الموت، وذلك

بسبب شبهاتِ أهل الكفر والإلحاد، ولذلك سنفصِّلُ القولَ فيما يتعلقُ بكل منهما؛ ليزولَ الشكُّ عمَّن في قلبه شبهةٌ.

أولا: البعثُ بعد الموت: والأدلة عليه ثابتةٌ شرعًا وعقلًا:

أ- دليلُه من الشرع: قولُه -تعالى-: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

وقد ضرب الله للناس بعضَ الأمثلة الحسيةِ على ثبوت البعث بعد الموت، ومنها ما يلي:

١- بعَث اللهُ قومَ موسى بعدما أماتهم حين قالوا له: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٥٥]، فحلَّت بهم عقوبةٌ من الله؛ وهي قولُه: ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥]، ثم أحياهم الله بعد ذلك كما قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٦].

٢- بعَث اللهُ قتيلَ بني إسرائيل الذي اختصموا فيمَنْ قتَله، فأمرهم الله -تعالى-

أن يذبحوا بقرةً، ويضربوه ببعضها، ليخبرَهم بمَن قتله، فكان كما أمر، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة٧٢:٧٣].

٣- بعَث الله الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ، فرارًا من الموت، بعدما أماتهم؛ قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣].

٤- بعَث الله الذي مرَّ على قرية ميتةٍ، فاستبعد أن يُحيِيَها الله -تعالى-، فأماته الله -تعالى- مائةَ سنة ثم أحياه، قال -تعالى- ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ

طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

٥- في قصة إبراهيمَ الخليلِ -عليهِ السلامُ- حين سأل اللهَ -تعالى- أن يُرِيَه كيف يحيي الموتى، فأمره الله -تعالى- أن يذبحَ أربعةً من الطير، ويفرِّقَهن أجزاءً على الجبال التي حوله، ثم يناديهن، فتلتئم الأجزاءُ بعضُها إلى بعض ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

فكلُّ هذه أمثلةٌ حسِّية واقعية تدلُّ على إمكان الإحياء بعد الإماتة.

ب- الدليلُ من العقل: أشار الله في كتابه العزيز إلى بعض الأدلة العقلية على جواز

البعث بعد الموت في عدة مواضعَ، منها ما يلي:

١ - قال الله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وقال الله -تعالى-: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩].

ووجهُ الدلالة من هذه الآيات: الاستدلالُ بالبَدْء على الإعادة؛ لأن الله -تعالى- هو خالقُ الكون ابتداءً باعترافهم، فإذا ثبَت أنه قادرٌ على ابتداء الخلق، فكيف يعجِزُ عن إعادته؟ ومعلومٌ في الشاهد أن الإعادةَ أهونُ من الابتداء.

٢- قال الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

وجهُ الدلالة من الآية: أن الأرضَ تكونُ ميتةً هامدةً ليس فيها شجرةٌ خضراءُ،

فينزلُ عليها المطرُ؛ فتهتزُّ خضراءَ حيةً، فيها من كل زوج بهيج؛ فالقادرُ على إحيائها بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى.

ثانيًا: عذابُ القبر:

والدليلُ عليه من الشرع: قولُه -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

وكذلك قولُه -تعالى- في شأن فرعون وقومه: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦]؛ فقولُه ﴿غُدُوًّا

وَعَشِيًّا﴾ فيه دليل على عذاب القبر، والمقصودُ: غدوًّا وعشيًّا من أيام الدنيا[١].

وعن ابن عباس قال: مرَّ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بحائط من حِيطان المدينة أو مكةَ، فسمِع صوتَ إنسانَين يُعذَّبان في قبورهما، فقال النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «يُعذبان، وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «بلى، كان أحدُهما لا يستترُ من بوله، وكان الآخَرُ يمشي بالنميمة»[٢]، ثم دعا بجريدة فكسرها كِسْرتين فوضع على كل قبر منهما كسرةً.

٦- الإيمانُ بالقدر خيره وشره: ومعناه: أن تؤمنَ بأن ما يجري في هذا الكون؛ من خير أو شر، ومن كفر وإيمان، ومن نعمة ونقمة، ومن رخاء وشدة، ومن مرض وصحة، ومن حياة وموت؛ كل ذلك مقدَّر، فليس اتفاقًا، وليس أمرًا مستأنَفًا «أي: لم يسبقْ تقديرُه»[٣].

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (٨/ ١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦).

(٣) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢١٦).

ومن الإيمان بالقدر أيضًا: أن تؤمنَ بأن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، وأن كليهما بقضاء الله وقدره؛ قال -تعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

واعلم أن الإيمانَ بالقدر له أربعُ مراتبَ، مَن لم يؤمنْ بها كلِّها؛ فليس مؤمنًا بالقدر[1]:

الأُولى: مرتبة العلم؛ أي أن الله قد علِم كلَّ شيء في الأزل؛ علم ما كان، وما يكونُ إلى ما لا نهاية، فلا يقعُ شيء إلا وقد علِمه الله -عزَّ وجلَّ- بعمله القديم الأزلي، الذي هو موصوفٌ به أزلًا وأبدًا؛ فمَن جحد ذلك؛ فهو كافر. وعلمُ الله السابق متعلقٌ بكل شيء؛ من الكليات والجزئيات؛ من جلائلِ الأمور وتفصيلاتها، وهذا

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٢٩)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٢٠).

العلمُ السابق أشار الله -عزَّ وجلَّ- إليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٧٠]، وبقوله -تعالى- أيضًا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

الثانيةُ: مرتبة الكتابة؛ أي أن الله كتب كلِّ شيء في اللوح المحفوظ؛ فلا يجري شيءٌ مخالفٌ لما هو مكتوب في اللوح المحفوظ؛ قال -تعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، أي: في اللوح المحفوظ الذي كَتب اللهُ فيه مقاديرَ كل شيء؛ فعن عبد الواحد بن سُلَيم قال: قدِمتُ مكةَ، فلَقِيتُ عطاءَ بنَ أبي رباح، فقلتُ له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال: يا بني أتقرأُ القرآنَ؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف، قال: فقرأت: ﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾

[الزخرف:١-٤]، فقال: أتدري ما أمُّ الكتاب؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتابٌ كتبه الله قبل أن يخلقَ السماواتِ، وقبل أن يخلقَ الأرضَ، فيه أن فرعونَ من أهل النار، وفيه ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَب وَتَبَّ﴾ [المسد:١]، قال عطاء: فلقِيتُ الوليدَ بنَ عبادةَ بنِ الصامت صاحبِ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- فسألتُه: ما كان وصيةُ أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي، فقال لي: يا بني، اتقِ الله واعلم أنك لن تتقيَ الله حتى تؤمنَ بالله، وتؤمنَ بالقدر كله؛ خيرِه وشره، فإن مِتَّ على غير هذا دخلتَ النار؛ إني سمعتُ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقولُ: «إن أولَ ما خلَق الله القلم، فقال: اكتبْ، فقال: ما أكتبُ؟ قال: اكتبِ القدرَ؛ ما كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد»[1].

فمَن جحد الكتابةَ، وقال: الله يعلمُ كلَّ شيء، لكنه لم يكتبْ في اللوح المحفوظ شيئًا؛ فإنه كافرٌ مرتد عن دين الإسلام.

---

(١) اخرجه الترمذي (٢١٥٥).

فلا بد أن يؤمنَ العبدُ بأن الله -تعالى- كتَب ما الخلقُ عاملون، وكتب جميعَ أحوالهم قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة، وذلك عنده في اللوح المحفوظ، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَا حَبَّة فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْب وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰب مُّبِين﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال -تعالى-: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣]، يعني: قد سُطِر وكُتب في اللوح المحفوظ، وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وعن عبد الله بن عمرِو بنِ العاصِ: قال سمعتُ رسولَ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقولُ: «كتَب اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنة، قال: وعرشُه على الماء»[1].

الثالثةُ: مرتبة المشيئة؛ أي مشيئة الله النافذة؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأْ لا يكونُ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

فليس ثَمَّ شيءٌ يحدثُ أو يحصلُ في ملكوت الله -تعالى- إلا وقد شاءَه الله -تعالى- وأرادَه كَوْنًا، سواءٌ في ذلك طاعاتُ المطيعين وعصيانُ العاصِين، وسواءٌ في ذلك إيمانُ المؤمنين وكفرُ الكافرين.

وهذه الدرجةُ وما بعدها تكونان مع وقوع المقدَّر؛ فلا يمكنُ أن يعملَ العبدُ شيئًا إلا وقد شاءه الله -تعالى-.

الرابعةُ: مرتبة الخلق والإيجاد، فالله -عزَّ وجلَّ- خالقُ كل شيء؛ من أعمال العباد، وأحوالِهم، والسماواتُ والأرضُ وجميعُ من فيهن، خلَقه الله -تعالى- فإذا أراد العبدُ أن يعملَ شيئًا؛ فإنه لا يكونُ إلا إذا خلقه الله -تعالى-.

فطاعاتُ المطيعين خلقها الله -تعالى-، ومعاصي العاصين خلقها الله -تعالى-؛ فإذا توجَّه العبدُ بإرادته إلى أن يفعلَ شيئًا؛ فإنْ شاءه الله كونًا؛ وقع بعد خلقه له، وإذا لم يشأْهُ -ولو أراده العبدُ- لم يقعْ؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

.....

قولُه: «وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكانِ السِّتَّةِ»؛ لمَّا ذكَر الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هذه الأركانَ، ناسبَ أن يذكرَ الدليلَ عليها من القرآن والسنة، لأن كلَّ مَن أثبت شيئًا من أمور الدين -سواءٌ من العقيدة أو الأحكام الشرعية- فلا بد أن يذكرَ الدليلَ عليه من القرآن أو السنة.

أما الدليلُ من القرآن؛ فقد ذكره الشيخُ هنا، وأما الدليلُ من السنة؛ فسوف يأتي في حديث جبريلَ -عليهِ السلامُ-.

قولُه -تعالى-: ﴿ٱلْبِرَّ﴾، أي: فعل الخير الذي يُقرِّب إلى الله -تعالى- ويُوصل إلى جنته؛ فكلُّ الطاعات داخلةٌ في مسمَّى البر، وطاعةُ الله تكونُ: بامتثال الأوامر، واجتنابِ النواهي.

قولُه -تعالى-: ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾، أي: تتوجَّهوا إلى أي جهة من الجهات، من غير أمرٍ من الله.

قولُه -تعالى-: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فيه دليلٌ على خمسةٍ من أركان الإيمان الستة التي سبق ذكرُها، وسيأتي ذكرُ المصنفِ الدليلَ على الركن السادس.

وفي هذه الآية الكريمة ردٌّ على اليهود الذين استنكروا تحويلَ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرَّفة، وجحودُهم هذا إنما هو من باب العناد والمكابرةِ، والحسدِ للنبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- ولهذه الأمة[1].

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢١٩).

وَدَلِيلُ القَدَرِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]

.....

قولُه: «ودليلُ القَدَرِ»، هذا هو الدليلُ على الركن السادس من أركان الإيمان، ومعنى الآية: أن كلَّ شيء خلقه اللهُ؛ فإنه مُقدَّر في علمه، وفي كتابته، وفي مشيئته -عزَّ وجلَّ-، وليس هو شيئًا عَفْويًّا، أو من قَبِيلِ الاتفاق، وإنما هو أمرٌ مقدر في علم الله، ومكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وسابقٌ في مشيئة الله -سبحانهُ وتعالَى-.

وقد ذكرنا سابقًا مراتبَ الإيمان بالقدر؛ وهي باختصار:

١- علم الله السابق. ٢- الكتابة في اللوح المحفوظ.

٣- مشيئة الله النافذة. ٤- الخلق والإيجاد.

وقد ضلَّ في باب القدر طائفتان من المسلمين[1]:

الطائفةُ الأولى: الجَبْرية؛ وهم الذين قالوا: إن العبدَ مُجْبَر على عمله، وليس له

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٢١٨).

فيه إرادةٌ أو قدرة.

الطائفةُ الثانية: القَدَرية؛ وهم الذين قالوا: إن العبدَ مُستقِلٌّ بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله وقدرته فيه أثرٌ.

والردُّ على الطائفة الأولى (الجبريةِ) من جهتين[1]:

الأولى: الجهةُ الشرعية؛ فإن الله قد أثبت للعبد إرادةً ومشيئة، وأضاف العملَ إليه؛ قال -**تعالى**-: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقال -**تعالى**-: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩]، وقال -**تعالى**-: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ١١٦).

الثانيةُ: الجهةُ العقلية؛ فإن كلَّ إنسان يعلمُ الفرقَ بين أفعاله الاختياريةِ التي يفعلها بإرادته (كالأكل والشرب) وبين ما يقعُ عليه بغير إرادته؛ كالحرارة من الحُمَّى، والسقوطِ من السطح، فهو في الأول فاعلٌ مختار بإرادته من غير جَبْر، وفي الثاني غيرُ مختار ولا مريدٍ لما وقع عليه.

والردُّ على الطائفة الثانية أيضًا من جهتين:

الأولى: الجهة الشرعية؛ فإن الله -**تعالى**- قد بيَّن في كتابه أن أفعال العباد إنما تقعُ بمشيئته؛ قال -**تعالى**-: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال -**تعالى**-: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

الثانية: الجهة العقلية؛ فإن الكونَ كلَّه مملوكٌ لله -تعالى-، والإنسانُ جزءٌ من هذا الكون؛ فهو مملوكٌ لله -تعالى-، ولا يمكنُ أن يتصرَّفَ المملوكُ في مِلك المالكِ إلا بإذنه ومشيئته.

* * *

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

.....

قولُه: «الإحسانُ ركنٌ واحدٌ»؛ الإحسان في اللغة: هو إتقانُ الشيء وإتمامُه، مأخوذ من الحُسْن، وهو خلاف القبح؛ تقول: أحسنَ الرجلُ: أي أتى أمرًا حسنًا، يُحسنُ إحسانًا[1].

وينقسم الإحسانُ شرعًا إلى ثلاثة أقسام[2]:

١ - **إحسان بين العبد وبين ربه**: وهو إتقانُ العمل الذي كلَّف اللهُ به العبدَ، ويحصلُ بأن يأتي العبدُ بالعمل الصالح خالصًا لوجه الله -عزَّ وجلَّ-؛ وهو على مرتبتين:

المرتبةُ الأولى: هي المشاهدة القلبية؛ بأن تعبدَ الله كأنك تراه، ويحصلُ هذا بأن يبلُغَ بك اليقينُ بالله كأنك تشاهدُه عِيانًا؛ ولا يكونُ عندك ترددٌ أو شك، وهي

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٢١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٢١).

أعلى المرتبتين.

المرتبةُ الثانية: هي المراقبةُ؛ بأن تعلم أن الله يراك ويعلمُ حالَك، ويعلمُ ما في نفسك، فلا يليقُ بك أن تعصيَه، وتخالفَ أمره.

٢- **إحسان بين العبد وبين الناس**: وهو بذلُ المعروف لهم، بأن تطعمَ الجائعَ، وتكسوَ العاريَ، وتعينَ المحتاجَ، وتشفعَ لمن يحتاجُ إلى الشفاعة، وتبذلَ جميعَ وجوه المعروف، وتكُفَّ الأذى عن الناس؛ فلا يصدر منك شيء يؤذي أحدًا؛ قال -تعالى-: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

٣- **إحسان بين الإنسان والبهائم**: فقد أمر النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بالإحسان إلى البهائم؛ فعن شدادِ بن أَوْسٍ، قال: ثنتانِ حفِظتُهما عن رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «إن الله كتَب الإحسانَ على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسِنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتم فأحسِنوا الذبحَ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٣]، **وقَوْلُهُ -تَعَالَى-**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ إنه هو السميع العليم﴾ [الشعراء:٢١٧-٢١٩].

.....

ذكر المصنفُ هنا الأدلةَ من القرآن على مرتبة الإحسان؛ وإليك بيانَها:

الدليلُ الأولُ: قولُه -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وفيه إشارةٌ إلى المرتبة الأولى، وهي الإحسان بين العبد وربه؛ فالله -تعالى- مع المحسنين الذين عبدوه كأنهم يرونه، والمعيَّةُ هنا معيةٌ خاصةٌ؛ بمعنى النصرة، والتأييد، والتوفيق، والسَّداد.

الدليلُ الثاني: قولُه -تعالى-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وفيه إشارةٌ إلى المرتبة الثانية، وهي المراقبة.

قولُه: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾، أي: فوِّضْ أمرَك يا محمدُ على الله -عزَّ وجلَّ-.

وقولُه: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، تضمَّن صفتين لله -تعالى-؛ فهو العزيزُ: أي الشديدُ في انتقامه من أعدائه، الرحيمُ: أي بعباده المؤمنين، الرؤوف بهم.

وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾، أي: حين قيامك إلى عبادتك وصلاتك.

وقولُه: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، أي: بين الركوع والرفع منه، والسجودِ؛ فهو -سبحانه- يراك رؤيةً تليقُ بجلاله وعظيم سلطانه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقولُه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أي: يسمعُ الأقوال، ويعلمُ الأفعال.

وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١].

.....

الدليلُ الثالث: قولُه -تعالى-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وفيه إشارة إلى المرتبة الثانية أيضًا، وهي المراقبة.

قولُه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾، هذا خطابٌ للرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وهو عام في جميع الشؤون، من العبادة وغيرها؛ لأن «ما» نافية، وكلمة «شأن» نكرة، والنكرةُ في سياق النفي تفيدُ العمومَ كما هو مقرر في الأصول.

وقولُه: ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾، أي: ومِن الشأنِ الذي تكون فيه: تلاوةُ القرآن.

وقولُه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾، هذا لرسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وأمته.

وقولُه: ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ يعني: خيرًا كان أو شرًّا.

وقولُه: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ فيه دليلٌ واضح وصريح على أن الله -سبحانهُ وتعالَى- شهيدٌ على كل عامل بعمله، وأنه-سبحانهُ وتعالَى- يراه ويعلمُه ويُبصرُه ولا يغيبُ عنه.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رضيَ اللهُ عنهُ- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ...

.....

قولُه: «والدليلُ مِنَ السُّنَّةِ...» إلخ، هذا هو حديثُ جبريلَ المشهورُ، وإليك شرحَه.

قولُه: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلوسٌ عِندَ رَسُولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-»، كان مِن عادةِ الصحابة -رضوانُ الله عليهم- الجلوسُ بين يَدَيْ رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يتلقَّون منه العلمَ، ويسألونه عن الدين، ويستمعون منه الأجوبةَ.

قولُه: «إذ طلَع عَلَينا رَجلٌ، شَديدُ بَياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشَّعَرِ»، أي: ظهر لهم جبريلُ أمينُ الوحي -عليهِ السلامُ- في صورة رجل، ولم يظهرْ بصورة ملَك.

قولُه: «لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفُه منا أحدٌ، حتى جَلَس إلى النَّبِيِّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-»، أي: لا يعرفُه أحدٌ من الحاضرين، ولهذا تعجَّبوا منه؛ إذْ لم يكنْ قادمًا من سفر مثلًا، ولا أحد منهم يعرفُه؛ فجاء فجلس إلى النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- جلوسَ المتعلم إلى معلمِه.

قولُه: «فأسندَ ركبتَيْه إلى ركبتيه، ووضَع كفَّيْه على فخِذيه» أي: وأسند جبريلُ ركبته إلى ركبتيِ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ أي أنه جلس قريبًا منه جدًّا، ووضع يديه على فخِذَيِ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، كما جاء صريحًا في بعض الروايات.

قولُه: «وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ»، ولم يقلْ: يا رسول الله، ولعلَّه فعل ذلك من أجلِ أن يظنَّ الصحابةُ أنه من أهل البادية؛ إذ ليس من عادة الصحابة أن يخاطبوا النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- باسمه المجرد، بل يقولون: «يا رسول الله»، أو «يا نبيَّ الله».

أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ...

.....

قولُه: «أخبِرْني عن الإِسْلَامِ...» إلخ، هذا أحدُ الأدلة من السنة على أركان الإسلام الخمسةِ، التي سبق بيانُها، وهذه الأركانُ إن تحقَّقت تحققَ الإسلامُ بها، وما زاد عليها من الأمور الأخرى، فهي مكملات.

قولُه: «فَقَالَ: صدقتَ، فعجِبْنا له؛ يَسألُه وَيُصَدِّقُه»، هذا تعجبٌ ثانٍ يدل على أنه عالم وليس بجاهل؛ لتصديقه للنبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، إذن؛ فلماذا يسألُ؟ ستأتي الإجابةُ في نهاية الحديث.

قولُه: «فأخبِرْني عَنِ الإِيمانِ...» إلخ؛ هو الدليلُ من السنة على أركان الإيمان

الستةِ، التي سبق بيانُها، ولا يتحققُ إيمانُ العبد إلا بتحقُّقِها جميعًا، وقد ذكرنا سابقًا أن الإسلامَ والإيمانَ إذا ذُكِرا معًا كان لكل واحد منهما معنًى، وإذا افترقا تضمَّن كلٌّ منهما معنى الآخر.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ: قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»...

.....

قولُه: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ»، هذا هو الدليلُ من السنة على مرتبة الإحسان، وقد بينَّا سابقًا أنَّ المحسنَ هو: مَن يعبدُ اللهَ على درجة المشاهدة القلبية واليقين؛ كأنه يراه، وهذا أكملُ المراتب، أو يعبدُه على درجة المراقبة؛ فيعلم أن الله يراه، فيُحسن العمل؛ لأن اللهَ مطلعٌ عليه؛ وهذا هو أدنى مراتبِ الإحسان.

قوله: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»، أي: متى قيامُ الساعة؟ وهذا سؤالٌ لا يَعلمُ أحدٌ الجوابَ عنه إلا الله -سبحانهُ وتعالَى- كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، وقال -تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا

يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، ومن الغيب: وقت قيام الساعة.

قولُه: «مَا المَسؤولُ عَنْهَا بِأعلمَ مِنَ السَّائلِ»، أي: أنا وأنت سواءٌ في هذا؛ لا نعلمُ متى تقومُ الساعة؛ فالله -تعالى- لم يُطْلِعْ أحدًا على وقت قيام الساعة، لا الملائكةَ، ولا الرسلَ، ولا أحدًا من خلقه، بل هذا الأمرُ ممَّا استأثر الله- جل وعلا- بعلمه.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ، قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنا مَلِيًّا؛ فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرَائِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

.....

قولُه: «فَأَخْبِرْنِي عن أَمَارَاتِها»، الأمارات: جمعُ أمارة- بالفتح- وهي العلامة، وأما الإمارة -بالكسر- فهي الوِلاية، والمراد: أخبرني عن العلامات التي تدلُّ على قرب قيامِها؛ فالساعةُ لها أماراتٌ وعلاماتٌ قد بيَّنها الله؛ منها الصغرى، ومنها الكبرى[1].

قولُه: «أَنْ تلدَ الأمةُ ربَّتَها»، الأمةُ: هي المملوكة، وربَّتها: أي سيدتها، والمعنى -والله أعلم- أنه في آخرِ الزمان يكثرُ التسرِّي، أي: يكثُرُ وطءُ الإماء المملوكات؛ فيلدن بناتٍ، فتكون البنتُ الوليدةُ حرةً، وأمُّها أمةً؛ فتكون البنتُ سيدةً لأمها[2].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٣٦).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٣٧).

قولُه: «وأن تَرى الحُفاة»، أي: الذين ليس لهم نعالٌ، بسبب الفقر الشديد.

قولُه: «العُراةَ»، أي: الذين ليس لهم لباس يلبَسونه.

قولُه: «العَالةَ»، أي: الفقراء.

قوله: «رِعاءَ الشَّاءِ» جمع راعٍ، أي: الذين يرْعَون الأغنامَ، ويسكنون البراريَّ والبادية، والمراد بهذه العلامة: أن يستوطنَ هؤلاء المذكورون المدنَ، ويبنون فيها القصورَ، والأبنيةَ الشاهقة.

قولُه: «فلَبِثْنا مَليًّا»، أي وقتًا طويلًا.

قولُه: «هَذَا جِبرائيلُ أتاكم يعلمُكم أمرَ دِينكم» فيه بيانٌ من رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- للسبب من وراء هذه الأسئلة.

وقد دل هذا الحديثُ على فوائدَ عظيمةٍ، نذكر منها ما يلي:

١- أن الدينَ ينقسمُ إلى ثلاثِ مراتبَ؛ هي: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ؛ وكل مرتبة منها أعلى من التي قبلها على ما بيَّنَّاه.

٢- أن التعليم بطريق السؤال والجواب مفيدٌ ونافع؛ لأن هذه الطريقةَ أدعى للانتباه وتلقِّي العلم.

٣- في الحديث دليلٌ على أن مَن سُئل عن شيء لا يدري جوابَه، فعليه أن يقولَ: الله أعلم.

* * *

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

.....

قولُه: «الأصلُ الثالثُ»، أي: من الأصول الثلاثة التي صنَّف الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هذا الكتابَ لبيانها؛ لأنها ممَّا يجبُ على كل مسلم أن يعرفَه، وقد تقدَّم شرحُ الأصلين الأولِ والثاني، مع بيان أدلتِهما.

أما الأصلُ الثالث؛ فهو معرفةُ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، ولا شكَّ أنه أصلٌ عظيم؛ لأنه يتعلقُ بسيرةِ مَن جاءنا بالبيِّنات والهدى، ودراسةُ سيرته والنظرُ فيها من أقوى الدواعي إلى الإيمان به، والاقتداءِ بهديه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

قال أبو محمدِ بنُ حزمٍ الأندلسيُّ -رحمهُ اللهُ-: «مَن أرادَ خَيرَ الآخرة، وحكمةَ الدنيا، وعدلَ السيرة، والاحتواءَ على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاقَ الفضائل بأسْرِها؛ فليَقْتدِ بمحمد رسولِ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، وليستعملْ أخلاقَه وسيرَه ما أمكَنَه، أعاننا الله على الاتِّساءِ به بمَنِّه، آمين»[1].

---

(١) «الأخلاق والسير» لابن حزم (ص٦٧، ٦٨).

وقال أيضًا: «إن سيرةَ محمد -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- لِمَن تدبَّرها، تقتضي تصديقَه ضرورةً، وتشهدُ له بأنه رسولُ الله حقًّا، فلو لم يكنْ له معجزةٌ غيرُ سيرته؛ لكفى»[١].

وقال الإمامُ الربَّاني ابنُ قيمِ الجَوزية -رحمهُ اللهُ-: «وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهَدْي النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، فيجبُ على كل مَن نصَح نفسَه، وأحبَّ نجاتَها وسعادتَها: أن يعرفَ مِن هَدْيه وسيرتِه وشأنِه ما يَخرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخلُ به في عِدادِ أتباعِه وشيعتِه وحزبِه، والناسُ في هذا بين مستقِلٍّ ومستكثرٍ ومحرومٍ، والفضلُ بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»[٢].

وقال شيخُنا الشيخ عبد الرزاق البدر -حفظه الله-: «وسيرتُه -عليه الصلاة والسلام- هي أعطرُ سيرة لأزكى العباد سريرةً؛ فهي سيرةُ إمام المتقين؛ وقدوةِ

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٢/ ٧٣).

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٦٩٧٠).

الناس أجمعين، وسيدِ ولد آدم أجمعين، صلواتُ الله وسلامه عليه، ودراسةُ سيرته -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- هي دراسةُ سيرةِ مَن جعله الله -سبحانهُ وتعالَى- للعباد أُسوةً... وهي تعمِّقُ محبتَه في القلب، وتوسِّعُ مِساحتَها في الفؤاد، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولدِه والناسِ أجمعين»، ولها أثرٌ عظيم على العبد في تحقيق الائتساءِ والاقتداءِ به، صلواتُ الله وسلامه عليه»[1].

(١) «شرح الأرجوزة الميئية» (ص٥٦).

وَهُوَ مُحَمَّدُ...

.....

قرَّر الشيخُ -رحمهُ اللهُ- في هذا الأصل الذي يتعلقُ بسيرة الحبيب -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أمورًا مهمة؛ وهي:

١- معرفةُ اسمه.

٢- معرفةُ نَسَبِه الشريف -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

٣- معرفةُ عمره ومكانِ ولادته.

٤- معرفةُ مكان هجرته.

٥- معرفةُ حياته النبوية.

٦- معرفةُ بماذا كان نبيًّا.

٧- معرفةُ بماذا أُرسِل.

قولُه: «وَهُوَ مُحَمَّدُ»، قال طائفةٌ من أهل العلم: لم يُسَمَّ بهذا الاسم أحدٌ من العرب قبلَه -عليه الصلاة والسلام-، وإنما كانت العربُ تسمي «أحمدَ» وتسمي

«حَمْدًا»، وكل ذلك مشتقٌّ من الحمد؛ رغبة في أن يكونَ المولودُ من ذوي الحمد؛ أي: ممَّن يحمَدُه الناسُ على خصاله.

وقال آخرون: بل العرب تسمَّت بمحمد، لكنه قليل[1].

وهذا الاسمُ هو أشهرُ أسمائه -عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم- وقد ورد ذكرُه في القرآن في أربعةِ مواطنَ، وهي:

أ- ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

ب- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ج- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠].

د- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢].

وله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- أسماءٌ أخرى غيرُ محمد، ثبتت تسميتُه بها في كتاب

---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ١٩٣)، و«الزهر الباسم» للحافظ مغلطاي (١/ ٣٧٦)، و«المورد العذب الهني في الكلام على سيرة الحافظ عبد الغني» لقطب الدين الحلبي (١/ ٢٠).

الله وسنته -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-:

ففي كتاب الله سُمي بأحمد، وقد ذكره الله في قوله في بشارة المسيح -عليهِ السلامُ- به فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

ووردت أسماءٌ أخرى للنبي-عليه الصلاة والسلام- في بعض الأحاديث؛ منها:

حديثُ جبير بن مُطعِم -رضيَ اللهُ عنهُ- قال: قال رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «لي خمسةُ أسماءٍ: أنا محمدٌ، وأحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يحشرُ الناسُ على قدمي، وأنا العاقبُ»[١].

وحديثُ حذيفةَ قال: سمعتُ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقولُ في سكة من سكك المدينة: «أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، والحاشرُ، والمقفِّي، ونبيُّ الرحمة»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٥).

... ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ؛ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

.....

ذكر الشيخُ -رحمهُ اللهُ- هنا نسَبَ النبيِّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ فقال: «ابنُ عبدِ اللهِ بنِ عبد المطّلب بنِ هاشمٍ، وهاشمٌ منْ قُريشٍ»؛ فهو إذنْ من قبيلة قريش التي هي أشرفُ القبائل.

قال: «وقريشٌ من العَربِ، والعربُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والسلامِ»، وبعضُ النسَّابين يرفعون شجرةَ نسبه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- إلى أبينا آدمَ -عليهِ السلامُ-، وهذا من مبالغاتِهم، ولم يثبُتْ في ذلك شيءٌ؛ إنما المتحقِّقُ مِن نسبِه: إلى عَدْنان.

قال الحافظُ ابنُ سيِّدِ الناس اليَعْمُري: «هذا هو الصحيحُ المُجمَعُ عليه في نسبه، وما فوقَ ذلك مختلَفٌ فيه، ولا خلافَ أن عدنانَ مِن ولد إسماعيلَ نبيِّ الله بنِ

إبراهيمَ خليلِ الله -عليهِ السلامُ-، وإنما الخلافُ في عددِ مَن بين عدنانَ وإسماعيلَ من الآباء، فمُقِلٌّ ومُكثر، وكذلك مِن إبراهيم إلى آدم -عليهمَا السلامُ-؛ لا يَعلمُ ذلك على حقيقته إلا الله»[١]، ولذا: كره بعضُ السلف رفعَ نسبه فوقَ عدنان[٢].

والعربُ قسمان[٣]:

١- عربٌ عارِبة: وهم أصلُ العرب الباقية جميعًا، ويُسمَّون القحطانيين، وينتسبون إلى سبأِ بنِ يَشجُبَ بنِ يعربَ بنِ قحطانَ، وقد سكنوا اليمنَ، ثم تفرقوا في نواحي الجزيرة.

٢- عربٌ مستعرِبة: ويُسمَّون العدنانيين، وقد نَشَؤوا في مكة، ومنها تفرقوا في جهات كثيرة من الحجاز وتِهامةَ، وينتهي نسبُهم إلى إسماعيل -عليهِ السلامُ-

(١) «عيون الأثر» لابن سيد الناس اليعمري (١/ ٧٢).

(٢) انظر: «الفصول في سيرة الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-» لأبي الفداء ابن كثير (ص٣٥).

(٣) التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي (١/ ٧).

كما تقدم؛ لأنه لما أصهَرَ إلى قبيلة جُرهُم، كان من نسله عدنانُ الذي تنتسبُ إليه العربُ المستعربة.

والمراد بالعرب هنا: العربُ المستعربة.

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

.....

«وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وسِتُّون سنةً، مِنْهَا أَرْبَعون قَبْلَ النُّبُوَّةِ»، وكانت ولادتُه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بمكةَ عامَ الفيل، في مكان يُقال له: شِعْبُ أبي طالب، بالقرب من الكعبة الشريفة[1].

قال: «وثلاثٌ وعشرونَ نبيًّا رَسولًا»، هذه مدةُ حياته -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في النبوة؛ فقد عاش -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أربعين سنةً قبل النبوة؛ معروفًا بالأمانة، والصدق، والكرم، وتجنُّبِ عبادة الأصنام وشربِ الخمر، فلم يكن يعملُ ما يعملُه أهلُ الجاهلية؛ بل كان -عليه الصلاة والسلام- يخرجُ إلى غار حِراءٍ، ويتعبَّدُ فيه الليالِيَ ذواتِ العدد؛ يعبدُ الله على ملةِ أبيه إبراهيمَ الخليلِ - عليه وعلى نبيِّنا الصلاةُ والسلام - أي: على التوحيد.

---

(١) عيون الأثر (١/ ٣٣).

وقد بعثه الله على رأس الأربعين، فبقِي في مكةَ ثلاثَ عشرةَ سنة؛ يدعو الناسَ إلى التوحيد وتركِ عبادة الأصنام؛ فأوقع المشركون به -عليه الصلاة والسلام- وبأصحابه -رضوانُ الله عليهم- في هذه المدة أنواعًا من الأذى والنَّكال، وقبل الهجرة بثلاث سنوات أُسرِيَ به إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء، وفُرضت عليه الصلواتُ الخمس، فصلى بمكةَ ثلاثَ سنين، فلما تآمرت قريشٌ على قتله، وعلى الفَتْكِ به؛ أذِنَ الله له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إلى المدينة، بعدما لقِيَ الأنصارَ، وبايعَهم بيعةَ العقبة الأولى والثانية؛ فمدةُ عمره في الرسالة: ثلاثٌ وعشرون سنة[1].

وما تحقَّق للنبي - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - من الخير العظيم، والفضلِ الكثير، والجهادِ المبارك، والتمكينِ في الأرض؛ كلُّ ذلك تحقق خلالَ هذه المدةِ الوجيزة، ولا شك أن ذلك من آيات الله -تعالى- ونصرِه لدينه، وتأييدِه لنبيِّه -

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٥٢).

صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -؛ قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

فعلى دُعاةِ الحق السيرُ على نهج هذا الرسول -عليه الصلاة والسلام-، والتزامُ طريقته في الدعوة إلى هذا الدين القويم، والحرصُ على الدعوة إلى التوحيد وتصحيحِ العقائد؛ فبذلك يتحققُ النصرُ المبين، والتمكينُ للمسلمين.

نُبِّئَ بِـ (اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِـ (المُدَّثِّرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

.....

قولُه: «نُبِّئَ...» إلخ، فيه بيانُ أن الله جمع له بين النبوة والرسالة، فكانت نبوتُه: بنزول سورة «اقرأ» عليه، ورسالتُه: بنزول سورة «المدثر» عليه؛ فعن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنها قالت: «أوّلُ ما بدئَ بهِ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- منَ الوحيِ الرّؤيا الصّالحةُ في النّومِ، فكانَ لا يرى رؤيا إلّا جاءتْ مثلَ فلقِ الصّبحِ، ثمَّ حبّبَ إليهِ الخلاءُ، وكانَ يخلو بغارِ حراءٍ، فيتحنّثُ فيه -وهوَ التّعبّدُ- اللّياليَ ذواتِ العددِ قبلَ أنْ ينزعَ إلى أهلهِ، ويتزوّدُ لذلكَ، ثمَّ يرجعُ إلى خديجةَ فيتزوّدُ لمثلها، حتّى جاءهُ الحقُّ وهوَ في غارِ حراءٍ، فجاءهُ الملكُ، فقالَ: «اقرأْ»، قالَ: «ما أنا بقارئٍ»، قالَ: «فأخذني فغطّني حتّى بلغَ منّي الجهدَ، ثمَّ أرسلني»، فقالَ: «اقرأْ»، قلتُ: «ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطّني الثّانيةَ حتّى بلغَ منّي الجهدَ، ثمَّ أرسلني»، فقالَ: «اقرأْ»، فقلتُ: «ما أنا بقارئٍ، فأخذني الثّالثةَ، ثمَّ أرسلني»، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:١-٣].

فرجعَ بها رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يرجفُ فؤادُهُ، فدخلَ على خديجةَ بنتِ خويلدٍ -رضيَ اللهُ عنها-، فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوهُ حتّى ذهبَ عنهُ الرّوعُ، فقالَ لخديجةَ -وأخبرها الخبرَ-: «لقدْ خشيتُ على نفسي»، فقالتْ خديجةُ: كلّا واللهِ ما يخزيكَ اللهُ أبدًا، إنّكَ لتصلُ الرّحمَ، وتحملُ الكلَّ، وتكسبُ المعدومَ، وتقري الضّيفَ، وتعينُ على نوائبِ الحقِّ، فانطلقتْ بهِ خديجةُ حتّى أتتْ بهِ ورقةَ بنَ نوفلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العزّى، ابنَ عمِّ خديجةَ، وكانَ امرأً تنصّرَ في الجاهليّةِ، وكانَ يكتبُ الكتابَ العبرانيَّ، فيكتبُ منَ الإنجيل بالعبرانيّةِ ما شاءَ اللهُ أنْ يكتبَ، وكانَ شيخًا كبيرًا قدْ عميَ، فقالتْ لهُ خديجةُ: يا ابنَ عمِّ، اسمعْ منِ ابنِ أخيكَ، فقالَ لهُ ورقةُ: يا ابنَ أخي، ماذا ترى، فأخبرهُ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- خبرَ ما رأى، فقالَ لهُ ورقةُ: هذا النّاموسُ الّذي نزّلَ اللهُ على موسى -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكونُ حيًّا إذْ يخرجكَ قومكَ، فقالَ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «أومخرجيَّ همْ»، قالَ: نعمْ، لمْ يأتِ

رجلٌ قطُّ بمثلِ ما جئتَ بهِ إلّا عوديَ، وإنْ يدركني يومكَ أنصركَ نصرًا مؤزّرًا، ثمَّ لمْ ينشبْ ورقةُ أنْ توفّيَ، وفترَ الوحيُ»[1].

هذا مبدأُ نبوته -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ فقد نزَل عليه قولُه -تعالى-: «اقْرَأ»، فصار نبيًّا بذلك، ثم نزَل عليه أولُ سورة «المدثر»، فبدأت الرسالةُ، وهذا معنى قولِ الشيخ: «نُبِّئَ بـ «اقرأ»، وأُرسِلَ بـ «المدَّثِّر».

«فائدةٌ» ما الفرقُ بين النبي والرسول؟

لأهل العلم كلامٌ طويلٌ في هذه المسألة، ومِن أجمعِ ما ذُكر في ذلك قولُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمهُ اللهُ-: «فالنبيُّ: هو الذي يُنبئُه الله، وهو يُنبئُ بما أنبأَ الله به، فإن أُرسِل مع ذلك إلى مَن خالفَ أمرَ الله ليبلغَه رسالةً من الله إليه؛ فهو رسولٌ، وأما إذا كان إنما يعملُ بالشريعةِ قبلَه، ولم يُرسَلْ هو إلى أحد يُبلغُه عن الله رسالةً؛ فهو نبيٌّ، وليس برسول»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣).

(٢) «النبوات» (٢/ ٨٥٧).

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

.....

قولُه: «بَعَثَهُ اللهُ بالنِّذارةِ...» إلخ، أي أن الله -سبحانهُ وتعالَى- أرسل نبيَّه لينذرَ الناسَ عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، هذه هي دعوتُه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، وهذا هو الذي يجبُ أن يسيرَ عليه الدعاةُ الصادقون في دعوتهم؛ إنذارُ الناس من الوقوع في الشرك، ودعوتُهم إلى التوحيد أولًا، وبخلاف ذلك لا تكونُ الدعوةُ على منهج الرسول -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

فلا بد من تأصيلِ هذا المنهج أولًا، ثم بعد ذلك يحصلُ البيانُ للأحكام الأخرى؛ لأنه لا يقومُ الدينُ إلا بوجود التوحيد أولًا، فلو أن الناس تركوا الزنا والخمرَ والسرقةَ، واتَّصفوا بكل فضيلة من الأعمال والأخلاق، لكنهم لم يتركوا الشركَ، فلن ينفعَهم ذلك عند الله، أمَّا لو سلِم الإنسانُ من الشرك، ووقَع في الكبائر دون الشرك، فهو مرجوٌّ أن يَغفِرَ الله له برحمته، وقد يُعذَّبُ بقدر ذنوبه، ولكنْ مآلُه إلى الجنة؛ لأنه موحِّد، ففي الحديث عن عائشة -رضيَ اللهُ عنهَا- قالت: «قلتُ: يا

رسول الله، ابنُ جُدْعانَ كان في الجاهلية يصلُ الرحمَ، ويُطعمُ المسكينَ، فهل ذاك نافعُه؟ قال: «لا ينفعُه؛ إنه لم يقُلْ يومًا: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدين»[1].

فابنُ جدعانَ -مع ما كان عليه من أخلاقٍ كريمة، وإحسانٍ للخلق- لم ينفعْه ذلك؛ لأنه لم يوحِّد الله، ولم يعملْ ما عمِل بناءً على أساسِ التوحيد؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١:٧]، **وَمَعْنَى** ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: **يُنذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ،** ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ **أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ،** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ **أَيْ: طَهِّرْ عَمَلَكَ عَنِ الشِّرْكِ،** ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾**؛ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.**

.....

لمَّا ذكَر المصنفُ -رحمهُ اللهُ- أن الله أرسل نبيَّه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- بالنذارةِ عن الشرك، والدعوةِ إلى التوحيد؛ أَتْبَعَ ذلك بذكر الدليلِ كعادته؛ وهو قولُه -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١:٧]، فهذه الآياتُ أولُ ما نَزَل بعد الرسالة؛ فعن يحيى بنِ أبي كثير قال: سألتُ أبا سلمةَ بنَ عبد الرحمن عن أول ما نزَلَ من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، قلتُ: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١]، فقال أبو سلمة: سألتُ جابرَ بنَ عبدِ الله عن ذلك،

وقلتُ له مثلَ ما قلتَ لي، فقال جابرٌ: لا أحدثُك إلا ما حدَّثنا رسولُ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «جاورتُ بحراءٍ، فلمّا قضيتُ جواري هبطتُ، فناديتُ، فنظرتُ عنْ يميني فلمْ أرَ شيئًا، ونظرتُ عنْ شمالي فلمْ أرَ شيئًا، ونظرتُ أمامي فلمْ أرَ شيئًا، ونظرتُ خلفي فلمْ أرَ شيئًا، فرفعتُ رأسي فرأيتُ شيئًا، فأتيتُ خديجةَ، فقلتُ: دثّروني وصبّوا عليَّ ماءً باردًا، قالَ: فدثّروني وصبّوا عليَّ ماءً باردًا، قالَ: فنزلتْ ﴿أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر١:٣]»[1].

وقولُه -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ خطابٌ موجَّه إلى رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، والتدثُّر: التلفُّف، والتغطية.

وقولُه -تعالى-: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: شَمِّرْ عن ساق العزم، وأنذِرِ الناسَ الذين أشركوا بالله، وعبدوا غيرَه؛ أي أنذِرْهم وخوِّفْهم عذابَ الله، وقد فسَّره الشيخُ -رحمهُ اللهُ- بقوله: «يُنِذرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إلى التَّوْحِيدِ»، وبهذا الأمر حصل الإرسال.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٢).

وقوله -تعالى-: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظِّمْ ربَّك بعبادته والرغبةِ إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد، وقد فسَّره الشيخُ بقوله: «أي: عظِّمْه بِالتَّوْحِيدِ».

وقولُه -تعالى-: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: لا تَلْبَسْها على معصية، ولا على غَدْرة، وطهِّرْ أعمالَك من الشرك، فالثيابُ كنايةٌ عن الأعمال؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]، وقد فسَّره الشيخُ -رحمهُ اللهُ- بقوله: «أي: طهِّرْ أعمالَك عَنِ الشِّركِ».

وقولُه -تعالى-: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ فسَّره الشيخُ بقوله: «الرُّجزُ: الأصنام، وهجرُها: تركُها، والبراءةُ منها وأهلِها».

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

.....

قولُه: «أخذَ على هذا عشرَ سنينَ»، أي: ظلَّ النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- عشرَ سنين في مكةَ يدعو الناسَ إلى عبادة الله وحده، ويحذِّرُهم من عبادة الأصنام التي كانوا يعبدونها، ولم يُؤمَرْ بشيء غيرِ ذلك.

فالتوحيدُ شأنُه عظيم، لأنه أساسُ الملة، وأصلُ العقيدة، «وحاجةُ العباد إليه فوقَ كل حاجة، وضرورتُهم إليه فوقَ كل ضرورة؛ لأنه لا حياةَ للقلوب، ولا نعيمَ ولا طمأنينةَ؛ إلا بأن تعرفَ ربَّها ومعبودَها وفاطرَها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكونُ مع ذلك كله أحبَّ إليها مما سواه، ويكونُ سعيُها فيما يقرِّبُها إليه دون غيره من سائر خلقه»[1].

ولكنْ مِن الناس - مع الأسف- مَن يهوِّنُ من شأن التوحيد، ويُسمِّي دعاتَه بـ «الدعاة التقليديِّين»، ولا شك أن هذا دليلٌ على جهلهم بهذا الأصل العظيم، وقلةِ

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ١٠٩).

خبرتهم بمنهج الأنبياء والسلفِ الصالح في الدعوة إلى الله.

قال شيخُنا صالح الفوزان: «فالتوحيدُ هو الأصل والأساس، ولا نجاةَ إلا بوجود التوحيد أولًا، ولذا يجبُ التركيزُ عليه، والعنايةُ به دائمًا وأبدًا، ودعوةُ الناس إليه، وتعليمُ الناس إياه، وأن يُبيَّنَ ما معنى التوحيد، وما معنى الشرك، لا بد أن يعرفَ المسلمُ هذا الأمرَ ويتحقَّقَ منه، ويتفقَّدَ نفسَه؛ حتى لا يقعَ في شيء من الشرك، أو يُخِلَّ بالتوحيد، فلا بد من هذا الأمر، ولا بد أن تقومَ الدعوةُ على هذا الأساس»[1].

والحكمةُ من بعثة النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في مكة: أنها أمُّ القرى؛ أي أصلُها الذي ترجعُ إليه جميعُ القرى؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، فوجب تطهيرُ مكةَ من كل ما يخالفُ الإسلامَ، حتى يصدُرَ منها الدينُ والدعوةُ إلى مشارق الأرض ومغاربِها؛ قال -تعالى-:

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» فضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص٢٥٣).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

.....

قولُه -رحمهُ اللهُ-: «وبعدَ العَشْرِ عُرِج به إلى السَّمَاءِ»، أي: في السنةِ الحاديةَ عشرةَ أُسرِيَ بالنبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ قال -تعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، ثم عُرِج به إلى السماء.

فعن شَرِيكِ بنِ عبدِ الله قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالك يقولُ: «ليلةَ أسريَ برسولِ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- منْ مسجدِ الكعبةِ أنّهُ جاءهُ ثلاثةُ نفرٍ قبلَ أنْ يوحى إليهِ وهوَ نائمٌ في المسجدِ الحرامِ، فقالَ: أوّلُهمْ: أيُّهمْ هوَ، فقالَ أوسطُهمْ: هوَ خيرُهمْ، فقالَ آخرُهمْ: خذوا خيرهمْ، فكانتْ تلكَ اللَّيلةَ فلمْ يرهمْ حتّى أتوهُ ليلةً أخرى فيما يرى قلبُهُ، وتنامُ عينُهُ ولا ينامُ قلبُهُ، وكذلكَ الأنبياءُ تنامُ أعينُهمْ ولا تنامُ قلوبُهمْ، فلمْ يكلّموهُ حتّى احتملوهُ فوضعوهُ عندَ بئرِ زمزمَ، فتولّاهُ منهمْ جبريلُ،

فشقَّ جبريلُ ما بينَ نحرهِ إلى لبّتهِ حتّى فرغَ منْ صدرهِ وجوفهِ، فغسلهُ منْ ماءِ زمزمَ بيدهِ حتّى أنقى جوفهُ، ثمَّ أتيَ بطستٍ منْ ذهبٍ فيه تورٌ منْ ذهبٍ محشوًّا إيمانًا وحكمةً، فحشا بهِ صدرهُ ولغاديدهُ -يعني عروقَ حلقهِ- ثمَّ أطبقهُ، ثمَّ عرجَ بهِ إلى السّماءِ الدّنيا، فضربَ بابًا منْ أبوابها، فناداهُ أهلُ السّماءِ: منْ هذا؟ فقالَ: جبريلُ، قالوا: ومنْ معكَ؟، قالَ: معيَ محمّدٌ، قالَ: وقدْ بعثَ؟ قالَ: نعمْ، قالوا: فمرحبًا بهِ وأهلًا، فيستبشرُ بهِ أهلُ السّماءِ لا يعلمُ أهلُ السّماءِ بما يريدُ اللهُ بهِ في الأرضِ حتّى يعلمهمْ، فوجدَ في السّماءِ الدّنيا آدمَ، فقالَ لهُ جبريلُ: هذا أبوكَ آدمُ فسلّمْ عليهِ، فسلّمَ عليهِ وردَّ عليهِ آدمُ، وقالَ: مرحبًا وأهلًا بابني، نعمَ الابنُ أنتَ، فإذا هوَ في السّماءِ الدّنيا بنهرينِ يطّردانِ، فقالَ: ما هذانِ النّهرانِ يا جبريلُ؟ قالَ: هذا النّيلُ والفراتُ عنصرُهما، ثمَّ مضى بهِ في السّماءِ، فإذا هوَ بنهرٍ آخرَ عليهِ قصرٌ منْ لؤلؤٍ وزبرجدٍ، فضربَ يدهُ، فإذا هوَ مسكٌ أذفرُ، قالَ: ما هذا يا جبريلُ؟ قالَ: هذا الكوثرُ الّذي خبأَ لكَ ربّكَ، ثمَّ عرجَ بهِ إلى السّماءِ الثّانيةِ، فقالتِ الملائكةُ لهُ مثلَ ما قالتْ

لهُ الأولى: منْ هذا؟ قالَ: جبريلُ، قالوا: ومنْ معكَ؟ قالَ محمّدٌ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قالوا: وقدْ بعثَ إليهِ؟ قالَ: نعمْ، قالوا: مرحبًا بهِ وأهلًا، ثمَّ عرجَ بهِ إلى السّماءِ الثّالثةِ، وقالوا لهُ مثلَ ما قالتِ الأولى والثّانيةُ، ثمَّ عرجَ بهِ إلى الرّابعةِ، فقالوا لهُ مثلَ ذلكَ، ثم عرجَ بهِ إلى السّماءِ الخامسةِ، فقالوا مثلَ ذلكَ، ثمَّ عرجَ بهِ إلى السّماءِ السّادسةِ،، فقالوا لهُ مثلَ ذلكَ، ثمَّ عرجَ بهِ إلى السّماءِ السّابعةِ، فقالوا لهُ مثلَ ذلكَ؛ كلُّ سماءٍ فيها أنبياءُ قدْ سمّاهمْ، فأوعيتُ منهمْ إدريسَ في الثّانيةِ، وهارونَ في الرّابعة، وآخرَ في الخامسةِ، لمْ أحفظْ اسمهُ، وإبراهيمَ في السّادسةِ، وموسى في السّابعةِ بتفضيلِ كلامِ اللهُ، فقالَ موسى: ربِّ لمْ أظنَّ أنْ يرفعَ عليَّ أحدٌ، ثمَّ علا بهِ فوقَ ذلكَ بما لا يعلمُهُ إلّا اللهُ، حتّى جاءَ سدرةَ المنتهى، ودنا للجبّارِ ربِّ العزّةِ، فتدلّى، حتّى كانَ منهُ قابَ قوسينِ أوْ أدنى، فأوحى اللهُ فيما أوحى إليهِ: خمسينَ صلاةً على أمّتكَ كلَّ يومٍ وليلةٍ، ثمَّ هبطَ حتّى بلغَ موسى، فاحتبسهُ موسى، فقالَ: يا محمّدُ؛ ماذا عهدَ إليكَ ربّكَ؟ قالَ: عهدَ إليَّ خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ وليلةٍ، قالَ:

إنَّ أمّتكَ لا تستطيعُ ذلكَ، فارجعْ، فليخفّفْ عنكَ ربّكَ وعنهمْ، فالتفتَ النّبيُّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- إلى جبريلَ كأنّهُ يستشيرهُ في ذلكَ، فأشارَ إليهِ جبريلُ: أنْ نعمْ إنْ شئتَ، فعلا بهِ إلى الجبّارِ، فقالَ -وهوَ مكانهُ-: يا ربِّ، خفّفْ عنّا؛ فإنَّ أمّتي لا تستطيعُ هذا، فوضعَ عنهُ عشرَ صلواتٍ، ثمَّ رجعَ إلى موسى، فاحتبسهُ، فلمْ يزلْ يردّدُهُ موسى إلى ربّه حتّى صارتْ إلى خمسِ صلواتٍ، ثمَّ احتبسهُ موسى عندَ الخمسِ، فقالَ: يا محمّدُ، واللهِ لقدْ راودتُ بني إسرائيلَ قومي على أدنى منْ هذا، فضعفوا، فتركوهُ، فأمّتكَ أضعفُ أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجعْ، فليخفّفْ عنكَ ربّكَ، كلَّ ذلكَ يلتفتُ النّبيُّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- إلى جبريلَ ليشيرَ عليهِ، ولا يكرهُ ذلكَ جبريلُ، فرفعهُ عندَ الخامسةِ، فقالَ: يا ربِّ، إنَّ أمّتي ضعفاءُ أجسادُهمْ وقلوبُهم وأسماعُهمْ وأبصارهمْ وأبدانُهمْ، فخفّفْ عنّا، فقالَ الجبَّارُ: يا محمّدُ، قالَ: لبّيكَ وسعديكَ، قالَ: إنّهُ لا يبدّلُ القولُ لديَّ، كما فرضتُهُ عليكَ في أمِّ الكتابِ، قالَ: فكلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالها؛ فهيَ خمسونَ في أمِّ

الكتابِ، وهيَ خمسٌ عليكَ، فرجعَ إلى موسى، فقالَ: كيفَ فعلتَ؟ فقالَ: خفّفَ عنّا؛ أعطانا بكلِّ حسنةٍ عشرَ أمثالها، قالَ موسى: قدْ -واللهِ- راودتُ بني إسرائيلَ على أدنى منْ ذلكَ، فتركوهُ، ارجعْ إلى ربّكَ فليخفّفْ عنكَ أيضًا، قالَ رسولُ اللهِ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: يا موسى، قدْ -واللهِ- استحييتُ منْ ربّي ممّا اختلفتُ إليهِ، قالَ: فاهبطْ باسمِ اللهِ، قالَ: واستيقظَ وهوَ في مسجدِ الحرامِ»[1].

هذه الحوادثُ التي وقعت لنبيِّنا -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في هذه الليلة من الدلائلِ العظيمة على نبوته؛ فقد لقِيَ الأنبياءَ في بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء.

وقد أُسرِيَ به -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- مرةً واحدة؛ برُوحه وجسده، يقظةً لا منامًا، على الصحيح[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧).

(٢) انظر: «انظر المعاد» (٣/ ٤٢)، و«شرح عقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٣٩ - ٣٤٣).

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

.....

قولُه: «وفُرِضَتْ عَلَيه الصَلَواتُ»، أي: في تلك الليلة فُرضت عليه وعلى أمته الصلواتُ الخمس، وكانت أولَ ما فُرضت ركعتين ركعتين، إلا المغربَ؛ فإنها فُرضت ثلاثًا؛ لأنها وترُ النهار، فلمَّا هاجر النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- صارت الصلواتُ رباعيةً، إلا الفجرَ بقِيت ركعتين، كما قالت عائشةُ -رضيَ اللهُ عنهَا-: «فُرضت الصلاةُ ركعتين، ثم هاجر النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- ففُرضت أربعًا، وتُركت صلاةُ السفر على الأُولى»[1].

ونزل عليه جبريلُ -عليهِ السلامُ- فعلَّمه أوقاتَها، قال القرطبي: «ولم يختلفوا في أن جبريلَ -عليهِ السلامُ- هبَط صبيحةَ ليلةِ الإسراء عند الزوال؛ فعلَّم النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- الصلاةَ ومواقيتَها»[2]؛ فعن جابر بنِ عبد الله أن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢١١).

جبريلَ أتى النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يعلِّمُه مواقيتَ الصلاة، فتقدَّم جبريلُ، ورسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- خلفَه، والناسُ خلفَ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، فصلى الظهرَ حين زالت الشمسُ، وأتاه حين كان الظلُّ مثلَ شخصِه، فصنعَ كما صنعَ، فتقدمَ جبريلُ، ورسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- خلفَه، والناسُ خلفَ رسول الله - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - فصلى العصرَ، ثم أتاه حين وجَبَت الشمسُ، فتقدم جبريل ورسولُ الله - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - خلفه، والناسُ خلفَ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- فصلى المغربَ، ثم أتاه حين غابَ الشَّفَقُ، فتقدمَ جبريلُ، ورسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- خلفَه، والناسُ خلفَ رسول الله - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -، فصلى العشاءَ، ثم أتاه حين انشقَّ الفجرُ، فتقدم جبريلُ، ورسولُ الله - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - خلفَه، والناس خلفَ رسول الله - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -، فصلى الغَداةَ، ثم أتاه اليومَ الثانيَ حين كان ظُّل الرجلِ مثلَ شخصِه، فصنع مثلَ ما صنع بالأمس، فصلى الظهرَ، ثم أتاه حين

كان ظلُّ الرجل مثلَ شخصَيْه، فصنعَ كما صنع بالأمس، فصلى العصرَ، ثم أتاه حين وجَبَت الشمسُ، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى المغرب، فنِمْنا ثم قمنا، ثم نمنا ثم قمنا، فأتاه فصنعَ كما صنع بالأمس، فصلى العشاء، ثم أتاه حين امتدَّ الفجرُ، وأصبح والنجومُ باديةٌ مُشتبِكة، فصنع كما صنع بالأمس، فصلى الغداةَ، ثم قال: «ما بينَ هاتينِ الصلاتينِ وقتٌ»[1].

(١) أخرجه النسائي (٥١٣).

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَالهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ.

.....

قولُه: «وبعدَها أُمِر بِالهِجَرْةِ إلى المَدينةِ»، لما اشتدَّ أذَى قريشٍ، وزادَ شرُّهم؛ بالصدِّ عن سبيل الله، ومضايقةِ المسلمين، وتعذيبِ مَن ليس له عشيرةٌ تحميه؛ أُذِن للمسلمين في الهجرة الأولى إلى الحبشة، لأنَّ فيها ملِكًا لا يُظلَم أحدٌ عنده، ثم عادوا وهاجروا مرةً أخرى إلى الحبشة؛ الهجرةَ الثانية، كما هو معروفٌ في السيرة، ثم لقيَ النبيُّ - صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - اثنيْ عشرَ رجلًا من الأنصار في مِنًى في مَوسِم الحج، فدعاهم إلى الله وإلى التوحيد، فقبِلوا منه دعوتَه، وبايعوه على الإسلام بيعةَ العقبة الأولى، ثم رجَعوا إلى قومهم فدَعَوهم إلى الله -عزَّ وجلَّ-، فأتى النبيَّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - في الموسم الذي بعدَه سبعون رجلًا، وبايعوه بيعةَ العقبة الثانية؛ وبعد هذه البيعة المباركةِ أَمَر النبيُّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - مَن كان في مكة مِن المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فهاجر مَن هاجر،

وبقِيَ الرسولُ وبعضُ أصحابه، حتى أذِن الله لنبيه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- في الهجرة إلى المدينة.

قولُه -رحمهُ اللهُ- في تعريف الهجرة: «الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشركِ إِلى بَلَدِ الإسلامِ»، هذا تعريفُها في الشرع، أما في اللغة: فهي المفارقةُ وتركُ الشيء[1].

وبلدُ الشرك: هو الذي تُقامُ فيه شعائرُ الكفر، ولا تقامُ فيه شعائرُ الإسلام على وجه عامٍّ شامل.

وبلدُ الإسلام: هو البلدُ الذي تقامُ فيه شعائرُ الإسلام على وجهٍ عام شامل[2]؛ كالأذان وصلاةِ الجماعة، والأعيادِ والجمعة.

والصلاةُ أهمُّ هذه الشعائر، فإذا كانت الصلاةُ مظهرًا من مظاهر بلدٍ ما؛ فهو بلدُ إسلامٍ، أما إذا كانت الصلاةُ لا يُقيمُها إلا أفرادٌ أو جماعاتٌ متفرقة، وليست من

---

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص٨٣٣) (مادة: هجر).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ العثيمين (ص١٢٩-١٣٠).

مظاهر البلد العامة؛ فلا يُحكَم لهذا البلدِ بأنه بلدُ إسلامٍ، وذلك كالبلاد التي فيها أقلِّيَاتٌ مسلمة، يُقيمون فيها الصلاةَ، ولكنْ على نطاق ضيقٍ في حدودِ مجتمعِهم الذي يعيشون فيه، أو في حدود بيئتهم؛ فلا توجدُ عندهم المآذنُ، ولا يُسمَعُ الأذانُ في الأنحاء، فمثلُ هذا لا يُعَدُّ بلدَ إسلامٍ، فمثلًا: فرنسا فيها أقليات مسلمة، وفيها إقامةٌ للصلاة من قِبَل هؤلاء الذين وصفناهم، ولكن لا تُعَدُّ الصلاةُ مظهرًا من مظاهر البلد؛ فلا يُطلَقُ عليها بلدُ إسلامٍ لهذا الاعتبار.

قال الشيخُ صالح آل الشيخ: «هذا معنى ما قرَّره الشيخ محمد بن إبراهيم - حينما سُئل عن دار الكفر ما هي؟ فقال: دار الكفر: هي الدارُ التي يَظهَرُ فيها الكفرُ، ويكون غالبًا.

إذَنْ؛ إذا ظهر الشركُ في بلدة، وصار ظهورُه غالبًا، معنى ذلك: أن يكونَ منتشرًا ظاهرًا بيِّنًا غالبًا للخير؛ فإنَّ هذه الدارَ تُسمَّى بلدَ شركٍ، هذا باعتبارِ ما وقع؛ وهو الشرك، أما باعتبار أهلِ الدار؛ فهذه مسألةٌ فيها خلافٌ بين أهل العلم...

وقد سُئل شيخُ الإسلام - عن بلدٍ تَظهَر فيها أحكامُ الكفر وتظهرُ فيها أحكامُ الإسلام، فقال: هذه الدارُ لا يُحكَمُ عليها بأنها دارُ كفر، ولا أنها دارُ إسلام، بل يُعامَلُ المسلمُ فيها بحسَبِه، ويُعامَلُ فيها الكافرُ بحسَبِه»[1].

ومناسبةُ ذكر الهجرة ضمنَ الأصولِ الثلاثة التي يجبُ على المسلم معرفتُها: بيانُ أن الهجرةَ من أبرزِ تكاليفِ الولاء والبراء.

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح آل الشيخ (١/ ١٥٩).

وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

.....

بيَّن الشيخُ - حكمَ الهجرة؛ فقال: «الهجرةُ فريضةٌ على هذه الأمةِ»، أي واجبٌ عينيٌّ على كل مَن خاف على دينه، ولا يستطيعُ أن يُقيمَه.

وقولُه -: «من بلدِ الشركِ إلى بلدِ الإسلامِ»؛ هذا فيه بيانٌ من الشيخ - أن الهجرة ليست مطلقةً، وإنما تكونُ من بلد يَظهرُ فيه الشركُ إلى بلد فيه الإسلامُ ظاهر، أو من بلد تَظهرُ فيه البدعةُ إلى بلد فيه السنةُ ظاهرةٌ، كما ذكر أهلُ العلم - رحمهم الله- في أنواع الهجرة والخروجِ من مكان إلى مكان.

وللعلَّامة ابنِ العربي المالكي - تفصيلٌ حسن في ذلك؛ إذ قال: «وهي [أي الهجرة] تنقسمُ إلى ستة أقسامٍ:

الأولُ: الخروجُ من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضًا في أيام النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وهذه الهجرةُ باقية مفروضةٌ إلى يوم القيامة، والتي

انقطعت بالفتح هي القصدُ إلى النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- حيث كان، فمَن أسلم في دار الحرب وجَب عليه الخروجُ إلى دار الإسلام؛ فإن بَقِي فقد عصَى.

الثاني: الخروجُ من أرض البدعة؛ قال ابنُ القاسم: سمعتُ مالكًا يقولُ: لا يحلُّ لأحد أن يُقيمَ ببلد سُبَّ فيها السلفُ، وهذا صحيح، فإن المنكَرَ إذا لم يُقدَرْ على تغييره نُزِلَ عنه؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد كنتُ قلتُ لشيخنا الإمامِ الزاهد أبي بكر الفِهْري: ارحَلْ عن أرض مصرَ إلى بلادك، فيقولُ: لا أحب أن أدخلَ بلادًا غلَب عليها كثرةُ الجهل وقلةُ العقل، فأقولُ له: فارتحلْ إلى مكة، أقمْ في جوار الله وجوار رسوله؛ فقد علمتَ أن الخروجَ عن هذه الأرض فرضٌ، لما فيها من البدعة والحرام، فيقول: وعلى يدي فيها هُدًى كثيرٌ، وإرشادٌ للخلق، وتوحيدٌ، وصَدٌّ عن العقائد السيئة، ودعاءٌ إلى الله -عزَّ وجلَّ وتعالى-.

الثالثُ: الخروجُ عن أرض غلَب عليها الحرامُ؛ فإنَّ طلبَ الحلالِ فرضٌ على كل مسلم.

الرابعُ: الفرار من الإذاية في البدن؛ وذلك فضلٌ من الله -عزَّ وجلَّ- أَرْخَصَ فيه، فإذا خشِيَ المرءُ على نفسه في موضعٍ فقد أذِن الله -سبحانه- له في الخروج عنه، والفرارِ بنفسه؛ ليخلِّصَها من ذلك المحذور.

وأولُ مَن حفِظناه فيه: الخليلُ إبراهيمُ -عليهِ السلامُ- لمَّا خاف من قومه قال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وقال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، وموسى قال -سبحانه- فيه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢١]، وذلك يكثر تَعْدادُه.

الخامسُ: خوفُ المرض في البلاد الوَخِمة، والخروجُ منها إلى الأرض النَّزِهة؛ وقد أذِن النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- للرِّعاء حين استَوْخموا المدينة أن يتنزَّهوا

إلى المَسْرَح، فيكونوا فيه حتى يصِحُّوا، وقد استُثْنِي من ذلك الخروجُ من الطاعون؛ فمنَع الله -سبحانه- منه بالحديث الصحيح عنه النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ بَيْدَ أني رأيتُ علماءَنا قالوا: هو مكروهٌ.

السادسُ: الفرارُ خوفَ الإذاية في المال؛ فإن حرمةَ مالِ المسلم كحرمة دمِه، والأهلُ مثلُه أو آكَدُ»[1].

قولُه: «وَهي باقيةٌ إلى أن تقومَ الساعةُ»، أي أن حكمَ الهجرة باقٍ إلى قيام الساعة؛ أي إلى أن تظهرَ علامةُ الساعة الكبرى؛ فحينئذٍ تنقطعُ الهجرة ولا تنفعُ صاحبَها، كالتوبة[2]، كما في حديث معاويةَ قال: سمعتُ رسولَ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- يقولُ: «لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها»[3].

---

(١) «أحكام القرآن» (١/ ٤٨٤، ٤٨٦).

(٢) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» للشيخ الغنيمان (ص١٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٨٩).

قال شيخُنا صالح الفوزان: «الهجرةُ قرينةُ الجهاد في سبيل الله، وهي فريضةٌ باقيةٌ غيرُ منسوخة، فيجبُ على كل مسلم يحتاجُ إلى الهجرة أن يهاجرَ، ولا يجوزُ للمسلم أن يقيمَ في بلاد الكفر، وهو لا يقدرُ على إظهار دينه»[1].

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص٢٦٦).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧:٩٩]، **وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-:** ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، **قَالَ البَغَوِيُّ -رحمهُ اللهُ-: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.**

.....

استدلَّ الشيخُ - على وجوب الهجرة بآيتين فيهما الوعيدُ لمَن ترك الهجرةَ، وهو يقدرُ عليها، إذا تحقَّقت أسبابُها؛ فمَن لم يهاجرْ حينئذ فمأواه جهنمُ وساءت مصيرًا، ولا يخرجُ من الإسلام بذلك، لكن يكونُ مرتكبًا كبيرةً.

قولُه -تعالى-: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

حِيلَةَ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾ [النساء:٩٨] فيه بيانُ أحوال أصحاب العذر الذين يسقطُ عنهم وجوبُ الهجرة؛ وهي:

١- ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، أي: الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال.

٢- ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةَ﴾، أي: لا يمكنُهم الخروجُ؛ إما لنقصِ مالٍ، أو لضعف.

٣- ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾، أي: لا يعرفون طريقًا للهجرة.

وقولُه -تعالى-: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾، يدلُّ على أن تركَ الهجرة ليس كفرًا، وإنما هو معصيةٌ من المعاصي.

وفي هذه الآية إشارةٌ إلى الهجرة من البلد التي لا يُتمكَّنُ فيها من إظهار الدين، وذلك ببيانِ أن أرضَ الله واسعةٌ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»

.....

هذا الحديثُ لا يُعارِضُ حديثَ ابن عباس أن رسولَ الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «لا هجرةَ بعد الفتح، ولكنْ جهادٌ ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[1]؛ لأن نفيَ الهجرة فيه خاصٌّ بالصحابة بعد فتح مكة؛ لأنها أصبحت دارَ إسلام، وأما هذا الحديثُ فيبيِّنُ أن بابَ الهجرة مفتوحٌ حتى تقومَ الساعةُ؛ فإن الحكمَ باقٍ ببقاء المحكوم عليه.

وأما حكمُ السفر إلى بلاد الكفر؛ فإنه لا يجوزُ إلا بثلاثة شروط[2]:

١- أن يكونَ عند الإنسان علمٌ يدفعُ به الشبهاتِ.

٢- أن يكونَ عنده دينٌ يمنعُه من الشهوات.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ١٣١).

٣- أن يكونَ محتاجًا إلى السفر لأمر ضروريٍّ أو حاجِيٍّ.

فإذا لم تتوفرْ هذه الشروطُ؛ فإنه لا يجوزُ السفرُ إلى تلك البلاد؛ لما في ذلك من الفتنة.

وأما شروطُ الإقامة في بلاد الكفر فقد ذكرها الشيخُ ابنُ عثيمين - فقال:

الشرطُ الأول: أمنُ المقيم على دينه؛ بحيث يكونُ عنده من العلم والإيمانِ وقوةِ العزيمة ما يطمئنُه على الثبات على دينه والحذرِ من الانحراف والزيغ، وأن يكونَ مُضمِرًا لعداوة الكافرين وبغضِهم، مبتعدًا عن موالاتهم ومحبتِهم؛ فإن موالاتَهم ومحبتَهم مما ينافي الإيمانَ بالله؛ قال -تعالى-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية، وقال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥١-٥٢].

الشرطُ الثاني: أن يتمكَّنَ من إظهار دينه بحيث يقومُ بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يُمنَعُ من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه مَن يصلي جماعة ومَن يقيم الجمعة، ولا يُمنَعُ من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكنُ من ذلك لم تجُز الإقامةُ لوجوب الهجرة حينئذ[1].

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ العثيمين (ص١٣١ - ١٣٤).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ، وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ؛ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

.....

قولُه: «فلمَّا استقرَّ بالمدينة أُمِرَ ببقية شرائعِ الإسلامِ...» إلخ، يعني أن النبيَّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- بعد أن أقام بمكَّةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً أُمِر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقرَّ بها، أُمِر ببقية شرائعِ الإسلام؛ مثل: الزكاةِ، والصومِ، والحجِّ، وغيرِ ذلك.

قال الشيخُ ابنُ باز -: «لأن المدينةَ صارت دارَ إسلام، وهي العاصمةُ الأولى للمسلمين، فلهذا أُمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكَّنون حينئذٍ من الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر»[1].

قولُه: «وبعدَها تُوفي...» إلخ، أي بعد أن أكملَ الله -عزَّ وجلَّ- به الدينَ، وأتمَّ

---

(١) انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لابن باز (ص٧٤).

به النعمةَ على المؤمنين، توفَّاه إليه بعد أن أكمل في المدينة عشرَ سنين، واختاره لجِواره ليلحقَ بالرفيق الأعلى؛ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا هُوَ دِينُهُ المُتَضَمِّنُ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَلَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، **وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

.....

قولُه: «ودينُه باقٍ...» إلخ، أي: موجودٌ مؤيَّد محفوظ إلى يوم القيامة، وهو ما تضمَّنه الكتابُ والسنة، وهذا كافٍ لمن تمسَّك به.

قولُه: «بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الناسِ كافةً...» إلخ، أي أن بعثتَه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- عامةٌ شاملةٌ لجميع الناس؛ من العرب والعجمِ؛ الصغارِ والكبار، والذكورِ والإناث، والأحرارِ والعبيد، في جميع الأرض مشارِقِها ومغاربها.

قولُه: «وَأَكملَ اللهُ بِهِ الدينَ...» إلخ، أي أن الشريعة نزلت – كما ذكرنا سابقًا- بالتدريج، حتى اكتملت – ولله الحمدُ- قبلَ وفاة النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ ففُرضت الزكاةُ وفُرض الصومُ في السنة الثانية من الهجرة، وفُرض الحجُّ في السنة التاسعة، ثم أنزل الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، والنبيُّ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ – واقفٌ بعرفةَ في حِجَّةِ الوداع من يوم الجمعة، وبعد نزولها بمدة يسيرة تُوفي النبي – صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ –.

وقد ترك النبيُّ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أمتَه على المحجَّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ، ولم تُقبضْ رُوحُه الشريفة – صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ – إلا بعد أن أكملَ الله الدينَ، وأتم نعمتَه على عباده.

وفي هذه الآية شهادةٌ من الله -عزَّ وجلَّ- على كمالِ هذا الدين، وأنه صالحٌ ومُصلحٌ لكل زمانٍ ومكانٍ وأمةٍ، فالذي يُحدِثُ عباداتٍ بلا دليل من كتاب الله

ولا من سنة رسول الله؛ فإنه متهِمٌ لهذا الدين بعدمِ التمام؛ كأنه يريدُ أن يُكملَ الدينَ من عنده، ولا يعترفُ بتكميل الله له.

فما لم يكُن دينًا في عهد النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- فليس اليومَ بدينٍ، ولا يكونُ مِن بعده دينًا أبدًا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

.....

قولُه: «وَالدليلُ عَلَى مَوتِهِ...» إلخ، يعني أن الله لما أكملَ الدينَ وأتمَّ النعمة؛ تَوَفَّى نبيَّه -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-؛ لأن تلك هي سُنَّةُ الله في خلقه؛ أن كلَّ نفس ذائقةُ الموت، والأنبياء والرسل جميعًا داخلون في هذا العموم.

وقد تُوفي النبي - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - يومَ الاثنين[1]، الثاني عشرَ من شهر ربيعٍ الأول، في السنةِ الحاديةَ عشرةَ من الهجرة، واختاره الله لجواره، فغُسل - صلواتُ الله وسلامه عليه- في ثيابه تكريمًا له، ثم كُفن في ثلاثة أثواب -أي: لفائفَ- بيضٍ سَحُوليَّةٍ، ليس فيها قميصٌ ولا عِمامةٌ[2]، وصلى الناسُ عليه - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - أَرْسَالًا بلا إمام.

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٤٧٩٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٢٦٤) مسلم (٩٤١).

قال الشافعيُّ: «إنما صلَّوا عليه مرة بعد مرة أفذاذًا، لِعظَمِ قدره، ولتنافُسِهم أن يؤمَّهم عليه أحدٌ»[1].

ثم دُفن ليلةَ الأربعاء بعد أن بُويع الخليفةُ أبو بكر من بعده.

فعليه من ربه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم.

(١) انظر: «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص٢٦٧).

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]، **وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧-١٨]، **وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

.....

قولُه: «والناسُ إِذا مَاتُوا...» إلخ، انتقل الشيخُ - إلى أصلٍ آخَرَ؛ وهو: الإيمانُ باليوم الآخِر والبعثِ بعد الموت، وليس المقصودُ هنا الإيمانَ الموت؛ فالكفارُ والملاحدةُ والزنادقةُ كلهم يؤمنون بالموت، لكنهم كفروا بالبعث بعد الموت.

والبعثُ: هو إعادةُ الأجسام التي تفتَّتت وصارت رميمًا وترابًا، وتفرَّقت في الأرض، والقادرُ على إنشائها أولَ مرة قادرٌ على إعادتها؛ قال الله -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۞ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۞ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۞ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٧٧-٨٢].

قال ابنُ كثير: «قال مجاهدٌ، وعكرمةُ، وعروةُ بنُ الزبير، والسّدّيُّ، وقتادةُ: جاء أبيُّ بنُ خلف – لعنه الله- إلى رسول الله -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وفي يده عظم رميمٌ وهو يفتّتُه ويذرّيه في الهواء، وهو يقولُ: يا محمدُ، أتزعمُ أن الله يبعثُ هذا؟ فقال: «نعم، يميتك الله -تعالى- ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار»، ونزلت هذه الآياتُ من آخرِ يس: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧] **إلى آخرِهن.**

وعنِ ابنِ عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- أن العاصيَ بنَ وائل أخذ عظمًا من البطحاء

ففتَّه بيده، ثم قال لرسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: أيُحيِي اللهُ هذا بعد ما أرَى؟ فقال رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «نعم، يُميتُك الله، ثم يُحييك، ثم يُدخلُك جهنمَ»(١).

فالإنسانُ يُبعث بعد الموت والحياةِ البرزخية، وتُنفخُ فيه الرُّوحُ ثانيةً، فيتحركُ ويسيرُ من القبر إلى المحشر، قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣]، وقال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٧-٨]، ومَن أنكرَ البعثَ فهو كافرٌ؛ لأن الإيمانَ بالبعث هو أحدُ أركانِ الإيمان الستة؛ كما جاء في حديثِ جبريلَ المشهورِ.

وأدلةُ البعث من القرآن الكريمِ كثيرةٌ، منها:

١- قولُه -تعالى-: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: في ظهرِ آدمَ -عليهِ السلامُ- حينما

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٩٣).

خلقه الله من الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، أي: بعد الموت إلى الأرض في القبور، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وهذا هو البعث.

٢- قولُه -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، أي: حينما خلق منها آدمَ -عليهِ السلامُ-، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، أي: بعد الموت حين تُدفنون في القبور، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، وهذا هو البعثُ؛ يُخرَجُ الناسُ من القبور، ويسيرون إلى أرض المحشر.

٣- قولُه -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]؛ لأن الذي يقدرُ على إيجاد الناس من عدم؛ قادرٌ على إعادتهم بعد الموت.

وفي القرآن إشاراتٌ إلى بعض الأدلة العقلية والحسِّية على البعث؛ فمن ذلك: ما يُجري الله في الأرض من تغيرات؛ فقد تجدُ الأرضَ صحراءَ لا نباتَ فيها ولا حياة، فإذا أنزل الله عليها المطرَ نبت الزرعُ، ثم تجفُّ وتعودُ كما كانت، ثم يعودُ

المطر، وتعودُ الحياةُ مرة أخرى، وهكذا؛ وفي هذا المعنى يقولُ الله -تعالى-: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

ويُقالُ للذين يُنكرون البعثَ: هل يُعقل أن الله الحكمَ العدل -جلَّ جلالهُ- يتركُ الناسَ هكذا؛ دون أن يجازيَ أهلَ الإيمان بإيمانهم، وأهلَ الإجرام والكفر بإجرامهم وكفرهم؟! هذا أمرٌ غيرُ معقول، ولهذا قال -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

وهذا لا يكونُ إلا يوم القيامة، حينما يُعرَضُ الناسُ على الميزان الذي تُوزن فيه الأعمال، ويُنصَفُ المظلومُ من الظالم، والمقتولُ من القاتل، كما قال -تعالى-: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]،

وقال -تعالى-: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨].

والمسلمون يوم القيامة على أقسام[١]:

الأولُ: مَن يدخلُ الجنةَ بلا حساب ولا عذاب؛ فعن ابن عباس -رضيَ اللهُ عنهمَا- قال: قال رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-: «عرضتْ علىَّ الأممُ، فرأيتُ النّبيَّ ومعهُ الرُّهيطُ، والنّبيَّ ومعهُ الرّجلُ والرّجلانِ، والنّبيَّ ليسَ معهُ أحدٌ، إذْ رفعَ لي سوادٌ عظيمٌ، فظننتُ أنّهمْ أمّتي، فقيلَ لي: هذا موسى -عليهِ السلامُ- وقومُهُ، ولكنِ انظرْ إلى الأفقِ، فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيلَ لي: انظرْ إلى الأفقِ الآخرِ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيلَ لي: هذهِ أمّتكَ، ومعهمْ سبعونَ ألفًا يدخلونَ الجنّةَ بغيرِ حسابٍ، ولا عذابٍ»[٢].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥).

الثاني: مَن يُحاسَبُ حسابًا يسيرًا، وهو العَرْضُ فقط دونما مناقشة؛ قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:٧-٩].

الثالثُ: مَن يُحاسَب حسابَ مناقشة؛ فعن عائشةَ زوجِ النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- أن النبي -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قال: «مَن حُوسب عُذِّب» قالت عائشة: أوَليس يقولُ الله -تعالى-: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨]؟ قالت: فقال: «إنما ذلك العرضُ، ولكن من نوقش الحسابَ يهلك»[(١)].

أما الكفارُ: فقد اختلف العلماءُ فيهم، هل يُحاسَبون أوْ لا[(٢)]؟

فمِن العلماء مَن يقول: إن الكفار لا يُحاسبون، لأنهم ليس لهم حسنات، وإنما يُذهَب بهم إلى النار.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٨٣).

ومن العلماء مَن يقول: إنهم يُحاسَبون حسابَ تقريرٍ، أي: بأعمالهم وكفرهم وإلحادهم، ثم يُذهَب بهم إلى النار.

وأما الميزانُ: فهو الآلةُ التي تُوزَنُ بها أعمالُ العباد؛ توضع الحسناتُ في كِفة، والسيئاتُ في كفة[1]؛ قال -تعالى-: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٢٨٤).

وَمَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ-تَعَالَى-: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ **[التغابن:٧].**

.....

قولُه: «ومَن كذَّب بِالبَعثِ كفَرَ»؛ وذلك: لأن مَن كذَّب بالبعث فقد جحَد ركنًا من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخِر، الذي يتضمَّنُ البعثَ.

واليومُ الآخِر يبدأُ من موت بني آدم، ويمتدُّ إلى الحساب؛ ويشملُ حياةَ البرزخ، والنشور، وما يأتي بعد ذلك من حساب وجنة أو نار، والدليلُ على ذلك قولُه- تعالى-: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، والزعم: الكذب، ﴿أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾؛ فدلت الآيةُ على أن إنكار البعث يُعَدُّ كفرًا.

هذا؛ وقد أمَر اللهُ نبيَّه - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - أن يُقسِمَ به -سبحانه- على البعث في غيرِ ما آيةٍ.

قال-تعالى-: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾، فهذا قسم، ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾، وهذا هو المُقسَم عليه.

وهذه الآيةُ إحدى الآياتِ الثلاث التي أمَر الله نبيَّه فيها أن يُقسمَ على البعث، والآية الثانية: قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣]، والآيةُ الثالثة: قوله-تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ:٣-٤].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ-تَعَالَى-: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

.....

قولُه: «وَأَرسلَ اللهُ جَميعَ الرسلِ...» إلخ، مرَّ بنا أن الإيمانَ بالرسل من أركان الإيمان التي ذُكرت في حديث جبريلَ -عليهِ السلامُ-، والواجبُ الإيمانُ بجميعهم؛ من أولهم إلى آخرهم، فمَن جحد رسولًا واحدًا منهم فهو كافرٌ بالجميع، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

وعددُ الرسل كثيرٌ؛ كما جاء في الحديث؛ فعن أبي أمامة -رضيَ اللهُ عنهُ- أن رجلًا قال: يا رسول الله؛ أنبيًّا كان آدمُ؟ قال: «نعم، مُعلَّم مُكلَّم»، قال: كم بينه وبين نوح؟

قال: «عشر[١] قرون»، قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «عشر قرون»، قالوا: يا رسول الله، كم كانت الرسلُ؟ قال: «ثلاثَمائة وخمسَ عشرةَ جمًّا غفيرًا»[٢].

فالواجبُ الإيمانُ بالرسل جميعًا، سواءٌ مَن ذُكِر اسمُه ومَن لم يُذكَر اسمُه؛ على ما تقدَّم.

---

(١) كذا ورد اللفظ في المستدرك في الموضعين، والجادة (عشرة).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٠٣٩).

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ -عليهِ السلامُ-، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ -عليهِ السلامُ- قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء:١٦٣].

.....

قولُه: «وأولُهم نوحٌ -عليهِ السلامُ-...» إلخ، أي: أول الرسل نوحٌ -عليه الصلاة والسلام-؛ بعثه الله إلى قومه لما غلَوا في الصالحين، وكان الناسُ من قبلُ على دين التوحيد من آدمَ -عليهِ السلامُ- إلى نوحٍ -عليهِ السلامُ- قُرابةَ عشَرةِ قرون، حتى استدرج الشيطانُ الناسَ في ذلك الزمان إلى الشرك؛ خطوة خطوة، فكانت الخطوةُ الأولى هي نحتَ تماثيلَ على صُوَر رجال كانوا معروفين بالصلاح في ذلك الوقت، وزيَّن لهم الشيطانُ أن النظر إلى هذه التماثيل يُنشطُهم للعبادة، وذلك حين يتذكرون هؤلاء الرجالَ الصالحين، وسمَّوا كلَّ صنم باسم رجل من أولئك الصالحين، وهذه الأسماءُ مذكورة في القرآن؛ قال -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣]،

ولم يُخالطْ هذه الخطوةَ الأولى تعظيمٌ لتلك الأصنام أو شركٌ، وبعد انقراض الجيل الأول، أصبح عند الجيل الذي تلاه نوعُ تعظيمٍ لم يكن عند الجيل الأول، ثم زاد هذا التعظيمُ جيلًا بعد جيل؛ حتى عُبِدت تلك الأصنامُ من دون الله، واتخذوها آلهةً.

وقد نقل ذلك البخاريُّ في صحيحه بسنده عن ابن عباسٍ -رضيَ اللهُ عنهمَا- قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ؛ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا؛ مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ-تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، **وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ، قَالَ ابْنُ القَيِّمِ-رحمهُ اللهُ تَعَالَى-: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ؛ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ»، وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ.**

.....

قولُه: «وكلُّ أمةٍ بعَث اللهُ إليها رسولًا...» إلخ، أي أن الله -عزَّ وجلَّ- لم يدَعْ أمةً من الأمم إلا وقد بعَث لها رسولًا يقيمُ الحُجةَ عليها؛ لئلا يكونَ لها عليه حُجةٌ بعد الرسل، قال-تعالى-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء:١٥]، وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

وكانت دعوةُ الرسل جميعِهم من أولهم إلى آخرهم؛ هي التوحيدَ، قال-تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال-تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولا﴾، وكلُّ ما يُعبد من

دون الله فهو طاغوتٌ، فمعنى قولِه: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، أي: اجتنبوا عبادةَ الأوثانِ والقبورِ، وغيرِها من الطواغيت.

فالله -سبحانهُ وتعالَى- خلق الخلقَ من أجلِ إفرادِه وحدَه بالعبادة -سبحانه- لا شريكَ له، والكفرِ بالطاغوت؛ قال-تعالى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقد ذكر اللهُ الطاغوتَ في آيات كثيرة؛ منها: قولُه-تعالى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٦-٢٥٧]، وقولُه-تعالى-: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلا﴾ [النساء:٥١]، وقولُه-تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

والطاغوتُ في اللغة: مأخوذٌ من الطغيان، أي: مجاوزة الحد[1]؛ يُقال: طغى الماءُ؛ إذا ارتفع، قال-تعالى-: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]، وأما الطاغوتُ في الشرع فهو كما قال ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ- ونقله عنه الشيخُ هنا: «ما تَجاوزَ به العبدُ حدَّه؛ مِنْ مَعبودٍ، أو مَتبوعٍ، أو مُطاع»، وهذا التعريفُ جامعٌ شامل؛ لأن الله قد حدَّ للعبد حدودًا، عليه أن يقفَ عندها، وأمرَ بعبادته وحده لا شريك له، وأمر باتباع رسوله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-؛ فمَن تجاوز هذا الأمرَ فلا شك أنه قد طغَى وتجاوزَ الحدَّ.

وعليه؛ فالذي يعبدُه الناسُ وهو راضٍ بعبادتهم له؛ فهو طاغوتٌ، مثلُ فرعونَ،

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٤١٢).

والنُّمرودِ، وكذلك مشايخُ الطرق الصوفية الغُلاةُ الذين يعبدهم أتباعُهم، ويرضَون بذلك.

وقد أمر الله-تعالى- جميعَ الخلق أن يتبعوا محمدًا - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -؛ فلا يجوزُ لأحد أن يتبعَ غيرَه في مخالفته - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -، ومن اتبع غيرَه في مخالفته - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ - فهو طاغوتٌ.

ومن الأمثلة على ذلك: ما يقولُه بعضُ الصوفية أنهم يَسَعُهم الخروجُ عن الشريعة الإسلامية، ولا تلزمُهم متابعةُ النبي - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -؛ لأنهم يزعمون الأخذَ والتلقيَ عن المصدر الذي أخذ منه الرسولُ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -؛ أي: عن الله مباشرة؛ فبلغ بهم الطغيانُ إلى هذا الحدِّ، فلا شك أن هؤلاء هم رؤوسُ الطواغيت؛ لأنه لا طريقَ إلى الله-تعالى- إلا باتباع رسوله - صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ -؛ قال-تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢].

وكذلك بعضُ متعصِّبة المذاهب الفقهية تُتلى عليه آياتٌ وأحاديثُ مخالفةٌ لمذهبه، فيقول: المذهبُ على خلافه! بل وصل الحالُ ببعضهم إلى أن قال ما حكاه العلَّامةُ الفقيهُ محمد سفر المدني في أرجوزة «رسالة الهدى»:

وقال بعضٌ: (لو أَتَتْنِي مائةُ مِنَ الأحاديثِ رَوَاها الثقةُ
وجاءني قولٌ عن الإمامِ قدَّمتُه)، فانظُرْ لذا الكلامِ[1]

وهذا كلام قبيح ولا شك؛ نسألُ الله السلامة! ولذا بوَّب الشيخ في «كتاب التوحيد» بقوله: «بابُ مَن أطاع العلماءَ والأمراءَ في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليلِ ما حرم الله؛ فقد اتخذهم أربابًا من دون الله»[2]، وهذا من أعظم الأبواب والتراجمِ التي تضمَّنها «كتابُ التوحيد».

فالطاعةُ المطلقةُ لا تكونُ إلا لله ولرسوله؛ لأن الحلالَ ما أحلَّه الله، والحرامَ ما

---

(١) «رسالة الهدى في الاتباع للنبي المقتدى -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-» لمحمد سعيد سفر المدني، (ص ٥٥).

(٢) كتاب التوحيد، باب ٣٧، (ص ١٠٢).

حرَّمه الله، وليس لأحد أن يشاركَ اللهَ في التحليل والتحريم، ولذلك حكَم اللهُ على مَن حلل وحرم، أو أطاع مَن فعل ذلك، بأنه مشركٌ؛ قال-تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقال-تعالى-: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ۞ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ۞ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١١٨-١٢١].

وعليه؛ فلا يجوزُ لأحد أن يحللَ أو يحرمَ من قِبَل نفسه، أو أن يطيعَ مَن حلل أو حرم من قِبَل نفسه، فمَن فعل ذلك فإنه طاغوتٌ، أو مطيعٌ للطواغيت الذين

يحللون ويحرمون من دون الله، وهذا معنى قولِ ابن القيِّم: «أَو مُطاعٍ».

«**فائدةٌ**» قال الشيخُ ابن عثيمين: «الأمراءُ يُطاعون شرعًا إذا أمَروا بما لا يُخالِفُ أمرَ الله ورسوله، وفي هذه الحال لا يَصدُق عليهم أنهم طواغيتُ، والواجبُ لهم على الرعية السمعُ والطاعة، وطاعتُهم لوُلاةِ الأمر- في هذا الحال بهذا القيد- طاعةٌ لله -عزَّ وجلَّ... لأن الله-تعالى- يقولُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [النساء:٥٩]»[1].

وقال أيضًا: «والناسُ مع حُكَّامهم على أربعة أحوال:

الأُولى: أن يَقوَى الوازعُ الإيماني والرادعُ السلطاني، وهذه أكملُ الأحوال وأعلاها.

الثانيةُ: أن يضعفَ الوازعُ الإيماني والرادعُ السلطاني، وهذه أدنى الأحوال وأخطرُها على المجتمع؛ سواءٌ على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعُف الوازعُ

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٩٩).

الإيماني والرادعُ السلطاني حصَلت الفوضى الفكرية، والخلقية، والعملية.

الثالثةُ: أن يضعفَ الوازعُ الإيماني ويقوى الرادعُ السلطاني؛ وهذه مرتبةٌ وسطى؛ لأنه إذا قوِيَ الرادعُ السلطاني كان أصلحَ للأمة في المظهر، فإذا اختفت قوةُ السلطان فلا تسألْ عن حال الأمة وسوءِ عملها.

الرابعةُ: أن يقوى الوازعُ الإيماني ويضعفَ الرادع السلطاني، فيكون المظهرُ أدنى منه في الحال الثالثة، لكنه فيما بين الإنسان وربه أكملُ وأعلى»[1].

(١) «شرح ثلاثة الأصول» لفضيلة الشيخ صالح العثيمين (ص ١٥١- ١٥٢).

وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ.

.....

قولُه: «وَرؤوسُهم خمسةٌ»، أي أن كبارَ الطواغيت- بحسَبِ التعريف الذي ذكره ابنُ القيَّم -رحمهُ اللهُ- هم خمسة:

الأولُ: «إبليسُ لَعَنَهُ اللهُ»، وسُمي بذلك لأنه أبلَس من الرحمة، أي: يئس منها؛ فالمُبلِس: هو اليائسُ من الشيء، وإبليسُ لما امتنع من السجود لآدمَ، وعصى اللهَ، وتكبَّر، وقال: ﴿أَنَا۟ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّار وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِين﴾ [الأعراف:١٢]؛ عاقبه الله بالطرد والإبعادِ من رحمته -سبحانه- والحرمانِ من نعمته.

وإنما كان إبليسُ رأسَ الطواغيت؛ لأنه هو الذي يأمرُ بعبادة غير الله، وهو الذي يأمرُ باتباع غيرِ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-.

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ.

.....

الثاني: «مَنْ عُبِد وهو راضٍ»، أي: وهو راضٍ عن صرف هذه العبادةِ له من دون الله، وأما مَن عُبد وهو غيرُ راضٍ عن ذلك؛ فليس بطاغوت، فعيسى -عليهِ السلامُ- عُبد من دون الله، ولكنه غيرُ راضٍ؛ قال-تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧].

الثالثُ: «مَن دعا الناسَ إلى عبادةِ نفسهِ»، وهذا مثلُ فرعونَ الذي دعا الناسَ إلى عبادته، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ومثلُ النُّمرود، ومثلُ غُلاة

الصوفية الذين يدْعون الناسَ إلى عبادتهم؛ حتى إنهم يُوصون الناسَ أن يعبدوهم بعدما يموتون؛ فكلُّ هؤلاء طواغيتُ.

الرابعُ: «مَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلْم الغَيْبِ»، ويدخل في هذا: السَّحَرةُ، والمنجِّمون، والكُهَّان، وغيرُهم ممَّن يدَّعي علمَ الغيب؛ فهؤلاء كلهم طواغيت؛ لأنه لا يَعلَمُ الغيبَ إلا الله وحده؛ كما قال-تعالى-: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، أو مَن أطلعه اللهُ «من رسله» على شيء من الغيب؛ لأجل مصلحة البشر، أو آيةٍ لرسول؛ قال-تعالى-: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، فمَن ادعى علمَ الغيب فقد جعل نفسَه شريكًا لله فيما اختص به -سبحانه-، فيكون طاغوتًا، وهذا من أعظم أنواع الردةِ عن الإسلام.

واعلمْ- رحمك الله- أن الغيبَ يُطلقُ على كلِّ ما غابَ عن الإنسان، وهو نوعان[1]:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ١٧٠).

النوعُ الأول: غيبٌ نسبي؛ كالأمور الواقعة التي تكون معلومةً لشخص، ومجهولةً لآخر.

النوعُ الثاني: غيبٌ حقيقي؛ كالأمور المستقبَلة، وهذا لا يعلمُه أحدٌ إلا الله وحده، أو مَن أطلعه اللهُ عليه من الرسل، فمَن ادعى علمَه فهو كافرٌ؛ لأنه مكذِّب لله -عزَّ وجلَّ- ولرسوله.

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

.....

الخامسُ من الطواغيت: ما ذكره المصنفُ في قوله: «ومَن حكَم بغيرِ ما أَنزَل الله»؛ فالحكمُ بما أنزل الله -تعالى- يدخلُ في توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذٌ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته وكمالِ مُلكِه وتصرُّفِه، ولهذا سمَّى الله -تعالى- المتبوعِين في غير ما أنزل الله -تعالى-أربابًا لتابعيهم، قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا * وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟

ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۞ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٠-٦٥].

وقد اشتملت هذه الآياتُ على ذكر ما عمِله المنافقون، وإليك تفصيلَه:

١- يريدون أن يكون التحاكمُ إلى الطاغوت.

٢- إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسولِ؛ صَدُّوا، وأعرضوا.

٣- إذا أُصيبوا بمصيبة بما قدَّمت أيديهم، جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسانَ والتوفيقَ، كحالِ مَن يرفضُ اليومَ أحكامَ الإسلام، ويحكمُ بالقوانينِ المخالِفة لها؛ زعمًا منه أن ذلك هو الإحسانُ الموافقُ لأحوال العصر.

وفي هذه الآيات أقسم الله-تعالى- بربوبيته لرسوله مؤكِّدًا أنه لا يَصلحُ الإيمانُ إلا بثلاثة أمور:

الأولُ: أن يكونَ التحاكمُ في كل نزاع إلى رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-.

الثاني: أن تنشرحَ الصدورُ بحكمه، ولا يكونَ في النفس حرجٌ أو ضيق.

الثالثُ: أن يحصلَ التسليمُ بقبول ما حكم به، وتنفيذِه بغير تَوانٍ أو انحراف.

وأما الذين يحكمون بغير ما أنزل الله؛ فهم على أقسام[1]:

١- مَن لم يحكمْ بما أنزل الله استخفافًا بحكمه، أو اعتقادًا أنَّ غيرَه أصلحُ منه؛ فهذا كافرٌ كفرًا مخرجًا من الملة.

٢- مَن لم يحكمْ بما أنزل الله من غير استخفاف أو اعتقادٍ أن غيرَه أصلحُ منه؛ فهذا ظالم وليس بكافر، وتختلف مراتبُ ظلمه بحسَبِ المحكوم به ووسائلِ الحكم.

٣- مَن لم يحكم بما أنزل الله، لا استخفافًا بحكم الله ولا اعتقادًا أن غيرَه أصلحُ منه، وإنما حكم بذلك محاباةً للمحكوم له، أو مراعاةً لِرشوة أو غيرِها من عَرَض الدنيا؛ فهذا فاسقٌ، وليس بكافر، وتختلفُ مراتبُ فسقه بحسَبِ المحكوم به ووسائلِ الحكم.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ١٥٨).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُه-تَعَالَى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، **وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ...**

.....

قولُه-تعالى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ...﴾ الآية، هذا هو معنى «لا إله إلا الله».

وفي الحديث: «رَأسُ الأمرِ الإسلامُ[1]»، أي: لا يُكرَهُ أحدٌ على الدخول في الإسلام؛ لأن الدخولَ في الإسلام لا بد أن يكون عن اقتناعٍ واعتقادٍ بالقلب، والإسلامُ- ولله الحمدُ- ليس فيه ما يُكره، بل كله محبوب ومرغوب فيه، والكفرُ كلُّه شر، وكله مكروه، وقد تبيَّن هذا من هذا، وتميَّز الرشدُ- وهو: الحق- من الغَيِّ- وهو: الباطل-، والإنسانُ عنده عقل وفكرٌ يوازنُ به بين الحق والباطل.

وقولُه-تعالى-: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، قُدم فيه الكفرُ

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٢٦١٦).

بالطاغوت على الإيمان بالله، وهذا على قاعدةِ: التخلية قبل التحلية؛ لأن الإيمانَ بالله لا ينفعُ إلا بعد الكفر بالطاغوت، فمَن آمن بالله ولم يكفرْ بالطاغوت لم ينفعْه إيمانُه؛ قال-تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

قولُه: «رَأسُ الأمرِ الإسلامُ»؛ تقدم أن الإسلامَ هو الاستسلامُ لله بالتوحيد، والانقيادُ له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هذا هو رأسُ أمر الدين، والشهادتان هما رأسُ الإسلام وأصلُه، فلا يدخل الإنسانُ في الإسلام إلا إذا أتى بهما نطقًا، وعلمًا، وعملًا، واعتقادًا.

وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

.....

قولُه: «وَعَمُودُه الصَّلَاة...» إلخ، أي أن الصلاةَ هي عمودُ الإسلام الذي يقومُ عليه، وبغيره لا يقومُ.

«وذِروةُ سَنَامِه الجهادُ في سَبيلِ اللهِ» أي: والجهادُ في سبيل الله ذِروةُ سنام الإسلام؛ لأنه دليلٌ على قوة هذا الدين، ولا يتحققُ الجهادُ إلا بوجود قوة الإيمان، والقوةِ المادية؛ قال-تعالى-: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

وختَم المصنفُ الرسالةَ بقوله «واللهُ أعْلَمُ، وصلَّى الله عَلَى محمدٍ وعَلَى آله وصَحْبه، وسلَّم».

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي «المتوفى: ٥٤٣هـ»، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢- الأخلاق والسير، المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد الأندلسي «المتوفى: ٤٥٦هـ»، المحقق: عادل أبو المعاطي، الناشر: دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة: الأولى، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، المؤلف: عياض بن نامي بن عوض السلمي، الناشر: دار التدمرية، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٥- إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجَوزية «المتوفى: ٧٥١هـ»، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٧- إفادة المسؤول عن ثلاثة الأصول، تأليف فضيلة الشيخ: عبد الله بن صالح القصير، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨- اقتضاء العلم العمل، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الخطيب البغدادي «المتوفى: ٤٦٣هـ»، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٩- ألفية ابن مالك، المؤلف: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون.

١٠- أوثق عرى الإيمان، من كتاب «مجموع الرسائل»، تأليف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب، تحقيق: د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان.

١١- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن

المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني «المتوفى: ٨٤٠هـ»، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢- الإيمان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٣- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١٤- بدائع الفوائد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجَوزية، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

١٥- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٦- بيان المعاني في شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني -رحمهُ اللهُ تعالى- «المتوفى: ٣٨٦هـ»، شرح الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، اعتنى بهذا الشرح وأعده للنشر: فهد بن إبراهيم الفعيم، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

١٧- البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ «المتوفى: ٢٥٥هـ»، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام ١٤٢٣هـ.

١٨- تجريد التوحيد المفيد، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي «المتوفى: ٨٤٥هـ»، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

١٩- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى:

٨٨٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٢١- التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: مطابع أضواء المنتدى.

٢٢- تصحيح الفصيح وشرحه، المؤلف: أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (المتوفى: ٣٤٧هـ)، المحقق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٣- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء

بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٤- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٥- تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي «المتوفى: ٧٧٤هـ»، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون-

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٧- التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٨- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٩- تقريب التدمرية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودسة، الدمام، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٠- التمهيد في أصول الفقه، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)،

الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (٣٧)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٣١- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢- التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، المؤلف: إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الطعبة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧مـ.

٣٣- تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي «المتوفى: ٦٧٦هـ»، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣٤- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء

التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب «المتوفى: ١٢٣٣هـ»، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي «المتوفى: ١٣٧٦هـ»، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٧- تيسيرُ علم أصول الفقه، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٨- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري «المتوفى: ٣١٠هـ»، المحقق:

أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة، الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٩- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي «المتوفى: ٧٩٥هـ»، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٠- الجامع الكبير «سنن الترمذي»، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، «المتوفى: ٢٧٩هـ»، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

٤١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد

عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- وسننه وأيامه «صحيح البخاري»، المؤلف: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة «مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي».

٤٣- جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي «المتوفى: ٤٦٣هـ»، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٤٤- الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي «المتوفى: ٦٧١هـ»، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة.

٤٥- الجنى الداني في حروف المعاني، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٦- حاشية «الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهَّاب»، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي «المتوفى: ١٣٩٢هـ»، الناشر: دار الزاحم.

٤٧- حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، المؤلف: عبد الله بن صالح الفوزان، الناشر: مكتبة الرشد.

٤٨- حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، المؤلف: عبد الله بن صالح الفوزان، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني «المتوفى: ٤٣٠هـ»، الناشر: السعادة بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة

دُور؛ منها: ١- دار الكتاب العربي- بيروت، ٢- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ٣- دار الكتب العلمية- بيروت «طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق».

٥٠- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تأليف: علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب إلى عصرنا هذا، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٢- الرد على الزنادقة والجهمية، المؤلف: أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، المحقق: محمد حسن راشد، الناشر: المطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٥٣- الرسائل الشخصية، المؤلف: محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان «المتوفى: ١٢٠٦هـ»، دراسة وتحقيق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن صالح العليقي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالَقي، «المتوفى: ٧٠٢هـ»، تحقيق: أ.د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم بدمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجَوزية «المتوفى: ٧٥١هـ»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية- بيروت- الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥٦- الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني «المتوفى: ٢٤١هـ»، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين،

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٥٧- الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- لعلاء الدين مغلطاي رحمهُ اللهُ، طبعة: دار السلام، تحقيق وتعليق: أحسن عبد الشكور.

٥٨- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الشرك، المؤلف: الشيخ: حمد بن علي بن عتيق، ١٢٢٧م/ ١٣٠١هـ.

٥٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني «المتوفى: ١٤٢٠هـ»، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى «لمكتبة المعارف»، عام النشر: جـ ١- ٤: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٠- سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني «المتوفى: ٢٧٣هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

٦١- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني «المتوفى: ٢٧٥هـ»، المحقق: شعيب الأرناؤوط- محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية.

٦٢- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:، أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٦٣- السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي «المتوفى: ٤٥٨هـ»، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٦٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر

للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦٥- شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية، المؤلف: العلَّامة ابن أبي العز الحنفي، شرح الشيخ العلَّامة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٦٦- شرح الأصول الثلاثة، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٧- شرح الأصول الثلاثة، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٦٨- شرح الرسالة التدمرية، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٩- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: ابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٣٩١هـ.

٧٠- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي

(المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧١- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٧٢- شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.

٧٣- شرح ثلاثة الأصول، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز «المتوفى: ١٤٢٠هـ»، المحقق: علي بن صالح بن عبد الهادي المري، وأحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المسير.

٧٤- شرح ثلاثة الأصول، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين

(المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٧٥- شرح ثلاثة الأصول، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين «المتوفى: ١٤٢١هـ»، الناشر: دار الثريا للنشر.

٧٦- شرح ثلاثة الأصول، شرحها: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق وعناية: عادل مرسي رفاعي، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

٧٧- شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين «المتوفى: ٧١٦هـ»، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: -، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٨٠- الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري «المتوفى: ٣٩٣هـ»، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت.

٨١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي

«المتوفى: ٣٥٤هـ»، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨٣- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني «المتوفى: ١٤٢٠هـ»، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٨٤- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٥- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، المؤلف: القاضي/ حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، مكتبة

المحامي: أحمد بن محمد المهدي.

٨٦- طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجَوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيِّم- الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤ م.

٨٧- عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٨٨- العدة في أصول الفقه، المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٩- عنوان المجد في تاريخ نجد، المؤلف: عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحلبي العائد في أصوله إلى قبيلة بني زيد النجدية، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، الطبعة: الرابعة،

الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

٩٠- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/ ١٩٩٣..

٩١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح «المتوفى: ٧٣٤هـ»، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم- بيروت.

٩٢- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ «المتوفى: ١٣٨٩هـ»، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٩٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر

أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٩٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلَّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٩٥- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٩٦- الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن

سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٩٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري «المتوفى: ٤٥٦هـ»، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة.

٩٨- الفصول في السيرة، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي «المتوفى: ٧٧٤هـ»، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن.

٩٩- فقه الأسماء الحسنى، تأليف الشيخ: عبد الرازق بن عبد المحسن البدر، دار التوحيد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٠٠- الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الخطيب البغدادي «المتوفى: ٤٦٣هـ»، المحقق: أبو عبد الرحمن

عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

١٠١- فوائد قرآنية، تأليف الشيخ العلَّامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

١٠٢- الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجَوزية «المتوفى: ٧٥١هـ»، تحقيق: ماهر منصور عبد الرزاق وكمال علي الجمل.

١٠٣- القصيدة النونية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجَوزية «المتوفى: ٧٥١هـ»، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

١٠٤- القواعد الأربع «مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب، الجزء الأول»، المؤلف: محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التميمي النجدي «المتوفى: ١٢٠٦هـ»، المحقق: عبد العزيز بن عبد الرحمن

السعيد وغيره، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٥- القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية محرم ١٤٢٤هـ.

١٠٦- القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن العثيمين «المتوفى: ١٤٢١هـ»، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

١٠٧- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب، طبعة: جامعة الإمام بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

١٠٨- كتاب التوحيد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

١٠٩- كتاب العلم، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين «المتوفى: ١٤٢١هـ»، المحقق: صلاح الدين محمود، الناشر: مكتبة نور الهدى.

١١٠- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١١١- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، المؤلف: محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١٢- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار

صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

١١٣- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي «المتوفى: ٧١١هـ»، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

١١٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عَقْد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي «المتوفى: ١١٨٨هـ»، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١١٥- المجتبى من السنن «السنن الصغرى»، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي «المتوفى: ٣٠٣هـ»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب.

١١٦- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة

النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١٧- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني «المتوفى: ٧٢٨هـ»، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١٨- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين «المتوفى: ١٤٢١هـ»، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن- دار الثريا.

١١٩- المحصول من شرح الثلاثة الأصول، المؤلف: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، الناشر: دار ابن الأثير، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٢٠- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٢١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجَوزية «المتوفى: ٧٥١هـ»، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٢٣- مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي «المتوفى: ١٣٩٣هـ»، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١م.

١٢٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٢٥- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيِّع «المتوفى: ٤٠٥هـ»، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٢٦- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيِّع «المتوفى: ٤٠٥هـ»، المحقق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: دار الحرمين- القاهرة، عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٢٧- مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري «المتوفى: ٢٠٤هـ»، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٢٩- مسند الإمام أحمد، المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب- بيروت.

١٣٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلّمَ-، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري «المتوفى: ٢٦١هـ»، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٣٢- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل «المتوفى: ٥٤٤هـ»، الناشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٣٣- المصنَّف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي «المتوفى: ٢٣٥هـ»، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٣٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٣٥- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي «المتوفى: ١٣٧٧هـ»، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيِّم- الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٣٦- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني «المتوفى: ٣٦٠هـ»، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١٣٧- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ - ١٣٨٠هـ]، جـ ١ و٢/ ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، جـ ٣/ ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، جـ ٤/ ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، جـ ٥/ ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

١٣٨- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م..

١٣٩- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين «المتوفى: ٣٩٥هـ»، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.

١٤٠- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار «مطبوع بهامش إحياء علوم الدين»، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي «المتوفى: ٨٠٦هـ»، الناشر: دار ابن حزم، بيروت- لبنان.

١٤١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجَوزية «المتوفى: ٧٥١هـ»، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

١٤٢- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ«الراغب الأصفهاني» «المتوفى: ٥٠٢هـ»، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٤٣- المفيد في مهمات التوحيد، المؤلف: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الاعلام، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ.

١٤٤- المورد العذب الهني في الكلام على السيرة للحافظ عبد الغني «المتوفى:

٧١٤هـ»، تأليف قطب الدين الحلبي، تحقيق: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٤٥- الموسوعة القرآنية، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

١٤٦- النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيميَّةَ الحراني الحنبلي الدمشقي «المتوفى: ٧٢٨هـ»، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٤٧- نثر الورود على مراقي السعود، شرح الشيخ العلَّامة: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، تحقيق وإكمال تلميذه الدكتور: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، الناشر: محمد محمود الخضر القاضي، توزيع: دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٤٨- النحو الوافي، المؤلف: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار

المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.

١٤٩- الورقات، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين «المتوفى: ٤٧٨هـ»، المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

١٥٠- الولاء والبراء في الإسلام، المؤلف: أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، الناشر: دار الدعوة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

* * *

فهْرسُ الْمَوْضُوعَاتِ

مُقَدِّمَةُ الشيخِ صالحِ بن فوزان الفوزان ٥

مُقَدِّمَةُ الشيخِ صالحِ بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ٧

مُقَدِّمَةُ الشارحِ ١٠

ترجمةٌ مختصرةٌ للمؤلفِ ١٩

تَحْرِيرُ اسمِ الكتاب ٢١

مُقَدِّمَةُ المؤلفِ..... ٢٢

أَرْبَعُ مَسَائِلَ يَجِبُ تَعَلُّمُهَا ٣١

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْعِلْمُ ٣٦

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ ٤٦

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ ٤٨

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ ٥٠

ثَلَاثُ مَسَائِلَ يَجِبُ تَعَلُّمُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا ٥٩

الْأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا ٦١

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ..... ٧٥

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ ٨٨

مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ..... ١١٥

أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ..... ١٢٧

أَعْظَمُ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ ١٣١

الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا ١٣٨

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرَفَةُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ ١٣٩

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا..... ١٧٠

الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ ٢٤٥

مَرَاتِبُ الدِّينِ..... ٢٥٥

المَرْتَبَةُ الأولى: الْإِسْلَامُ وأركانه ٢٦١

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ وأركانه ٢٩٨

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ وركنه ٣٣٢

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ ٣٤٧

الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ ٣٩٩

مَعْنَى الطَّاغُوتِ ٤١٥

رُءُوسُ الطَّوَاغِيتِ ٤٢١

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ ٤٣١

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ ٤٦٩

* * *